الدكتور

عبد العزيز الصيغ

المصطلح الصوتي

في الدراسات العربية

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

www.fikr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المصطلح الصوتي

في الدراسات العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل ربِ زدني علماً

[طه : ٢٠/١١٤]

صدق الله العظيم

المصطلح الصوتي في الدراسات العربية / عبد العزيز سعيد الصيغ . ــ دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٨ . ــ ٣٠٤ ص ؛ ٢٤ سم .

١ ــ ٤١١,١ ص ي غ م ٢ ــ ٤١١,٤ ص ي غ م

٣ ــ العنوان ٤ ــ الصيغ

مكتبة الأسد

ع ــ ١٨٥٣ / ١٠ / ١٩٩٨

الدكتور عبد العزيز الصيغ

المصطلح الصوتي

في الدراسات العربية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ١٢٠٤,٠١١
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-547-2
الرقم الموضوعي: ٤١٠
الموضوع: اللغة العربية
العنوان: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية
التأليف: د. عبد العزيز سعيد الصيّغ
التنفيذ الطباعي: دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات: ٣٠٤ ص
قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦
Http://www.fikr.com
e-mail: info@fikr.com

2007 50 عاماً نحو فكر إنساني مشترك

الإعادة الأولى
١٤٢٧هـ=٢٠٠٧م
ط١ / ٢٠٠٠م

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الإهـــداء

إلى روح أبي

إلى العزيزة أمي

﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾

وإلى طفليّ العزيزين عمر وعماد

وإلى زوجتي

وأختي وإخوتي جميعاً

أهدي هذا الكتاب

الدكتور عبد العزيز الصيغ
دمشق ٢٨ / ٩ / ٩٩م

المصطلح الصوتي

المقدمة

مقدمة

عرف العرب علم الأصوات ، إلا أنهم لم يذكروه تصنيفاً من تصانيفهم كما ذكروا علم البلاغة ، وعلم النحو ، وعلم التجويد ، إلا أن أبحاثه وجدت لديهم حتى ليمكن القول : إن علم الأصوات كان علماً واضح الملامح محدد السمات ، وليس أدل على ذلك من أن علم التجويد وهو علم أصوات استعمل مصطلحات هي المصطلحات التي وجدت في المباحث الصوتية التي عرفت عند علماء النحو واللغة ، ولولا أن علم التجويد اقتصرت مباحثه على قراءة القرآن لكان هو في العربية علم الأصوات .

غياب علم للأصوات في العربية لم يمنع من وجود دراسات صوتية ، وبحوث تنتسب إلى علم الأصوات ، وليس هذا بالشيء الغريب ، فتصنيف العلوم يأتي في مرحلة متأخرة عن موضوعات العلم وأبحاثه ، فكانت موضوعات النحو موجودة في أبحاثه الأولى التي عرفها العلماء قبل سيبويه ، ولم يكن علم النحو معروفاً وكانت مباحث البلاغة معروفة في كتب النحو الأولى ، قبل أن تصنف علماً محدداً له ملامحه الخاصة به ، ونجد في العصر الحديث من ينادي بفصل علم المعاني عن علوم البلاغة ، وجعله ضمن علم جديد هو علم الدلالة ، كل ذلك يعني أن تصنيف العلوم وتحديدها مرحلة متأخرة ولذا فليس من الغريب القول : إن علم الأصوات لم يكن معروفاً قديماً في العربية ، ولكن أبحاثه كانت موجودة .

والمعروف أن علم الأصوات علم حديث ، بل إنه لا يتجاوز في حداثته قرناً من الزمان ، وقد اتسع اتساعاً كبيراً مع التطور العلمي الكبير ، حيث استفاد من الأجهزة الدقيقة التي تساعد كثيراً على الوصول إلى نتائج مشجعة في علم لم يكن ممكناً الاستمرار في

أبحاثه اعتماداً على الحدس والظن ، وهي الطريقة التي كانت تتبع في الوصول إلى حقائق هذا العلم قديماً .

ولهذا فإن ما وصل إليه من نتائج في حقل الدراسات الصوتية عند علماء العربية يعد سبقاً كبيراً جداً إذا قورن بكثير من الحقائق التي لم يتوصل فيها إلى وضوح إلا مؤخراً بالاستعانة بالتطور العلمي المطرد .

لا شك أن الدراسات الصوتية عند علماء العربية اتكأت على الحس الدقيق في تمييز الأصوات ، ولا يزال المحدثون يولون رهافة السمع أهمية في إدراك خصائص الأصوات ، إلا أن علماء العربية أدركوا إدراكاً واعياً ضرورة الاستعانة بعلم التشريح للوصول إلى حقائق في معرفة الأصوات ، فقد عني ابن سينا في رسالته الشهيرة (أسباب حدوث الحروف) بذلك فجعل مبحثاً من مباحثها في تشريح الحنجرة تشريحاً مفصلاً ، رابطاً بين إنتاج الأصوات وبين عمل الأعضاء فيها .

كما صرح الرازي من بعده أن دراسة الأصوات تحتاج « إلى معرفة أحوال القلب والرئة ومعرفة الحجاب الذي هو المبدأ الأول لحركة الصوت ومعرفة سائر العضلات المحركة للبطن والحنجرة واللسان والشفتين » ، وليس أوضح من كلام الرازي هذا في مبلغ ما وصل إليه العرب في معرفة الأصوات وما تقتضيه دراستها ، وقد نجم عن كل ذلك الأبحاث الصوتية الرائدة التي لم يصل إلى بعض نتائجها المحدثون في اللغات الأخرى إلا استعانة بالأجهزة والوسائل العلمية الحديثة .

والمصطلح الصوتي في هذا البحث اعتمد على المادة الصوتية التي كانت مبثوثة في ثنايا الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية ؛ ولذا فقد عددنا من المصطلحات الصوتية مصطلحات لم يجعلها علماء التجويد ـ وهم أكثر العلماء عناية بالدراسات الصوتية ـ من المصطلحات الصوتية ، وإنما تعاملوا معها تعامل علماء النحو واللغة ، مثل مصطلح الإبدال والإعلال ، وحيث أن تصنيفات العربية لم تعرف علماً محدداً بعلم الأصوات ،

فإن طبيعة البحث اقتضت أن تكون المصطلحات المأخوذة معتمدة في تصنيفها على الأبحاث الصوتية سواء عند علماء النحو أو علماء اللغة أو علماء التجويد ، وكذلك على الظواهر اللغوية التي رأى المحدثون أن فهمها لا يكون إلا بدراستها دراسة صوتية ، مما أدى إلى عدّ هذا المصطلح مصطلحاً صوتياً ؛ لأنه نجم عن تعامل صوتي .

قسّم البحث على فصول ثلاثة ، وقد قضت طبيعة المادة التي اجتمعت لدينا إلى هذا التقسيم .

أما الفصل الأول فقد كان مشتملاً على مخارج الأصوات ، ولما كانت المخارج هي مواضع في الجهاز فقد كان لزاماً دراسة الجهاز الصوتي مفصلاً ، ولذلك كان موضوع هذا الفصل هو أعضاء الجهاز الصوتي ومخارج الأصوات .

أما الفصل الثاني فقد كان أكبر فصول الرسالة وأوسعها إذ إن أكثر المصطلحات الصوتية هي صفات للأصوات ، وقد قسمت هذه الصفات على أقسام ثلاثة ، بحسب اشتراك مجموعة من الأصوات في الصفة أو انفراد صوت واحد بها ، أو انتساب الصفة إلى المخرج .

أما الفصل الثالث فهو للمصطلحات التي تكون بسبب من تأثر الأصوات بعضها ببعض ، وقد اعتمدت في مصطلحات هذا الفصل على مصطلحات القدماء وهو المنهج نفسه الذي انبنت عليه الرسالة في فصولها الثلاثة ، إلا أن الحرص على إكمال الفائدة جعلني أعرض لمصطلح الوحدة الصوتية (الفونيم) أو (الصُّوتية) على الرغم من أنه من المصطلحات الحديثة ، وقد قضت طبيعة المصطلح أن أتناوله في التمهيد للفصل الثالث مع مصطلح الصامت والمصوت الذين تحدثت عنهما عند الحديث عن الحرف والحركة .

وقد اتخذت في دراسة هذه المصطلحات منهجاً يقوم على جمع المصطلحات الصوتية التي ذكرت في كتب علماء العربية باختلافها في كتب نحو ولغة وتجويد وقراءات وتفسير ، متتبعاً المصطلح منذ استعمالاته الأولى والعلاقة بين المعنى الذي وضع من أجله

والمعنى اللغوي ، ثم الاختلافات التي طرأت على معنى هذا المصطلح عبر مراحله التاريخية ، ولذا فإن المنهج الوصفي والتاريخي هما المستند في دراستي لهذه المصطلحات .

وقد كان تتبع استعمال المصطلح ولا سيا في مادة التجويد تقتضي مراجعة الكتب القديمة ، وهي الأصول في هذه المادة ، ونظراً لانعدام هذه الكتب لكون أكثرها ما تزال مخطوطة ، فقد كان الحصول على صورة واحدة واضحة للمصطلح لدى علماء التجويد من الأمور بعيدة المنال ، إلا أنني حصلت على عدد من الكتب والمخطوطات ، كان معتمدي عليها ، مثل كتاب (الرعاية) لمكي بن أبي طالب ومخطوطين لـ (الموضح في التجويد) لعبد الوهاب القرطبي ، و (التحديد في الإتقان والتجويد) لابن عمرو الداني . وهاتان المخطوطتان تفضل بها عليَّ الدكتور فاضل الخلق غانم قدوري الحمد أثابه الله عني خير الثواب وأجزله ، ولم يكن هذا كل ما قدّمه وإنما كان ذلك أحوج ما كنت أطمح إليه ، ولا أريد أن أذكر غير هذا حتى يبقى له على التفضّل إذ إن في الشكر ذهاباً لحق المتفضل ..

ولما كان علم التجويد من العلوم التي لا تولى عناية كافية في هذا العصر عدا كتيبات صغيرة تؤلف لتمين على فهم أولياته ، فقد سعينا للاستفادة من هذه الكتيبات على قلّة الفائدة منها من أجل تتبع المصطلح حتى تكون الصورة واضحة في معرفة المصطلحات السائدة في الاستعمال . وقد كان هذا هو الهدف الذي من أجله جعلناها موضعاً في هذه الرسالة .

ولم يكن هذا الحقل من الدراسة مبتغاي حين أقدمت على مرحلة الماجستير فقد كنت إلى دراسة الأدب أقرب ، إلا أنني كنت أرى دائماً أن دراسة الأدب وسيلتها اللغة وفهمها ، ولكن رغبة في النفس أن يوفق الله خطاي إلى موضوع جديد بكر لا عهد لي به من قبل ، حتى أشعر وأنا أدرسه أنني أفتح عيني على جديد ، فيكون ذلك أدعى إلى السعي الحثيث ، والعمل المتواصل ، وقد صفق قلبي حين رأيت أن هناك مادة هي الصوتيات في موضوعات الدراسة للفصل الدراسي الأول للسنة التمهيدية ، وهي مادة لم يكن لي بها علم ، ولذا فقد استقرت في النفس منها رغبة كانت محتاجة إلى خيط متين

يشدّها إليها ، ولم يكن ذلك الخيط المتين إلا موضوعاً يمكن أن يسجل رسالة للماجستير ، وهو ليس بالأمر الهين ، فاختيار الموضوع من المسائل التي يحار فيها الطالب ، أما حيرتي فقد كانت حيرتين ، فليس هذا العلم من العلوم المعروفة فهو جديد ، وغير منتشر مما جعل اليأس يدب إلى نفسي فتركت الأمر ، موطناً نفسي على النسيان ولا سيما أن مرحلة الماجستير هي مرحلة يختارها الطالب حتى يتمكن بعدها من المضي في طريق البحث بخطى أكثر ثباتاً وأوثق موضعاً ، وربما كان موضوع بحث الماجستير بعيداً كل البعد عن الموضوعات التي يحظى بالبحث فيها بعد ذلك ، وهو شيء عرف عند كثير من كبار الباحثين قديماً وحديثاً ، إلا أن استمرار الباحث في مجال واحد أغنى وأكثر نفعاً .

وقد كنت محظوظاً حين راجعت أستاذي الدكتور عدنان محمد سلمان باحثاً عن موضوع لرسالتي ، حيث اقترح علي موضوع (المصطلح الصوتي) فله مني كل الشكر ، وقد كان الموضوع حينها ما يزال طلسماً من الطلاسم ولغزاً من الألغاز ، فما كنت قد فكرت فيه من قبل ، ولم يكن جرى مني على بال ، ودراسة مصطلح لعلم غير واضح الملامح في العربية أمر ليس بالهين ، وهذا ما جعل الموضوع يبدو صعباً عسيراً في أول الأمر إلا أنه سرعان ما انقاد ، واتضحت معالمه ، فوضعت الخطة مستعيناً بآراء الدكتور الفاضل رشيد عبد الرحمن العبيدي ، ثم شرعت في العمل أرجو توفيق الله فيه .

وكان من تمام التوفيق أن حظيت بأستاذي الدكتور حسام سعيد النعيمي مشرفاً وهو أمل كنت أطوي النفس عليه فكان تعيينه مشرفاً من توفيق التوفيق .

هذا كان حظي من التوفيق في الحصول على أساتذة لم يدخروا وسعاً في منحي ما لديهم من رأي صائب وعلم نافع ، فأرجو أن أكون أفدت من هذا الحظ في هذه الرسالة التي تمنيت أن تكون أحسن مما هي عليه .

عبد العزيز ـ بغداد ٦ آذار ١٩٨٨ م

الفصل الأول

الجهاز الصوتي

الأعضاء والمخارج

الجهاز الصوتي

وهو الآلة التي بوساطتها تخرج الأصوات ، وتمثل تمثيلاً صحيحاً ، وهي أشبه بآلة موسيقية ، كما شبهت قديماً ، قال ابن جني : « شبه بعضهم الحلق والفم بالناي »[١] ، وهو يقصد بالحلق والفم مجمل الجهاز الصوتي ، وهو ما كان شائعاً في ذلك العصر من أنهما يمثلان الجهاز الصوتي .

ويتكون من مجموعة أعضاء ، هي أعضاء النطق ، إلا أن وظائفها النطقية ذات أهمية أقل من وظائفها الأساسية الأخرى ، وقد فضل عدد من العلماء[٢] مصطلح (أعضاء النطق) على (الجهاز الصوتي) أو (جهاز النطق) والتسميتان الأخيرتان تتميزان بدلالة معنوية أكثر شمولاً ، فهذه الأعضاء جميعاً تعمل وحدة واحدة يحسن إطلاق كلمة (جهاز) أو (آلة) عليها ، ولذلك نجد أن علماء التجويد[٣] كانوا سباقين إلى إطلاق مصطلح (آلة النطق) . وهم بهذا برهنوا على معرفة دقيقة بالمصطلح ، وفهم شامل لعملية التصويت .

وإذا كان من المحدثين من اتخذ مصطلح (جهاز النطق) ليؤدي المعنى المراد ، فإنهم لم يبعدوا عن مصطلح علماء التجويد كثيراً ولا قليلاً ، لأن اللفظين (آلة) و (جهاز) مترادفان ، إلا أن الجهاز يتكون من عدة آلات ، فالشائع في الاستعمال هو اختصاص (الآلة) بالأجهزة الصغيرة ، و (الجهاز) بالأجهزة الكبيرة .

وجهاز النطق ليس جهازاً للنطق فقط ، بل إن النطق ليس هو الوظيفة الأكثر

(١) سر الصناعة ٨/١ .

(٢) الأصوات اللغوية ١١٦ ، وعلم اللغة ١٤٠ ، ومدخل إلى علم اللغة ٣٦ .

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٩٤ .

أهمية له ، إذ إن هناك وظيفة أهم بكثير ، وهي الوظيفة الأساس لهذا الجهاز ، حتى إن تسميته بجهاز النطق تعود مجازية بالنظر إلى هذه الوظيفة ، وهي وظيفة التنفس ومضغ الطعام ، وتقليبه وبلعه ، فاللسان « وظيفته ذوق الطعام والأسنان من وظائفها قضم الطعام وطحنه »[1] .

والجهاز الصوتي يعمل بوساطة الهواء الآتي من الرئتين ، ولذلك فإن أهم عضوين من أعضاء الجهاز التنفسي هما أعضاء في الجهاز الصوتي وهما :

الرئتان : وهما أشبه بمنفاخ يتألف من مجموعة أكياس ، ففي حالة الشهيق تتسع هذه الأكياس فتكبر الفراغات التي بها كلما اتسع القفص الصدري . هذه الأكياس ، « يرتبط بعضها ببعض بأنابيب تنتهي بأنبوبتين تعرفان بالشعبتين »[2] .

ويكون عمل الرئتين بأن يضغط الحجاب الحاجز عليهما بمساعدة القفص الصدري ، فيدفع الهواء خارجاً منهما ماراً بأعضاء النطق وبفعل الاحتكاك والانسداد تتم الأصوات .

وقد تحدّث الفارابي عن دور الرئتين في عملية التصويت قائلاً : « وهذا الهواء الذي يجذبه الإنسان إلى رئتيه وداخل صدره من خارج ليروح به عن القلب ، ثم يدفعه منها إذا سخن إلى الخارج ، فإذا دفع الإنسان هواء التنفس إلى خارج جملة واحدة وتوقف لم يحدث صوت محسوس ، وإذا حصر الإنسان هذا الهواء في رئتيه وما حواليها من أسفل الحلق ، وسرب أجزاءه إلى خارج شيئاً فشيئاً ، على اتصال وزحم به مقعر الحلق، وصدم أجزاءه حدث حينئذ نغم ، بمنزلة ما يحدث لسلوك الهواءفي المزامير »[3] .

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ٦٥ .

(٢) محاضرات في اللغة ٨٥ .

(٣) كتاب الموسيقى الكبير ٦٦-١ ينظر أيضاً : كتاب الحروف ١٣٦ .

القصبة الهوائية : وهي أنبوبة[1] تصل بين الرئتين والحنجرة ، وهي الممر الهوائي الذي يعبر خلاله الهواء من الرئتين إليها ، وقد كان « يظن قديماً أن لا أثر لها في الصوت اللغوي »[2] ، ولذلك نجد أن ابن سينا الذي كتب رسالته الفريدة في أسباب حدوث الأصوات ، قصر كلامه على تشريح الحنجرة واللسان دون القصبة الهوائية ، ولعل صغر حجم الرسالة هو الذي منعه من ذلك .

وقد كشفت البحوث الحديثة أن القصبة الهوائية تستغل أحياناً فراغاً رناناً « ذا أثر بين في درجة الصوت ، ولا سيما إذا كان الصوت عميقاً »[3] .

والقصبة الهوائية « مكونة من حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف بعضها فوق بعض ، وهذه الحلقات مكسوة بنسيج مخاطي والحلقة الغضروفية العليا من القصبة الهوائية كاملة الاستدارة وتعرف بالغضروف الحلقي »[4] وهذا الغضروف الحلقي هو أحد الغضاريف الثلاثة التي تتكون منها الحنجرة . أما الأعضاء الأخرى فهي الأعضاء الأساسية لجهاز الصوت وهي :

الحنجرة : يقول ابن سينا : « أما الحنجرة فإنها مركبة من غضاريف ثلاثة »[5] وهو تعريف علمي لم تزد عليه الوسائل الحديثة في التشريح شيئاً .

وتتخذ الحنجرة شكل صندوق إذ إن الغضاريف متصلة بعضها ببعض على هيئة صندوق أو حجرة ، ولهذا نجد أن التعاريف[6] التي تعرض لوصف الحنجرة يغلب عليها وصفها بالصندوق أو بالحجرة ، والغضاريف الثلاثة هي :

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٨٠ .
(٢) الأصوات اللغوية ١٧ .
(٣) المرجع نفسه ١٧ .
(٤) محاضرات في اللغة ٨٧ .
(٥) أسباب حدوث الحروف ٦ .
(٦) الأصوات اللغوية ١٧ ودراسة الصوت اللغوي ٨٠ ، والألسنية العربية ٣٤ . ولغويات ١٧٠ .

١ ـ الغضروف الحلقي : وقد سماه ابن سينا (المكبي) و (الطرجهالي) أو (الطرجهاري) .

أما المحدثون يطلقون عليه تسمية الحلقي ، وهي تسمية تأخذ دلالاتها من شكله فهو يشبه الحلقة ، مستدير كامل الاستدارة ، بينما لا تكتمل استدارة الغضروفين الآخرين ، وهذا الغضروف يتصل بالقصبة الهوائية ، وهو بمثابة رأس لها وقاعدة للحنجرة فالغضروفان يكادان يستويان عليه .

٢ ـ الغضروف الدرقي : ويطلق عليه ابن سينا [١] اسماً آخر أيضاً ، فيسميه (الترسي) ، وهو يضع التسميتين جنباً إلى جنب ، والكلمتان تؤديان مدلولاً واحداً ، إذ إن شكله يشبه الترس ، فهو غير مستدير من الخلف وعريض بارز من الأمام ، ينتهي بجزء ظاهر البروز يسميه الغربيون (تفاحة آدم) ، وهو في الرجال أشد بروزاً « يناله الجس في المهازيل »[٢] .

ويوجد في الغضروف الدرقي « زوج من الصفائح الرقيقة المرنة ويمتدان أفقياً ، ويتصلان عند أحد الطرفين بالبروز الداخلي للغضروفين الهرميين وعند الطرف الآخر ببروز الغضروف الدرقي ، .. وكل صفيحة من هاتين الصفيحتين تغطي جانباً من جانبي الحنجرة ، وقد تغلق هاتان الصفيحتان بشكل تام ، أو بشكل غير تام ، لإنتاج أنواع مختلفة من الأصوات المسموعة »[٣] .

٣ ـ الغضروفان الهرميان : وهما على شكل هرم ، ومن هنا كانت التسمية وقد استعمل بعض الدارسين[٤] مصطلح حنجريين نسبة إلى الحنجرة ، إلا أن مصطلح

---

(١) أسباب حدوث الحروف ٦ .
(٢) المرجع نفسه ٦ .
(٣) المدخل إلى علم الأصوات ٢٨ .
(٤) علم الأصوات ٤٦ .

(المرميين) ذو دلالة أوضح . ويقع هذان الغضروفان « خلف الغضروف الدرقي وتتصل بها الأوتار الصوتية »[1] اتصالاً يجعلها شيئاً واحداً؛ فيطلق عليها بعض الدارسين[2] الوترين الصوتين دون تمييز بينها وبين الوترين الصوتيين اللذين يشكلان امتداداً لها ، وهما من نسيج غشائي ، « قادران على الحركة بوساطة نظام من العضلات يتحكم فيهما ويمكنهما أن ينزلقا ، وأن يستديرا ، وأن يتأرجحا »[3] .

الحلق : وهو الفراغ الواقع بين الحنجرة والفم[4] ، وهذا هو المفهوم الحديث لمنطقة الحلق ، وهو يختلف عن فهم القدماء لها ، فالشائع الآن الذي تقره الدراسات الحديثة[5] هو أن منطقة الحلق موضع لإنتاج صوتين اثنين هما (الحاء) و (العين) ، بينما الدراسات العربية القديمة منذ الخليل وسيبويه تجعل لها ستة أحرف أو سبعة وتقسمها إلى مواضع أو مخارج ثلاثة كل مخرج لصوتين أو ثلاثة[6] .

وهذا يعني أن الحلق عند القدماء يمتد من جزء من الحنجرة وهو الوتران الصوتيان ، ثم الحلق بالمفهوم الحديث ، ثم أقصى الحنك ، وهي مساحة واسعة مقارنة بالمساحة التي يعينها الفهم المعاصر للحلق ، فوسط الحلق عند القدماء هو كل الحلق عند المحدثين ، فالخلاف بين القدماء والمحدثين هو خلاف في تحديد منطقة الحلق ، يحصره المحدثون على الفراغ الواقع بين الحنجرة ـ أو الوترين الصوتيين ـ وأقصى الحنك بينما يعده القدماء من موضع الوترين إلى اللهاة ، وسوف نعود للحديث عن الحلق عند الحديث عن المخارج .

---

(١) المدخل إلى علم الأصوات ٢٨ .

(٢) في صوتيات العربية ٥٨ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي ٨١ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٨ .

(٥) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠١ .

(٦) العين ٥٨ ، والكتاب ٤٣٣/٤ .

البلعوم :وهو منطقة الحلق عند المحدثين ، إذ إنه « التجويف الواقع بين جذر اللسان والجدار الخلفي للحلق والممتد من التجويف الأنفي إلى الحنجرة »[1] . فهو يتصل من الأعلى بالفم والأنف ، كما يتصل بالمريء[2] ولاتصاله بالحنجرة والفم والفراغ الأنفي ، فقد قسم إلى أقسام ثلاثة ، وهي البلعوم الحنجري ويبدأ « من الغضروف الحلقي حتى العظم اللامي »[3] . وبتغير حجم هذا الفراغ البلعومي بحسب حركة لسان المزمار ، مما يؤثر في تغير الصوت ، ثم البلعوم الفموي وهو يبدأ : « من العظم اللامي مؤخرة الحنك الرخو »[4] ، ثم البلعوم الأنفي وهو : « الجزء العلوي ويقع خلف اللهاة عند مدخل الفم »[5] .

ولما كان الصوتان الحلقيان بحسب مفهوم المحدثين للحلق هما العين والحاء ، فقد وصفا أيضاً بالبلعومية[6] نسبة إلى البلعوم ، فمنطقة البلعوم موضع لإنتاج هذين الصوتين في العربية .

أما البلعوم عند القدماء فمعناه كما جاء في اللسان هو : « مجرى الطعام وموضع الابتلاع من الحلق »[7] ، كما أن الحلق هو : « مساغ الطعام والشراب في المريء .. ومخرج النفس من الحلقوم وموضع الذبح هو أيضاً من الحلق »[8] ، وهذا يعني أن البلعوم عند القدماء أيضاً مرادف للحلق عندهم .

---

(١) معجم علم اللغة النظري ٢٠٨ .
(٢) ينظر : علم اللغة النفسي ٧٣ .
(٣) أصوات اللغة ٦٥ .
(٤) المرجع نفسه ٦٥ .
(٥) العربية ولهجاتها ١٥ .
(٦) المدخل إلى علم الأصوات ٣٩ .
(٧) اللسان ٢٠/٨ .
(٨) اللسان ٥٨/١٠ .

والذي يدعو إلى الحديث عن البلعوم منفصلاً عن الحلق وهما يعينان شيئاً واحداً هو أن مصطلح (بلعومي) يستعمل دائماً مرادفاً لمصطلح (حلقي) مما يفهم معه أن المصطلحين مختلفان ، ولا اختلاف بينهما ، فهما يؤديان معنى واحداً متفقاً عليه عند القدماء ، كما يؤديان معنى آخر متفقاً عليه عند المحدثين ، والمعنيان مختلفان كما أسلفنا ، ولم يستعمل قديماً مصطلح (بلعومي) كما هو مستعمل اليوم لدى المحدثين ، أما قول بعض المحدثين[1] : إن صوت الهاء بلعومي فذلك خروج عن مفهوم المحدثين لمنطقة الحلق أو البلعوم وهو زلل نبه إليه [2] .

اللهاة : وهي « نهاية الحنك اللين »[3] ، وهي « عضلة صغيرة »[4] ، وموضعها موضع نطق القاف العربية[5] ، وهي لكونها جزءاً من الحنك الرخو ، فإن فتحة التجويف الأنفي تغلق وتفتح حين ينخفض ويرتفع الحنك اللين ، ولذا فقد عدت وظيفة اللهاة « قفل طريق الهواء إلى الأنف .. أو فتح طريق الهواء »[6] إليه .

فإذا منع الهواء الخارج من الرئتين أن يمر إلى الفراغ الأنفي يكون الصوت فموياً ، أي لا يسمع معه صوت الغنّة ، أما إذا ترك الهواء يمر من الفراغ الأنفي ، فإن الصوت يكون أنفياً في حال أن يكون الفم مغلقاً تماماً ، كصوت الغنة الصادر عن التقاء النون بالكاف مثلاً في نحو : من كان ، أو يكون الصوت أنفياً ، وهو أن يكون الفم مشتركاً مع الفراغ الأنفي في إنتاج الصوت مثل صوتي الميم والنون ، وغلق فتحة الفراغ الأنفي

---

(١) المدخل إلى علم الأصوات ٢٩ .

(٢) المجلة العربية للدراسات اللغوية مج ٣ ، ع ١ ، ٩١ .

(٣) علم اللغة ١٤٤ ، ودروس في الألسنية العامة ٧٣ .

(٤) محاضرات في اللغة ٩٢ .

(٥) علم اللغة ١٤٤ ، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ٧١ .

(٦) محاضرات في اللغة ٩٢ .

وفتحها يتم « بحركة اللهاة إلى الخلف ، حتى تتصل بجدار البلعوم أو بحركتها إلى الأمام حتى تتصل بقاعدة اللسان[١] .

وقد ذكرت اللهاة في (معجم العين) الذي جاء فيه : « وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان ، وبين اللهاة من أقصى الفم »[٢] .

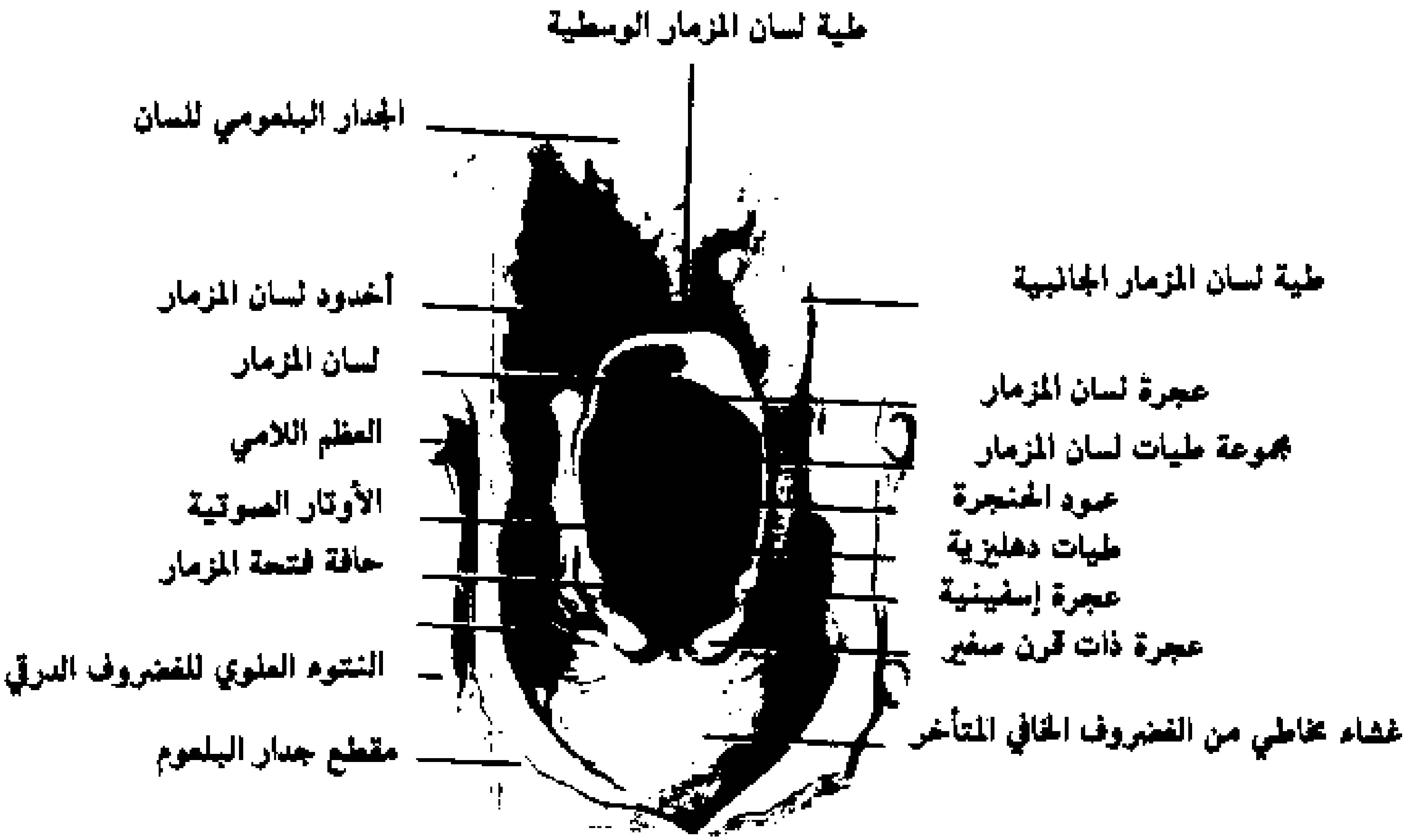
أما سيبويه فلا ترد عنده حين يتحدث عن القاف ، بل يكتفي بقوله : « ومن أقصى اللسان ، وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف »[٣] ، وتحديد الخليل أكثر قرباً إلى الحقيقة مخرج القاف كما يدركه المحدثون ، وقد تبع المبرد وابن جني سيبويه ، فلم يذكروا اللهاة ، وكذلك لم يرد لها ذكر عند مكي والداني والقرطبي ، وقد ذكرها ابن منظور قائلاً : « واللهاة : لحمة حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان والجمع لهيات »[٤] ، كما ذكرها ابن الجزري حين وصف مخرج القاف فقال : « أقصى اللسان مما يلي الحلق ، وما فوقه من الحنك ، وهو للقاف ، وقال شريح : إن مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق »[٥] ، وذكرها أيضاً ابن سينا[٦] في رسالته أسباب حدوث الحروف من قبل .

ووظيفتها ليست وظيفة مباشرة ، بل غير مباشرة ، حيث إن لها « دخلاً في نطق القاف العربية »[٧] ، كما أن لها دخلاً أيضاً في إغلاق وفتح الفراغ الأنفي كما تقدم .

---

(١) المرجع نفسه ٩٢ .
(٢) العين ٥٨ .
(٣) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(٤) اللسان ١٥/٢٦١ .
(٥) النشر في القراءات العشر ١/١٩٩ .
(٦) أسباب حدوث الحروف ٢ .
(٧) علم اللغة ١٤٤ .

صورة من أعلى الحلق
توضح الوترين الصوتيين ولسان المزمار



لسان المزمار : وهو (الغلصمة) أو أصل اللسان[1] ، وهو « نوع من اللسان واقع فوق الحنجرة خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع »[2] ، وهو « غضروف »[3] ، يشبه « صفيحة رقيقة ، تستخدم بمثابة صمام يسد طريق التنفس أثناء » العملية ، ولعل تسمية هذا الغضروف باللسان بسبب اتصاله باللسان أو بسبب حركته السريعة حيث يغلق فتحة المزمار في حالة الطعام والشراب . أما وظيفة لسان المزمار في عملية التصويت ، « فلا دخل لها في تكوين أي صوت كلامي »[4] ، إلا من طريق غير مباشر حين « يتحرك مع مؤخرة اللسان إلى الأمام وإلى الخلف ، مما يؤثر في اتساع الفراغ الذي يوجد في أسفله لسان المزمار والمسمى بالبلعوم »[5] ولسان المزمار يسميه ابن سينا « عديم الاسم »[6] .

اللهاة ولسان المزمار : ليس هناك علاقة بين لسان المزمار واللهاة ، فاللهاة متصلة بالحنك الرخو وهي جزء منه ، ووظيفتها غلق الفراغ الأنفي أو فتحة والسماح للهواء بالمرور ، بينما لسان المزمار متصل باللسان من الداخل ووظيفته التحكم في فتحة التنفس وغلقها ، واللهاة يمكن رؤيتها ، فهي متدلية في آخر الحنك الرخو بينما يتعذر رؤية لسان المزمار .

إلا أن بعض المحدثين يمزج بين الاثنين فلا يفرق بينهما وهما عنده شيء واحد ، فيترجم (Epiglottis) بقوله : « اللهاة لسان المزمار ، الغلصمة : لحمة تشرف على

(١) اللسان ١٢/٤٤١ .

(٢) علم اللغة ١٤٥ .

(٣) محاضرات في اللغة ٩٠ .

(٤) علم اللغة ١٤٥ .

(٥) محاضرات في اللغة ٩٠ .

(٦) الأصوات اللغوية ١٤٢ .

الحلق تسد طريق التنفس أثناء بلع الطعام »[1] ، وهو خلط كبير ، وكذلك فعل صاحب معجم[2] آخر له ولمعجمه مكان .

الوتران الصوتيان : وهما أكثر أعضاء الجهاز الصوتي أهمية ، إذ إنهما العضوان اللذان باهتزازهما تحدد للصوت صفة الجهر ، وبعدمه يكون الصوت مهموساً .

والوتران الصوتيان : « هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين »[3] ، وهما « عضلتان متوازيتان »[4] ، وهاتان العضلتان تتباعدان ، فتسمى الانفراجة بينهما (المزمار) ، والمزمار في اللغة هو « الآلة التي يزمر بها »[5] ، ويبدو أن وضع التسمية روعي فيه الشبه بين آلة النطق وآلة التزمير ، وهذا الموضع هو أعلى القصبة الهوائية وموضع التصويت .

وفوق هذين الوترين ، يوجد وتران آخران ، يسميان الوترين الصوتيين الكاذبين ، ووصفهما بالكاذبين يعود إلى الفهم الشائع الذي يقول : إن « لا علاقة لهما بالتصويت »[6] ، إلا أن البحوث والتجارب الحديثة أثبتت علاقتهما بالتصويت ، فهما يسهمان في « تكييف درجة الصوت خاصة في إنتاج الصوت الجهير المنخفض الدرجة »[7] ، وهما يشبهان الوترين الصوتيين[8] .

والوتران الصوتيان من الأعضاء التي خفيت على علماء العربية وظيفتهما ، فما نسبوا

---

(١) معجم علم اللغة النظري ٨٦ .

(٢) المورد ٣١٧ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٧ .

(٤) محاضرات في الألسنية ٥٨ .

(٥) اللسان ٤/٣٢٧ .

(٦) دراسة الصوت اللغوي ٨١ .

(٧) المجلة العربية للدراسات اللغوية مج ٢ ، ع ١ ، ١٩٨٣ م .

(٨) الأصوات اللغوية ١٧ ، وعلم اللغة ١٤٧ ، ومدخل إلى علم اللغة ٤٥ .

صفتي الجهر والهمس إليهما ، بل إن الصفتين لم يتضح معناهما في تعاريفهم وضوحاً يزيل اللّبس ، بل ظلّ ملتبساً غامضاً يحار في فهمه اللاحقون ، فيكررون عبارات السابقين تعريفاً ولا يزيدون .

وقد عد بعض المحدثين[1] خطئاً[2] أن الغضروفين الهرميين هما الوتران الصوتيان ، وهذان الغضروفان ذكرهما ابن سينا مطلقاً عليهما تسمية « الطرجهاري »[3] .

ولعدم وضوح مصطلحي (الجهر) و (الهمس) عند علماء العربية فقد عدّ المستشرقون ذلك سبباً من أسباب عدم معرفتهم بالوترين ، فقال كانتينو : « وأما الأوتار الصوتية فلا يبدو أن العرب قد عرفوها »[4] . ومن المعروف أن الدراسة الصوتية عند علماء العربية كانت دوافعها إيضاح بعض الظواهر اللغوية ، وهو ما تمثل في موضوع الإدغام والإبدال ، ولذلك فإن الناحية التشريحية ، وهي مكملة للدراسة الصوتية لم ترتبط بالدرس الصوتي ، ولذلك نجد أن « كلام ابن سينا كان محدود الأثر في الدراسات الصوتية العربية القديمة »[5] .

وليس هناك خلاف في أن الوترين الصوتيين هما عضلتان أو رباطان مرنان ، أو شفتان ، إلا أن الملاحظ أن كثيراً من الكتب الحديثة تذكرهما بصيغة الجمع ، فتقول : الأوتار الصوتية[6] ، أو الحبال الصوتية[7] ، أو الأحبال الصوتية[8] ، وصيغة الجمع هي

---

(١) في صوتيات العربية ٥٨ .

(٢) ينظر : المجلة العربية للدراسات اللغوية مج ٣ ، ع ٢ ، ١٩٨٥ م .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٦ ، والأصوات اللغوية ١٤٤ .

(٤) دروس في علم أصوات العربية ١٨ .

(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٩٨ .

(٦) دروس في علم أصوات العربية ١٨ ، ودراسة الصوت اللغوي ٨١ ، ومحاضرات في الألسنية ٥٨ وكلام العرب ٧ .

(٧) علم اللغة ١٤٥ وعلم الأصوات ١٠٩ وعلم اللغة النفسي ٧٦ .

(٨) مدخل إلى علم اللغة ٤٥ .

الاستعمال الغالب حتى ليكن القول : إنه هو المصطلح السائد ، وقد يتبادر إلى الذهن أن ذلك من قبيل إطلاق الجمع على المثنى ، وهي ظاهرة موجودة في العربية ، إلا أن هذا الاستعمال أدت إليه الترجمة من اللغات الأخرى ، والمعروف أن بحوث علم الأصوات تلقى في اللغات الأخرى اهتماماً واسعاً ، وقد لاحظ ذلك الدكتور فهمي حجازي في حديثه عن الوترين الصوتيين فقال : « أما وصفهما بالعربية بأنها الأحبال الصوتية فيقوم أساساً على خطأ في الترجمة لأن اللغة الإنكليزية لا تعرف صيغة المثنى وتعبر عنهما بصيغة الجمع »[1] ، بل إن الفرنسية والألمانية والروسية كذلك لا توجد فيها صيغة المثنى ، وهذا يعد سبباً من أسباب اضطراب المصطلح .

وللوترين الصوتيين ـ كما أسلفنا ـ دور كبير في عملية التصويت ، وهما دائما الحركة لا يهدأان ، وعلى الرغم من عدم ركونهما فإن المواضع المعروفة لهما هي أربعة مواضع .

والوتران الصوتيان يعود إليهما تصنيف الأصوات إلى أصوات حادة وأصوات غليظة ، وما نجده من اختلاف ظاهر بين أصوات النساء والرجال يعود إلى أن الوترين الصوتيين عند الرجل أطول وأغلظ منهما عند المرأة[2] .

ومن الحقائق الجلية أن الجسم السميك يهتز بسرعة أقل من اهتزاز الجسم غير السميك ، ولذا فإن متوسط الذبذبات للرجل بين ١٠٠ و ١٥٠ ، وللمرأة بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ، وهذا أيضاً يفسر الأصوات الحادة عند النساء . والأوضاع الأربعة التي يتخذها الوتران هي :

الوضع الأول : وضع الوترين في حالة التنفس :

ويكون الوتران في حالة انفراج بسيط بحيث يمر الهواء من الرئتين دون أن يقابله أي مانع ، وهي حالة التنفس الطبيعية ويسمى في الاصطلاح (بالهمس) .

---

(١) مدخل إلى علم اللغة ٤٥ .

(٢) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٨٢ .

الوضع الثاني : وضع الوترين في حالة الاهتزاز الملحوظ :

ويكون الوتران في حالة اقتراب شبه كامل ، يسمح للهواء المار خلالها من الرئتين ، فيفتحها ويغلقها بسرعة فائقة ، فيصدر منها صوت يسميه بعض الدارسين[1] (بالنغمة الموسيقية) ، وهو في اصطلاح علماء الأصوات يعرف (بالجهر) .

الوضع الثالث : وضع الوترين في حالة الوشوشة :

ويكون الوتران في حالة هي الحالة السابقة نفسها ، عدا أن الوترين حين مرور الهواء يتصلبان ولا يهتزان ، ولا يؤثر عليها مرور الهواء ، وهي حالة تجمع بين الوضع الأول في عدم الاهتزاز وبين الوضع الثاني من الانفراج ، ويكون هذا في حالة الوشوشة التي تحدد بين الأفراد في حال تخاطباتهم بسرية ، ولذلك فالأصوات تكون غير مجهورة ولكنها « مسره » .

الوضع الرابع : وضع الوترين عند تكوين همزة القطع :

والوتران في هذه الحالة ينطبقان انطباقاً تاماً يمنع الهواء الخارج من الرئتين خلفهما فلا يمر ، ثم ينفرجان فجأة ، فيحدث هذا الانفراج المفاجئ صوتاً هو صوت همزة القطع .

الحنك : وهو (سقف الفم)[2] ، ويسمى (الحنك الأعلى)[3] ، أو (سقف الحنك)[4] ، وهو يقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهي : أقصى الحنك أو الحنك اللين أو الرخو ، ووسط الحنك أو الحنك الصلب ومقدم الحنك أو اللثة .

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ٦٨ .

(٢) علم اللغة ١٤٢ .

(٣) نفسه ١٤٢ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٠٠ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ٧٠ .

الحنـك الرخو : ويسمى (الطبق) ، وقـد أطلق عليـه قـديـاً تسميـة (الحفـاف) فقـد جـاء في اللسـان قولـه : « والحفـاف : اللحم الـذي في أسفـل الحنـك إلى اللهـاة . الأزهري : يقال ييس حفافه ، وهو اللحم اللين أسفل اللهاة »[1] ، فهو قطعة من اللحم متحركـة تنتهي بزائـدة لحيـة وهي اللهـاة ، وحين ترتفع أو تنخفض تتسبب في إغـلاق فتحة الفراغ الأنفي وفتحها ، كما أن حركة الحنـك اللين مع حركـة مؤخر اللسـان يؤثر في مخرج الهـواء فيضيـق « أو ينسـد ، ممـا يكـون ذا أثر في إنتـاج عـدد كبير من الأصوات »[2] . بينما حركة الحنك اللين إذا رفع إلى « أقصى مـا يمكن فـإنـه يمس الجـدار الخلفي للفراغ الحلقي ، وهكذا يمنع مرور الهواء ، إلى الخـارج من الرئتين ، عن طريق الأنف »[3] .

وهذه المنطقة موضع لإنتـاج صوتين اثنين يـدعيـان ، أقصى حنكيين ، كما تسهم في إنتاج الأصوات المفخمة ، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً .

الحنك الصلب : ويسميه بعض الدارسين[4] (الغار) تشبيهاً له بالغار ، فهو شديـد التقعر ، وهو المنطقة الصلبة من سقف الفم ، وتقع بين الحنك الرخو ومنطقة اللثـة التي هي مغارز الأسنان العليا ، فمنطقة الحنـك الصلب « تبـدأ من المنطقـة المتقعرة وتنتهي عنـد بـدايـة الحنـك اللين »[5] وهو جـزء غير متحرك ، عبـارة « عن قطعـة من العظم مكسوة بطبقة من اللحم »[6] .

---

(١) اللسان ٩/٥١ .

(٢) أصوات اللغة ٨٥ .

(٣) علم اللغة ١٤٢ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ٧٠ .

(٥) المدخل إلى علم الأصوات ٣٠ .

(٦) محاضرات في اللغة ٩٣ .

اللثة : وهي « لحم على أصول الأسنان »[1] ، وهي مقدم الحنك ، وقد عرفت عند القدماء بأصول الثنايا ، إذ جاء في (الكتاب) قول سيبويه : « ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء ، والدال ، والتاء »[2] ، وهو يقصد بأصول الثنايا ما هو معروف عند العلماء المحدثين بمصطلح (اللثة)[3] .

يعرف علماء التجويد اللثة بقولهم : « اللحم المركب فيه الأسنان »[4] ، إلا أنهم نصوا « على أن اللثة ليست من الحنك »[5] بل إنها أسفل من الحنك ؛ ولذلك فإن مفهوم المحدثين لمنطقة الحنك يشمل مساحة أوسع من مفهوم علماء التجويد لها ، إلا أن مفهوم اللثة لدى الفريقين هو نفسه ، غير أن عبارة الدكتور حسام النّعيمي في قوله : « واللثة كما هو معلوم يراد بها مقدم الحنك بما في ذلك مغارز الأسنان »[6] ، يستفاد منها أن مفهوم المحدثين للثة أوسع من مفهوم القدماء[7] ، حيث إن القدماء يعدون اللثة مغارز الأسنان .

الأسنان : وقد فصل سيبويه في تقسيم الأسنان تفصيلاً دقيقاً عند حديثه عن صوت اللام ، قائلاً : « ومن حافة اللسان من أدناها ، إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنيّة مخرج اللام »[8] .

وقد أشار المستشرق الألماني شاده إلى هذا التقسيم حين قال : « نشاهد غاية

---

(١) اللسان ٥٢٨/١٣ .
(٢) الكتاب ٤٣٣/٤ .
(٣) الأصوات العربية ٤٤ .
(٤) الرعاية ١٤٠ .
(٥) الدراسات الصوتية ١٠١ .
(٦) مجلة المجمع العلمي العراقي ج (٢ ، ٣) ، م (٣٨) .
(٧) اللسان ٥٢٨/١٣ .
(٨) الكتاب ، بولاق ٤٠٥/٢ .

التفصيل مثلاً في تقسيمه للأسنان ، وقد قسمها إلى الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس »[1] ، وقد رأى الدكتور أيوب[2] أن سيبويه استعان بالأسنان والأضراس على تحديد المناطق الأمامية من الحنك الأعلى ، وهو رأي صحيح ، فإن الأسنان والأضراس بتفصيلاتها المحددة تعين على ذلك ، وربما هدف سيبويه في تحديده للأسنان إلى الوصول إلى وصف دقيق لسقف الفم بتحديد أجزائه المقابلة للأسنان ، وإذا نظرنا إلى تقسيمات سيبويه وجدناها تنقسم إلى :

الثنايا : ومفردها ثنية ، وهي السن ، « وثنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه : ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل »[3] .

والثنايا موضع لخمسة مخارج وهي مخرج النون ، ومخرج الظاء والذال والثاء ، ومخرج الزاي والسين والصاد ، ومخرج الطاء والدال والتاء ، ومخرج الفاء وتكون على النحو الآتي :

١ ـ مخرج النون : وهو : « من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا »[4] .

٢ ـ مخرج الدال والتاء والطاء : وهو : « مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا »[5] .

٣ ـ مخرج الزاي والسين والصاد : وهو : « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا »[6] .

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٣٣ .
(٢) الأصوات عند سيبويه ٢٨ .
(٣) اللسان ١٢٣/١٤ .
(٤) سر الصناعة ٤٧/١ .
(٥) الكتاب ٤٣٣/٤ .
(٦) الكتاب ٤٣٣/٤ .

٤ ـ مخرج الظاء والذال والثاء : وهو : « مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا »[١] .

٥ ـ مخرج الفاء : وهو : « من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى »[٢] .

الرباعيات : وهي أربعة أسنان تأتي بعد الثنايا ، اثنان في الصف الأعلى ، واثنان في الصف الأسفل ، يقول صاحب اللسان : « الرباعية مثل الثمانية : إحدى الأسنان الأربع تلي الثنايا بين الثنية والناب ، تكون للإنسان وغيره »[٣] ، ويقول الأصمعي : « للإنسان من فوق ثنيتان ورباعيتان بعدهما ، ونابان وضاحكان ، وستة أرحاء من كل جانب ، وناجذان ، وكذلك من أسفل »[٤] .

لم يذكر سيبويه الرباعية إلا مرة واحدة في حديث المخارج ، حين وصف مخرج اللام قائلاً : « ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام »[٥] .

ونظراً لموقع الرباعيات في الجزء الجانبي الأمامي من الفم بين الثنايا والأنياب ، فهي لم تحتل مكاناً بارزاً في مخارج الأصوات .

الأنياب : وهي الأسنان الأربعة التي تقع بعد الرباعيات ، اثنان منها في الأعلى ، واثنان في الأسفل ، وهي أكثر بروزاً من الثنايا الرباعيات وقد ذكرها سيبويه[٦] في معرض وصفه لمخرج اللام .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) اللسان ٨/١٠٨ .

(٤) اللسان ٨/١٠٨ .

(٥) الكتاب ، بولاق ٢/٤٠٥ .

(٦) الكتاب ، ٢/٤٠٥ .

الضواحك : وهي أربعة أسنان أيضاً ، تلي الأنياب ، اثنان في كل جانب ، ومفردها ضاحكة وهي : « كل سن من مقدم الأضراس مما يندر عند الضحك »[1] .

أما الضاحك ، ـ بالتذكير ـ فهو اللفظ الشائع ، والمصطلح الذي درج على استعماله منذ سيبويه في قوله : « وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام »[2] .

وذكره أبو زيد الأنصاري قائلاً : « للرجل أربع ثنايا وأربع رباعيات وأربع ضواحك ، والواحد ضاحك ، وثنتا عشرة رحىً ، وفي كل شق ست ، وهي الطواحين ثم النواجذ بعدها ، وهي أقصى الأضراس »[3] .

والأنصاري يذكر أن مفرد الضواحك هو الضاحك لا الضاحكة كما أورد صاحب (اللسان) ، وهو تأييد للاستعمال الشائع ، وتأكيد لترابط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي .

اللسان : وهو عضو متحرك ، ولذلك فإن دوره في عمليات النطق دور بارز ، وقد أدرك القدماء هذه الأهمية له في الكلام فاستعملوه ليؤدي معنى اللغة ، وهذا لم يقتصر على العربية فحسب ، بل إن اللغات الأخرى أيضاً استخدمته الاستخدام نفسه ، وفي العربية كثيراً ما يستعمل لفظ اللسان بمعنى اللغة ، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى : ﴿ وما أرسلت من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم : ٤/١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠٣/١٦] ، وقوله : ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً ﴾ [مريم : ٥٠/١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٥/٢٦] .

أما استخدامه في الكتب الأخرى ، فهو كثير ، وقد رأيت العلامة ابن خلدون في

(١) اللسان ٤٥٩/١ .
(٢) الكتاب ، بولاق ٤٠٥/٢ .
(٣) اللسان ٤٥٩/١٠ .

(تاريخه) يكثر من استخدام لسان بدلاً من لغة ، وهو يجعل عنوان الفصل الخامس والأربعين : « في علوم اللسان العربي »[1] ، وابن منظور سمى معجمه الموسوعي (لسان العرب) .

وقد قسم سيبويه[2] اللسان إلى أربعة أقسام وهي :

أقصى اللسان ، ووسط اللسان ، وحافة اللسان ، وطرف اللسان ، وقد تبعه في هذا التقسيم العلماء من بعده ، ابن جني[3] ، وابن الجَزَري[4] .

وهو تقسيم رباعي ، يناظر تقسيمه للأسنان ، على تحديد مناطق الحنك الأعلى ، ولعل تقسيم اللسان أعان كذلك .

وهذه الأقسام الأربعة ، كل قسم منها يشترك في صنع مخرج من المخارج أو أكثر ، ويمكن أن نتتبع ذلك في تقسيم سيبويه لها ..

١ ـ **أقصى اللسان** : (مخرج القاف) وهو الصوت الوحيد من هذا المخرج وقد حدده قائلاً : « من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى »[5] .

٢ ـ **وسط اللسان** : (مخرج الجيم والشين والياء) وقد حدده قائلاً : « من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى »[6] .

٣ ـ **حافة اللسان** : وهو لمخرجين هما (مخرج الضّاد) و (مخرج اللام) وهما يخرجان من موضعين من الحافة هما :

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١/١٠٥٥ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) سر الصناعة ١/٤٧ .

(٤) النشر في القراءات العشر ١/٢٠٠ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٦) نفسه ٤/٤٣٣ .

أ ـ أول الحافة : (مخرج الضاد) من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[1] .

ب ـ أدنى الحافة : (مخرج اللام) من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية[2] .

٤ ـ طرف اللسان : وهو لأربعة مخارج هي :

١ ـ (مخرج النون) : « ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا »[3] .
٢ ـ (مخرج الضاد والدال والتاء) : « مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا »[4] .
٣ ـ (مخرج الزاي والسين والصاد : « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا »[5] .
٤ ـ (مخرج الظاء والذال والثاء : « مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا »[6] .

وهذه التقسيمات هي التقسيمات الحديثة نفسها ، فأغلب الباحثين المحدثين يقسمون اللسان إلى : أقصى اللسان ، ووسط اللسان ، وطرف اللسان ويسمون[7] « وسط اللسان » . وهم[8] يعدون هذا داخلاً في ما اصطلح على تسميته بـ « طرف اللسان » ، إلا أن المحدثين لا يولون حافة اللسان ذكراً ، ولعل ذلك عائد إلى تغير نطق صوتي « اللام » و « الضاد » وعدم اشتراك الحافة في مخرجها الآن ، فالضاد المعروفة اليوم في

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(٢) الكتاب ، بولاق ٢/٤٠٥ .
(٣) الكتاب ، ٢/٤٠٥ .
(٤) الكتاب ، ٤/٤٣٣ .
(٥) الكتاب ، ٤/٤٣٣ .
(٦) الكتاب ، ٤/٤٣٣ .
(٧) علم اللغة العام ـ الأصوات ٦٩ .
(٨) علم اللغة ١٤٨ .

ألسن المثقفين والمقرئين ليست هي الضاد الانحرافية ، وإنما تغيرت إلى النظيرة المطبقة للدال عند قوم ، أو الظاء عند آخرين .

والمحدثون لم يتفقوا على بقية المواضع من اللسان اتفاقاً تماماً ، بل اختلفوا في التسميات فالدكتور أنيس[١] يقسمها ثلاثة أقسام ، هي : أول اللسان ، ووسطه وأقصاه . ويشاركه في ذلك الدكتور حسام النعيمي[٢] .

أما الدكتور أحمد مختار عمر[٣] فيقسمه إلى خمسة أقسام هي : حد اللسان ، وطرف اللسان ، ومقدمة اللسان ، ومؤخرة اللسان وأصل اللسان ، ويشترك في هذا التقسيم معه ، الدكتور صلاح حسنين[٤] ، عدا أنه يخالفه في الجزء الأول «حد اللسان» ويجعلها أربعة أجزاء .

ولكن بتأمل هذه التقسيمات نجدها لا تبعد عن تقسيمات سيبويه بل إنها هي ، عدا أنها تحاول الخروج من حدود مصطلحه الذي وضعه لها فيعجزها الحال ، وهذه الاختلافات في وضع المصطلح أيضاً ، ليست خلافات في الوضع أصلاً وإنما هي خلافات في الترجمة ، فكثير من هذه الألفاظ زيادتها تعود إلى أنها ترجمات من اللغات الأخرى تختلف من شخص إلى آخر ، وجميع هذه الترجمات تكاد تتفق على التقسيمات الأساسية للسان عند سيبويه وهي أقصى ، ووسط ، وطرف ، ويتضح ذلك من النظر إلى الجدول الآتي :

---

(١) الأصوات اللغوية ١٨ .

(٢) الدراسات اللهجية ٢٩٦ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي ٨٦ .

(٤) المدخل إلى علم الأصوات ٢٠ .

التقسيمات

	الاسم	١	٢	٣	٤	٥
١	سيبويه[١]	طرف اللسان		وسط اللسان	حافة	أقصى اللسان
٢	محمد يعقوب تركستاني[٢]	طرف اللسان		وسط اللسان	حافة	أقصى اللسان
٣	إبراهيم أنيس[٣]	أول اللسان		وسط اللسان		أقصى اللسان
٤	كمال بشر[٤]	طرف اللسان		وسط = مقدم		أقصى = مؤخر
٥	تلفيله[٥]	طرف اللسان		وسط = مقدم		أقصى = مؤخر
٦	مختار عمر[٦]	حد اللسان		مقدم	مؤخر	أصل
٧	ماليرج ـ شاهين[٧]	طرف apex	قبل وسطي	وسط = ظهر dorsum		
٨	محمد علي الخولي / معجم[٨]	ذلق apex	مقدم front	وسط center	مؤخر	جذر
٩	عبد الرحمن أيوب[٩]	الحاجز الأوسط	جانبان	طرف	ظهر	قاعدة

التجويف الأنفي : وهو ما أطلق عليه القدماء تسمية « الخياشيم » يقول الزمخشري : « رجل أخشم » ، وبه خشم ، وهو الذي لا يجد الروائح لسدّة في خياشيمه[١٠].

وهو تجويف واسع نسبياً ، يتصل مع الخارج بفتحتي الأنف ، ومن الداخل بفتحة تؤدي إلى أقصى الفم حيث تطل على الحنجرة مباشرة ، ويتحكم في فتحها وإغلاقها الحنك

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ٧٩ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٨ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ٦٩ .

(٥) لغويات ١٧٣ .

(٦) دراسة الصوت اللغوي ٨٧ .

(٧) علم الأصوات ٥٩ .

(٨) معجم علم اللغة النظري ٧٩ .

(٩) أصوات اللغة ٧٢ .

(١٠) أساس البلاغة ١١١ .

اللين واللهاة الممتدة منه . والتجويف « فراغ معقد التركيب »[1] ، يستعمل فراغاً رناناً ، يصدر صوتاً يطلق عليه مصطلح (الغنة) ، ويكون ذلك عند نطق صوتي (الميم) و (النون) ، كما أنه « يفخم بعض الأصوات حين النطق »[2] ، وهو من أعضاء جهاز النطق الثابتة[3] .

وقد خص سيبويه هذا الفراغ لصوت (النون) الخفيفة فقط فقال : « من الخياشيم مخرج النون الخفيفة »[4] ، ولم يقل : الغنة وإنما استعمل لفظ (النون الخفيفة) وهو كما يبدو نظر إلى الرموز أو الحروف التي للأصوات -. وليس لصوت الغنة رمز معروف -، وهو يتحدث عن مخارج الحروف ، والحروف هي رموز حددها قبل أن يذكر المخارج ، وليس من هذه الحروف ما يسمى « بالغنة » ، فهو إذن لم يذكر الغنّة في معرض حديثه عن المخارج وسمى ما يخرج من الخياشيم (نوناً خفيفة) ، ولكنه ذكر الغنة في موضع آخر ، قال : « ومن الحروف حروف لا تدغم في المقاربة ، وتدغم المقاربة فيها وتلك الحروف : الميم ، والراء والفاء والشين ، فالميم لا تدغم في الباء ، وذلك قولك : (أكرم به) ، لأنهم يقلبون النون ميماً في قولهم : المنبر ، ومن بدا لك ، فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرون إليه من النون لم يغيروه ، وجعلوه بمنزلة النون ، إذ كانا حرفي غنة »[5] .

أما ابن جني فقد تبع سيبويه في قوله : إن مخرج الخياشيم للنون الخفيفة ، ولكنه أطلق عليها تسمية الخفيّة وهي تسمية صائبة ، فهناك فرق بين اللفظين ، وليست الخفيفة في ظاهر اللفظ إلا الساكنة وهي ليست مقصودة بالغنة ، إنما هي الخفية التي تخفى إذا اتبعت حروف الإخفاء[6] ، ومما يوضح أن هذه الغنة ليست مجرد نون ساكنة أن سيبويه

(١) محاضرات في اللغة ٦٢ .
(٢) الأصوات اللغوية ١٨ .
(٣) محاضرات في الألسنية ٥٩ .
(٤) الكتاب ٤/٤٣٤ .
(٥) الكتاب ٤/٤٤٧ .
(٦) الدراسات اللهجية ٣١١ .

جعل مخرج النون « من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا »[1] ، غير مخرج الغنة التي أطلق عليها النون الخفيفة ، إلا أن ابن الجزري ، كان أكثر دقة حين قال « الخيشوم ـ وهو للغنّة ، وهي التي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء »[2] . وهو بهذا جعل الغنة صوتاً مستقلاً ، وقد أشار إلى أنه يكون مع صوتي (الميم) و (النون) ولكنه ليس نوناً وليس ميماً ، أما صاحب (الرعاية) فقد أفرده من بين الحروف تقريباً ، وهو بذلك نظر نظرة علمية مجردة عن التأثر بالحروف ـ الرموز ـ حين قال : « والغنة حرف مجهور شديد لا عمل للسان فيه »[3] .

وسوف نعود لدراسة الغنة في مبحث صفات الأصوات .

أما تعريف علماء العربية للخيشوم ، فإننا نجد ذلك عند علماء التجويد لعنايتهم الفائقة بالأصوات ومخارجها ، وتفصيلهم لهذه المخارج ، وقد توصلوا إلى نتائج باهرة عرفها الباحثون في علم اللغات الأخرى مؤخراً يقول مكي : « والخيشوم الذي تخرج منه هذه الغنة هو المركب فوق غار الحلق »[4] ، وهو تعريف لوضع الخيشوم صحيح ، إلا أن الداني أكثر دقة في تعريفه حين يقول : « والخيشوم الخرق المنجذب إلى داخل الفم »[5] ، أما ابن الجزري فيكرر عبارة الداني قائلاً : « والخيشوم خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم[6] .

ومن هذه التعاريف ، تتضح صورة الفراغ الأنفي أو الخيشوم ، كما عرفه علماء

---

(١) الكتاب ، بولاق ٢/٤٠٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢٠١ .

(٣) الرعاية ٢٤٠ .

(٤) الرعاية ٢٤٠ .

(٥) التحديد في الإتقان والتجويد ١١١ .

(٦) التمهيد في علم التجويد ١٧١ .

العربية ، وهو تعريف يجمع بين طياته التعريف الحديث نفسه ، فالمحدثون يفضلون تسميته بالتجويف ، وهو ما أراده الداني بقوله خرق الأنف ، وهذا الخرق فوق غار الحلق ، وهو ما يوافقهم عليه علماء الأصوات ، أما وصف هذا الخرق وصفاً تشريحياً ، فهو شيء لا يحتاج له من أراد أن يعرف الغنة ومكان خروجها ، وهو مطلب علم الصوت اللغوي .

الشفتان : وهما من « أعضاء النطق المهمة »[١] ، المتحركة[٢] ، ودورهما في تأدية الحركات أبرز من دورهما في تأدية الأصوات الصامتة ، ولذلك نجد أن اللغات الأخرى تعوّل عليهما في دراسة أصواتها كثيراً ، وتتخذ الشفتان أوضاعاً مختلفة انطباقاً وانفراجاً[٣] ، وعند انطباقهما يحجزان الهواء الخارج من الرئتين ، ثم ينفرجان فجأة ، بإحداث صوت انفجاري هو صوت الباء أو صوت الميم ، أما في حالة انفراجهما مع أوضاع خاصة للسان ، فإنهما يعملان على تكوين المصوتات ، فحين تضم الشفتان ، ويرفع مؤخر اللسان ، ويسد المجرى الأنفي ، ويتذبذب الوتران الصوتيان ، ويجري الصوت ، فإن ذلك الصوت هو صوت (الضمة)[٤] ، أو (واو المد)[٥] .

أما إذا ضاق ما بين مؤخر اللسان والحنك بحيث كان الحفيف ، فإن ذلك الصوت هو صوت الواو[٦] .

أما تباعد الشفتين مع هبوط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم ،

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ٧١ .

(٢) علم اللغة ١٤٩ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٨ كذلك : مخارج الحروف ٧٩ .

(٤) مناهج البحث في اللغة ١٣٥ .

(٥) الأصوات اللغوية ٣٣ .

(٦) الأصوات اللغوية ٣٣ .

بحيث يستوي في قاع الفم ، مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك[1] فيحدد صوت (الفتحة) أو امتدادها وهو (الألف) .

أما تقارب الشفتين بانفراج عريض ، مع صعود « أول اللسان نحو الحنك الأعلى »[2] فيكون صوت (الكسرة) ، أو امتدادها وهو (الياء) .

والشفتان ، هما مخرج لثلاثة أصوات[3] ، هي الباء والميم والواو كما هو عليه الآن أكثر الباحثين ، إلا أن صوت الواو يستثنى منها عند بعض[4] الدارسين ، فيعده صوتاً انزلاقياً ، وهو يعني أنه صوت تركيبي مركب من حركتين أو من صائتين ؛ ولذلك فإن الشفتين ، لا تكون مخرجاً له في هذه الحال ، وإنما مخرجه الحنك الرخو مع الشفتين ، وهذا المخرج تشترك فيه الشفتان ، ولذلك يسميه بعض الباحثين[5] « شفوي مزدوج » ، تعريفاً له باشتراك الشفتين فيه وتمييزاً به عن مخرج آخر تشترك فيه الشفة السفلى مع الأسنان العليا ، بينما يطلق عليه آخر[6] تسمية (شفتاني) ، نسبة إلى الشفتين معاً ، والتسمية لا تراعي حرمة البنية العربية ، إذ لا تكون النسبة إلى المثنى ، ولكنهم يرمون في ذلك إلى دقة التعبير ، ولكن الأغلب الذي عليه أكثر الباحثين[7] هو استعمال مصطلح (شفوي) .

وقد حدد الخليل[8] الأصوات الشفوية بأنها « الفاء والباء والميم » ، وخالفه سيبويه[9] في

---

(1) الأصوات اللغوية ٣٢ .

(2) الأصوات اللغوية ٣١ .

(3) الألسنية العربية ٤٦ .

(4) المنهج الصوتي للبنية العربية ٣٠ .

(5) الألسنية العربية ٤٦ .

(6) دراسة الصوت اللغوي ٩٣ .

(7) الأصوات اللغوية ٤٥ ومناهج البحث ١١٩ وعلم اللغة العام - الأصوات ٨٩ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ٤٨ .

(8) العين ٥٧ .

(9) الكتاب ٤/٤٣٣ .

صوت (الفاء) ، وعده شفوياً أسنانياً إلا أنه استبدل بصوت (الفاء) صوت (الواو) ، وقد وافقه على هذا الحذف وهذه الإضافة ابن جني[1] ، وابن الجزري[2] ، وقد حدد ابن الجزري صوت الواو بأنها غير المدية ، وهو تحديد ذكي ، يتفق مع الدقة التي حرص عليها في كتابه .

والشفتان تعملان على زيادة فراغ الفم ، وإطالته ، وهذا يساعد على إخراج أصوات متنوعة ولا سيما الحركات .

المخارج : هي المواضع التي يتكون فيها الصوت . « فالمخرج مكان النطق »[3] وقد تشترك بعض الأصوات في مخرج واحد وهو الأغلب ، فتفرق بينها الصفة ، وكذلك ربما اختلفت بعض الأصوات في المخرج واتحدت في الصفة .

المخرج :

المعنى اللغوي : جاء في (اللسان) : « الخروج نقيض الدخول ، خرج يخرج خروجاً ومخرجاً ، فهو خارج وخُرُوج وخَرّاج ، وقد أخرجه وخرج به .

الجوهري : قد يكون المخرج موضع الخروج . يقال خرج مخرجاً حسناً ، وهذا مخرجه . وأما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه »[4] .

المعنى الاصطلاحي : وهو « النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء ، والتي يصدر الصوت فيها »[5] .

---

(١) سر الصناعة ٤٧/١ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٠١/١ .

(٣) مناهج البحث في اللغة ٨٤ ، والألسنية العربية ٤٣ .

(٤) اللسان ٢٤٩/٢ .

(٥) مدخل إلى علم اللغة ٤٢ ، والعربية ولهجاتها ١١ ، وكلام العرب ٧ ، والمدخل إلى علم الأصوات ٢٩ .

مصطلح المخرج : من مصطلحات الخليل ، فقد استعمله محدداً مواضع خروج الأصوات ، فالأصوات الذلقية « تخرج من ذلق اللسان »[1] ، والشفوية « مخرجها من بين الشفتين »[2] والهمزة سميت « حرفاً هوائياً لأنها تخرج من الجوف »[3] ، إلا أن مصطلح « المخرج » ، لم يكن مستقراً عنده استقراراً تاماً ، فقد استعمل لفظاً آخر أدى به معنى المخرج وهو (المبدأ) ، ومع اختلاف معنى اللفظين إلا أن كلمة المبدأ في حديثه حملت معنى المخرج في قوله : « فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأهما من اللهاة والجيم والشين والضاد شجرية ، لأن مبدأها من شجر الفم »[4] وهكذا ..

إلا أن معنى مصطلح (المخرج) كان واضحاً محدداً لديه ، وكأنه أراد باستعماله كلمة (المبدأ) توضيح معاني حلقية ، ولهوية ، وشجرية وغيرها من المصطلحات ، والذي يؤكد وضوح معنى مصطلح (المخرج) هو تقسيمه له إلى أحياز ، فالحيز هو جزء من المخرج ، حين يكون المخرج مشتملاً على مجموعة أصوات ، لذا فإن هذا المخرج يتوزع إلى أحياز كل حيز يصدر منه عدد من الأصوات تختلف من الصفة ، فالحلق مخرج يشتمل على حيزين الأول للعين والحاء والهاء ، والثاني للغين والخاء[5] .

وعلى الرغم من جمعه بين الهاء والعين والحاء : إلا أن تقسيم الحلق إلى أحياز يدلل على وضوح مصطلح « المخرج » عنده ، كما أنه استعمل للحيز لفظاً آخر هو المدرج[6] .

وقد تبعه في استعمال مصطلح « المخرج » سيبويه[7] ، واستعمله كل العلماء الذين

---

(١) العين ٥٧ .

(٢) العين ٥٧ .

(٣) العين ٦٤ .

(٤) العين ٦٥ .

(٥) العين ٦٤ .

(٦) العين ٦٤ .

(٧) الكتاب ٤٣١/٤ .

أتوا بعدهما ، وقد اعترض على التسمية في العصر الحديث المستشرق الألماني شاده ، ورأى أن التسمية لا تؤدي المعنى المراد منها ، فالمخرج « هو الطريق الذي يتسرب منه النفس إلى الخارج »[1] وقد رد الدكتور إبراهيم أنيس كلامه بأن المصطلح اشتهر بين الدارسين بهذا المعنى ، وأن تغيير المصطلح لا مسوغ له ، والواقع أن هناك آخرين لم يفضلوا مصطلح (المخرج) فاقترح بعضهم بديلاً له كلمة (محبس)[2] مفضلاً إياها للسبب نفسه الذي ذكره شاده ، وهو اقتراح مردود أيضاً ، وليس من حق العلماء المحدثين أن يغيروا أو يبدلوا مصطلحاً علمياً سار على استعماله علماء كثر ، على مدى سنين طويلة ، وورد من عالم هو الخليل ، ولا سيما أن المعنى اللغوي للكلمة قريب الصلة من المعنى الاصطلاحي .

غير أن هناك تسمية أخرى شاعت في كتب القدماء ، إلا أنها لم تزحزح هذا المصطلح عن مكانه بل أكدت وجوده ، هذه التسمية هي (المقطع) ، وقد ذكر ابن جني المقطع ، ويفهم من حديثه أن المقطع هو المكان الذي ينحبس فيه الهواء إما انحباساً تاماً في الأصوات الشديدة أو غير تام في الرخوة . فالمقطع هو ما يثني النفس عن امتداده ، أي هو مكان خروج الصوت أو المخرج ، إلا أن ابن جني أورد عبارة يستفاد منها أن المقطع هو الصوت وهي قوله : « فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً »[3] وهذا الاستعمال تجده عند القرطبي في قوله : « فالحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتداً مستطيلاً ، فتمنعه عن اتصاله بغايته ، فحيثما عرض ذلك المقطع سمي حرفاً ، ويسمى ما يسامته ويحاذيه من الحلق . والفم واللسان والشفتين مخرجاً »[4] إلا أن المقطع استعمل مرادفاً للمخرج عند المرعشي في قوله : « ومراده من

---

(١) الأصوات اللغوية ١١٢ .

(٢) الوجيز في فقه اللغة ١٦١ .

(٣) سر الصناعة ٦/١ .

(٤) الدراسات الصوتية ١٢٢ .

المقطع هو المخرج ؛ لأن الصوت ينقطع من المخرج »[1] ، وكذلك في قول ابن يعيش : « والمخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده »[2] .

يقول الدكتور رمضان عبد التواب : « أما قدامى اللغويين من العرب ، فإن التقسيمات عندهم متداخلة ، والتعريفات ليست واضحة في كثير من الأحيان ، فهم يرون مثلاً أن الأصوات كلها تنشأ من أقصى الحلق ، ويسمون ذلك المكان (المقطع) ثم يتحدد الصوت عن طريق حصره في مكان ما من الفم ، ويسمون ذلك المكان (المعتمد) »[3] وهذا الاستنتاج الذي يورده الدكتور رمضان حول المقطع ينفيه ابن يعيش والقرطبي ، فالمقطع لا يعني (الحلق) وإنما هو المكان الذي يحدث فيه اعتراض للهواء الخارج من الرئتين فينقطع هذا الهواء عند العارض فيسمى المكان مقطع الصوت[4] ، وواضح أن الكلمة يرتبط معناها بالمخرج ارتباطاً وثيقاً إلا أنها لم تستعمل بديلاً للمخرج وإنما تقريباً للمصطلح ورديفاً للحرف ، وهذا ما ذكره ابن جني وتبعه فيه القرطبي وغيره .

وعلى ذلك نقول : إن المقطع كان مصطلحاً وضع ليؤدي معنى المخرج ، إلا أنه لم يستطع أن يكتسب الشيوع ، على الرغم من أنه كان أقرب من معناه إلى المراد ، ولم يتيسر له عالم كبير له تأثير نفسي عظيم مثل الخليل أو سيبويه ، وهو ما حدث لمصطلح المخرج .

ومن الجدير بالذكر أن ابن دريد في (الجمهرة) أورد لفظ (المأخذ) مكان المخرج في قوله : « الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين مأخذهن من أقصى الحلق إلى

(١) الدراسات الصوتية ٦١ .

(٢) شرح المفصل ١٠/١٢٤ .

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٣٩ .

(٤) سر الصناعة ٦/١ .

أدناه »[1] إلا أن ذلك لم يطرد لديه فقد كان يستعمل مصطلح (المخرج) في كل المواضع .

رأي الدكتور تمام : رأى الدكتور تمام أن النحاة العرب خلطوا خلطاً كبيراً في تحديد مخارج الأصوات ، وهي تهمة كما أراها جائره ، فإن صنيع النحاة العرب في المخارج صنيع استحق إعجاب علماء الأصوات في العصر الحديث ، وقد قال كانتينو : « إن نظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب نظرية أحكموا ضبطها بعناية »[2] .

ولم يأت الدكتور تمام بحجة يؤيد بها كلامه ، وكل ما قاله هو : « وحسبك أن ترى ابن الجزري يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها » حتى إذا عد سبعة عشر مخرجاً وجدناه يسمي النون مثلاً مرة زلقية ، لأنها تخرج من زلقة اللسان ، ومرة خيشومية ؛ لأنها تنطق من تجويف الأنف وهو الخيشوم ، ومرة ثالثة يقول : إنها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا ، فهو بهذا يعطي النون مخرجاً خاصاً حيناً ، ويجمعها مع الراء واللام حيناً ، ويضمها إلى الميم في مخرج حيناً آخر »[3] ، ولم يحدد ابن الجزري للنون إلا مخرجاً واحداً فقط وهو : « من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً »[4] وقد فرق بين مخرجه ومخرج اللام بقوله : « أسفل اللام » ، كما فرق بين مخرجه ومخرج الراء حين عد الراء « أدخل في ظهر اللسان قليلاً »[5] ، وأما أن تكون هذه الأصوات الثلاثة متقاربة المخارج فليس هذا إلا من قبيل وضع الأمور في نصابها ، فالمحدثون أيضاً يعدونها متقاربة المخارج يقول الدكتور أنيس : « أما وجه

---

(١) جمهرة اللغة ٦/١ .

(٢) دروس في علم أصوات العربية ٣٦ .

(٣) مناهج البحث في اللغة ١١١ .

(٤) النشر في القراءات العشر ٢٠٠/١ .

(٥) النشر في القراءات العشر ٢٠٠/١ .

الشبه بين أفراد هذه المجموعة الفرعية (يقصد اللام والراء والنون) كما يراه المحدثون فهو أنها مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي »[1] ، ولم يجمع ابن الجزري الثلاثة في مخرج واحد ، وأما إطلاقه صفة الذلقية عليها ، فليس يعد ذلك خلطاً في تحديد مخرج كل واحد منها ، وإنما هو إحساسه بالعلاقة الصوتية[2] بينها ، وأما قول الدكتور : إنه خلط حين عد النون مخرجها الخيشوم ، فهو أيضاً كلام ينقصه الدقة ، فإن ابن الجزري كان أكثر دقة ممن سبقوه في حديثه عن المخرج الخيشومي ، فلم يقل : إنه للنون الخفيفة ، كما قال سيبويه[3] ولم يقل الخفية ، كما قال ابن جني[4] ، وكلاهما مصيب ولكنه توخى الدقة أكثر والإصابة ، وقد منحه ذلك درايته الحاذقة بالتمييز بين الأصوات ، فقال عن المخرج الأخير : « الخيشومي - وهو للغنة وهي تكون من النون والميم »[5] ، لم يقل وهي للنون ولا للميم ، وليست الغنة من وجهة النظر الحديث (وحده صوتية) فنقول : إن ابن الجزري جعل لصوتين مخرجاً واحداً ، ولكنها فرع للنون كما هي فرع للميم وهي ليست نوناً ولا ميماً فليس في الأمر خلط ولا إيهام .

عدد المخارج : اختلف علماء العربية في عدد مخارج الأصوات .

أما الخليل[6] فقد عدها سبعة عشر مخرجاً ، وأما تلميذه سيبويه[7] فعدها ستة عشر مخرجاً ، مستبعداً منها مخرج الجوف .

---

(١) الأصوات اللغوية ٦٢ .
(٢) الأصوات اللغوية ٦٣ .
(٣) الكتاب ٤/٤٣٤ .
(٤) سر الصناعة ١/٤٨ .
(٥) النشر في القراءات العشر ٢٠١ .
(٦) النشر في القراءات العشر ١/١٩٨ .
(٧) الكتاب ٤/٤٣٣ .

وأما قطرب والجرمي[1] فعداها أربعة عشر مخرجاً ، وجعلا مخرج اللام والنون والراء مخرجاً واحداً .

وقد كان لكل رأي من هذه الآراء أشياع وأنصار ، فقد تبع الخليل مكي بن أبي طالب[2] وأبو القاسم الهذلي[3] ، وأبو الحسن شريح[4] ، وابن الجزري[5] ، وغيرهم ، وكان عندهم هو الصحيح المختار ، كما تبع سيبويه ابن جني[6] والداني[7] والقرطبي[8] وغيرهم ، كما كان ابن كيسان[9] ، والفراء[10] وابن دريد[11] من أتباع الجرمي وقطرب ، ولكن رأي سيبويه هو الذي كان أكثر شيوعاً وذيوعاً .

وهذا الاختلاف كان السبب في وجوده قصور الأدوات التي كانت تستخدم في التعرف على أجهزة النطق ، ولذلك فقد كانوا يستعملون ـ على الأغلب ـ وضع اليد على الحنجرة للتعرف على مواضع الأصوات في الجهاز الصوتي ، إلا أن هذا الاختلاف كان اختلافاً ضئيلاً جداً موازنة مع مقدار الاتفاق الذي كانوا يجمعون عليه .

بل يمكن القول : إن هذا الاختلاف هو اختلاف عرضي وليس جوهرياً ، فقد وضعوا نظاماً لمخارج الأصوات لم يضف إليها المحدثون شيئاً على الرغم من الاكتشافات

---

(١) النشر ١٩٨/١ ، والرعاية ٢٤٢ .
(٢) النشر ١٩٨/١ .
(٣) النشر ١٩٨/١ .
(٤) النشر ١٩٨/١ .
(٥) النشر ١٩٨/١ .
(٦) سر الصناعة ٤٦/١ .
(٧) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٤ .
(٨) الموضح في التجويد ٧٨ .
(٩) النشر ١٩٩/١ .
(١٠) النشر ١٩٩/١ .
(١١) النشر ١٩٩/١ .

العلمية التي يسرت كثيراً من الأدوات في مجال التعرف على مخارج الأصوات ، وهذا النظام لم يسع الأوربيون إلا أن يعجبوا به ويكبروه ، يقول جان كانتينو : « ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب نظرية أحكموا ضبطها بعناية فهم يقسمون مخارج الحروف إلى ستة عشر مخرجاً »[1] . وهذا الإحكام الذي ذكره يعود إلى موافقة تقسيم علماء العرب مع التقسيم الحديث .

وهذا ما ذكره برجشترامر بعد استعراضه لمخارج الأصوات كما ذكرها علماء العربية قائلاً : « فهذا كله صحيح ما فيه شك ، من وجهة نظر علماء الغرب »[2] ، كما ذكره كانتينو أيضاً قائلاً : « وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جليّة ملحوظة وموافق تقريباً لترتيبنا نحن »[3] وهذا يعني أن نظرية المخارج هي من المباحث الصوتية الرائدة في الدراسات الصوتية ، وهو سبق للعرب في مجال الدراسات الصوتية عامة .

تسميات المخارج : سوف نذكر مخارج الحروف كما هي عند سيبويه مشيرين في ذلك إلى زيادة المخرج الذي زاده الخليل ، وإلى النقصان الذي حصل عند قطرب والجرمي ، وهذا يسمح بالجمع بين الآراء المختلفة في المخارج ، وهو يفيدنا في منهجنا الذي يعرض إلى استقصاء الآراء جميعها ، إلا أن ذلك لا يمنع من التأكيد على صحة تقسيم سيبويه الذي تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة .

الحلق :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الحلق مساغ الطعام والشراب في المرئ ، ... الأزهري : مخرج النفس من الحلقوم ، وموضع الذبح هو أيضاً من الحلق ... وقال

---

(1) دروس في علم أصوات العربية ٣١ .

(2) التطور النحوي ١٢ .

(3) دروس في علم أصوات العربية ٣٢ .

أبو زيد : الحلق موضع الغلصمة والمذبح ... وحلوق الأرض : مجاريها وأوديتها على التشبيه بالحلوق التي هي مساوغ الطعام والشراب »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهو الفراغ الذي « بين الحنجرة والفم »[2] .

أصوات الحلق : وهي : « الغين ، الخاء ، العين ، الحاء ، الهاء ، الهمزة »[3] .

مصطلح الحلق : من مصطلحات الخليل ذكره لأصوات خمسة فقط وهي « العين والحاء والهاء والخاء والغين »[4] فهي حلقية لأن مبدأها من الحلق ، وقد استثنى الهمزة جاعلاً مخرجها من الجوف[5] ، لا من مدارج الحلق ، أما سيبويه فقد جعلها سبعة مضيفاً الألف إلى الستة المذكورة ، وقد تبع سيبويه في الأصوات الحلقية أكثر الذين أتوا بعد ، فهي لديهم سبعة أصوات ، نجد ذلك عند الزجاجي[6] ، وابن جني[7] ، والداني[8] والقرطبي[9] والخفاجي[10] والزمخشري[11] ، وابن الطحان[12] ، وابن الأنباري[13] ،

---

(١) اللسان ١٠/٥٨ .
(٢) الأصوات اللغوية ١٨ .
(٣) الأصوات اللغوية ٨٧ .
(٤) العين ٦٥ .
(٥) العين ٦٤ .
(٦) شرح جمل الزجاجي ٤٤٥ .
(٧) سر الصناعة ١/٤٦ .
(٨) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٤ .
(٩) الموضح في التجويد ٧٨ .
(١٠) سر الفصاحة ١٩ .
(١١) المفصل ٣٩٣ .
(١٢) مخارج الحروف ٨٠ .
(١٣) أسرار العربية ٤٢٠ .

والرازي[1] ، والسكاكي[2] ، وابن عصفور[3] ، والرضي[4] ، وابن عقيل[5] ، والسيوطي[6] ، إلا أن ابن دريد ذكر في جمهرته أصوات الحلق الستة مخالفاً بذلك الخليل وسيبويه وهو الصحيح ، قائلاً : « حروف الحلق ، وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين »[7] ، وهو ما نجده عند مكي في (الرعاية)[8] ، وابن الجزري في (النشر)[9] ، وكتب التجويد المتأخرة .

فعمل الخليل بحذفه الهمزة من أصوات الحلق ، يشبه عمل سيبويه بإضافته الألف إلى أصوات الحلق ، كلاهما لم يجانب الصواب . فالهمزة : من الوترين الصوتيين ، وهو مخرج الهاء أيضاً ، أما الألف فهو حركة طويلة لا شأن للحلق بإخراجها ، وإنما يشترك في إخراجها اللسان والحنك حيث يهبط اللسان إلى « أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم ، بحيث يستوي في قاع الفم »[10] ، لذا فإن الأصوات الحلقية الصحيحة هي الستة التي ذكرها ابن دريد ، إلا أن المحدثين مع تسليمهم بأن هذه الأصوات مخرجها من منطقة الوترين حتى مؤخرة الحنك الرخو ، فهم لا ينسبون إلى الحلق منها إلا صوتين اثنين هما العين والحاء ، فيسمونهما حلقيين وبذلك يكون مفهوم الحلق لدى القدماء يختلف عنه لدى المحدثين .

---

(١) نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز ١١٨ .
(٢) مفتاح العلوم ١١٠ .
(٣) الممتع في التصريف ٦٦٨/٢ .
(٤) شرح الشافية ٢٥٠/٣ .
(٥) المساعد ٢٤٠/٤ .
(٦) همع الهوامع ٢٢٧/٢ .
(٧) جمهرة اللغة ٦/١ .
(٨) الرعاية ١٣٩ .
(٩) النشر ١٩٩/١ .
(١٠) الأصوات اللغوية ٢٢ .

الحلق بين القدماء والمحدثين : لم تتغير الأصوات الستة « الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء » في صفاتها بين القدماء والمحدثين عدا صوت الهمزة التي عدها القدماء مجهورة[1] ، وهي عند المحدثين على خلاف ، عدها بعضهم صوت « لا هو بالمجهور ولا بالمهموس »[2] ، كما عدها آخرون مهموسة مستدلين ، أن الجهر هو تذبذب الوترين[3] ، ولما كان مفهوم الجهر عند المحدثين هو تذبذب الوترين فإن الأصح هو عدّ الهمزة مهموسة ، إلا أنها في الحالين تختلف عما وصفها به القدماء من الجهر ، أما بقية الأصوات فليس هناك خلاف .

هذا الاتفاق في هذه الأصوات يمكن أن يتخذ أساساً لمعرفة منطقة الحلق عند الفريقين ، فالمحدثون لديهم للحلق صوتان فقط وهما العين والحاء ، وهذا يفيد أن منطقة الحلق هي ما بعد الحنجرة وما قبل اللهاة ، وهي المنطقة التي يطلق عليها أيضاً البلعوم ، بينما الحلق عند القدماء يشمل الحنجرة والبلعوم ومؤخرة الحنك الرخو[4] .

هذا الاتساع لمنطقة الحلق عند القدماء امتد إلى منطقة اللهاة ، مما أحدث مشكلاً ، وقف عنده المحدثون محاولين حله ، حيث إن صوتي الغين والخاء من منطقة الحنك الرخو وهي تقع بعد اللهاة ، ولعل أول الذين عرضوا لهذه المشكلة هو الدكتور تمام حسان .

رأي الدكتور تمام : عالج الدكتور تمام حسان مفهوم الحلق لدى القدماء في معرض حديثه عن تحديد النحاة للمخارج ، حين رأى أنهم خلطوا خلطاً كبيراً في تحديدها ، وقد اتخذ ابن الجزري (وهو قارئ) مثلاً لهذا الخلط في حديثه عن المخارج ، وليس حديث ابن الجزري إلا جماعاً لآراء من سبقه .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٢) الأصوات اللغوية ٩٠ .

(٣) المجلة العربية للدراسات اللغوية مج ١ ، ع ١ .

(٤) علم اللغة ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٢ .

يقول الدكتور تمام : ثم يخلط في تحديد مخارج أصوات الخاء والغين .. فيقول إن صوتي الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم وراء مخرج القاف ، مع أنها من مؤخر اللسان مع الطبق أمام مخرج القاف ، وهو يجعل الكاف خلف القاف ، والعكس أصح ، فصوت الكاف من مخرج صوتي الخاء والغين نفسه[1] ، وهذا التحديد الذي يذكره ابن الجزري ذكره من قبل سيبويه فالغين والخاء من أدنى الحلق إلى الفم ، والقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، والكاف من أسفل من موضع القاف[2] ، والذي زاده ابن الجزري هو تحديده موضع اللهاة بأنه بعد مخرج الغين والخاء حيث قال : « وقال شريح أن مخرجها (يعني القاف) من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء »[3] وهو تحديد يفهم من حديث سيبويه ومن تلاه ، إلا أن ابن الجزري صرح به نقلاً عن شريح .

والمشكلة إذن ليست في اتساع منطقة الحلق عند القدماء ، وضيقها عند المحدثين ، وإنما هي في تداخل منطقتي الحلق واللهاة ، وهو ما يفهم أيضاً من حديث سيبويه عن المخارج ، فوضع الدكتور لهذه المشكلة ، هو وضع لمشكلة قديمة منذ سيبويه ، وليست مرتبطة بقول ابن الجزري .

تتسع منطقة الحلق عند القدماء لتشمل منطقة الحنك الرخو حيث إن أدنى الحلق هو مخرج الغين والخاء[4] ، وهما صوتان حلقيان ، بينما تحدد اللهاة بأنها جزء من الحنك الرخو ، وهي طرفه المتدلي ، وهذا يعني أن مخرج القاف يقع بين مخرج العين والحاء ومخرج الغين والخاء وهو ما ينتج عنه أن صوت القاف ، واللهاة يدخلان ضمن منطقة الحلق ، وهذا لم يقل به أحد من القدماء .

(١) مناهج البحث في اللغة ١١١ ، ١١٢ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) النشر ١/١٩٩ .

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣ .

وعلى ما تقدم يمكن القول : إن تخطئة الدكتور تمام لابن الجزري هي تخطئة للقدماء ، وهو ما صرح به في قوله : « لقد خلط النحاة العرب خلطاً كبيراً »[1] ، وهذا تعجل في الرأي ، وكان الأجدر به أن يفهم مصطلح الحلق عند القدماء ، إذ إن مفهوماً سار عليه العلماء عبر أجيال طويلة لا شك أنه مفهوم له مسوغاته لديهم ، ومن غير الصحيح أن نخطئ القدماء بمفاهيمنا الجديدة ، وقد يكون هناك اختلاف بين مفهومهم والمفهوم الحديث ، ولكن لكل مفهوم ظروفه ومسوغاته ، وقد ذكر الدكتور بشر هذه المشكلة في حديثه عن مخرج القاف ، واضعاً احتمالين لها .

الأول : أن يكون علماء العربية أخطؤوا في تقدير الموضع الدقيق لنطق القاف .

والثاني : « أن العرب ربما كانوا يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا الحاضرة »[2] ، والاحتمال الثاني مردود لسبب لا يرد وهو أن سيبويه أورد في كتابه نصاً حدد به نطق القاف ، وهو من اللهاة ، أما الاحتمال الثاني ، فهو الاحتمال نفسه الذي ذكره الدكتور تمام حسان .

وقبل أن نعرض لحل مشكلة التداخل الذي وقف عندها الدكتور تمام حسان متهماً القدماء في مفهومهم ، نقف عند جملة وردت في حديثه السابق وهي تحمل اتهاماً لابن الجزري بأنه وضع صوت الكاف قبل صوت القاف ، وهو قوله : « وهو يجعل الكاف خلف القاف ، والعكس أصح »[3] ، « وهو في عبارة سابقة على هذه العبارة يقول : إن ابن الجزري وضع « صوتي الخاء والغين .. وراء مخرج القاف »[4] ، وهذا يعني أن ابن الجزري وضع الأصوات الثلاثة جميعها وراء القاف ، وهو كلام غير صحيح ؛ لأن ابن الجزري تبع من سبقه في وضع الغين والخاء أولاً ، ثم القاف ثانياً ، ثم

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١١١ .

(٢) علم اللغة العام - الأصوات ١١٠ .

(٣) مناهج البحث في اللغة ١١٢ .

(٤) مناهج البحث في اللغة ١١٢ .

الكاف ثالثاً ، وهو ما يتضح جلياً من ترتيبه لمخارج الأصوات ، فهو استنتاج غير صحيح .

رأي الدكتور النعيمي : هذا التداخل نجد إيضاحه عند الدكتور حسام النعيمي في مؤلفه (الدراسات اللهجية) ، وفي مبحثه التحول والثبات في أصوات العربية ، وقد انتهى من معالجته تلك إلى القول : إن : « الغين والخاء يمكن أن ينطقا من اللهاة قريبين من موضع القاف ، وهو ما عليه نطقنا اليوم ، ويكونان بعيدها أو قبيلها كلاهما ممكن مما يؤدي إلى الاشتباه في تعيين المخرج »[1] ، وهو رأي حسبه صحة أنه يضع حلاً لهذه المشكلة ، لأن القول بتغير مخرج القاف حل لا يسنده دليل ، على أن نص سيبويه يلغيه ، كما أن القول بخطأ القدماء هو اختيار الطريق السهل .

مخرج أقصى الحلق : لصوتي الهمزة والهاء ، وهو أول المخارج وأعمقها في الحلق ، وقد جاء ذكر هذا المخرج في كتاب (تهذيب اللغة) للأزهري نقلاً عن الخليل حيث قال : « أما مخرج الهمزة فمن أقصى الحلق »[2] ، كما جاء في (الجمهرة) قوله : « أما الهمزة منهن فمن مخرج أقصى الأصوات والهاء تليها »[3] ، أما كتاب (العين) للخليل فقد جاء فيه إشارته إلى الهمزة في مقدمة الكتاب ، حين رأى عدم إمكانية بدء التأليف « من أول : أ ، ب ، ت ، ث وهو الألف ، لأن الألف حرف معتل »[4] ، وهو الموضع الوحيد في كتاب العين الذي يمكن أن يفهم منه أن الهمزة من أقصى الحلق . أما الهاء وهي من المخرج نفسه فقد جاءت في ترتيب أصوات الحلق الخمسة ، وهي (ع ح هـ غ خ) بين صوتي العين والحاء ، وصوتي الغين والخاء ، وهو اضطراب واضح ينزه الخليل

---

(1) الدراسات اللهجية ٣٠٧ .
(2) تهذيب اللغة ٤٤/١ .
(3) جهرة اللغة ٧/١ .
(4) العين ٥٢ .

عنه ، وإذا كانت هناك جامعة تجمع بين الهمزة والهاء في كتاب تهذيب اللغة الذي يردد فيه كلام الخليل في العين فهو وصفها معاً بالهتة فالهمزة « مهتوتة[1] » والهاء أيضاً « فلولا هته في الهاء ... لأشبهت الحاء »[2] ، وعلى الرغم من ضعف هذه الصلة التي تجمع الصوتين في مخرج واحد إلا أنها هي الصلة الوحيدة الموجودة في كتاب العين ، أما عدة أصوات الحلق ستة فقد أكده مكي في (الرعاية)[3] .

ويستقر هذا المصطلح في كتاب (سيبويه) مع إضافته صوتاً ثالثاً هو صوت الألف حين يقول ذاكراً مخارج الأصوات : « فللحلق منها ثلاثة ، فأقصاها مخرجاً ، الهمزة ، الهاء ، والألف[4] » ، وقد عد هذا مأخذاً عليه فقد ذكر المحدثون أن ما يؤخذ على سيبويه هو إقحامه في أصوات الحلق « ماسماه بالألف »[5] وهي عبارة ، تحمل في طياتها إنكاراً للألف ، لا سيما أن ابن جني ذكر في (سر الصناعة) قوله : « اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة »[6] وهذا الذي رآه الدكتور أنيس ، وهو أن ذكر الألف هنا هو مرادف للهمزة ، فسيبويه في رأيه « ربما أراد بكلمة (الألف) تفسير المقصود من كلمة الهمزة التي فيما يبدو كانت مصطلحاً صوتياً غير مألوف في أيامه »[7] ، وهو تفسير كما يبدو لا يتضمن إلا اعتذاراً[8] لسيبويه ، إذ إن الألف غير الهمزة في كتابه ، وهو موضح في أكثر من موضع .

---

(١) تهذيب اللغة ١/٤٤ .

(٢) تهذيب اللغة ١/٤٨ .

(٣) الرعاية ١٣٩ .

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٥) الأصوات اللغوية ١١٤ .

(٦) سر الصناعة ١/٤١ .

(٧) الأصوات اللغوية ١١٥ .

(٨) الدراسات اللهجية ٢٠٣ .

وإضافة الألف إلى أصوات أقصى الحلق ، ذكره المبرد [1] ، والزجاجي [2] ، وابن جني [3] ، والداني [4] ، والقرطبي [5] ، والخفاجي [6] ، والزمخشري [7] ، وابن الطحان [8] ، وابن الأنباري [9] والرازي [10] وغيرهم ، أما مكي في (الرعاية) [11] فهو يذكر الألف مع أصوات الحلق مرة ، ويخرجها منها مرة أخرى ، مما يفيد اضطرابه في ذلك .

أما ابن الجزري فإن مصطلح « أقصى الحلق » يأخذ في كتابه موضعه الصحيح فهو لصوتي الهمزة والهاء ، وهو لا يجانب الدقة حين يجعلها في مرتبة واحدة ، حين يقول : « قيل على مرتبة واحدة وقيل الهمزة أول » [12] ، وهذا ما يقوله المحدثون ، حين يجعلون هذين الصوتين أعمق الأصوات ، ويجعلونها من مخرج واحد هو الوتران الصوتيان ، وهم يصفونها بالحنجريين نسبة إلى الحنجرة [13] . ولم يذكر مكي في (الرعاية) مصطلح « أقصى الحلق » ، وهو شائع في كتب المتقدمين والمتأخرين ، وإنما استعمل لفظة أخرى هي « أول الحلق » قائلاً : « الألف مخرجها من مخرج الهمزة والهاء من أول الحلق » [14] .

---

(١) المقتضب ١٩٢/١ .

(٢) شرح جمل الزجاجي ٤٤٥ .

(٣) سر الصناعة ٤٦/١ .

(٤) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٤ .

(٥) الموضح في التجويد ٧٨ .

(٦) سر الفصاحة ١٩ .

(٧) المفصل ٢٩٣ .

(٨) مخارج الحروف ٨٠ .

(٩) أسرار العربية ٤٢٠ .

(١٠) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١١٨ .

(١١) الرعاية ١٢٩ ، ١٦٠ .

(١٢) النشر ١٩٩/١ .

(١٣) علم اللغة العام - الأصوات ٩٠ .

(١٤) الرعاية ١٦٠ .

هـذا المخرج يعرف في العصر الحـديث[1] بـالمخرج الحنجري نسبـة إلى الحنجرة ، ولا يطلق عليه صفة حلقي ؛ لأن الحلق عند المحـدثين هو المنطقـة التي تلي هـذا المخرج وتلي الحنجرة .

مخرج أوسط الحلق : لصوتي العين والحاء ، وهو المخرج الثاني من مخارج الحلق ، كما هو معروف عند علماء العربية قديماً أما المحـدثون[2] فـإن الحلق عنـدهم يقتصر على هـذه المنطقة فقط فأصوات الحلق هما اثنان العين والحاء لا غير .

ذكر سيبويه[3] « أوسط الحلق » في تقسيمه الحلق إلى أقسام ثلاثة أقصى ، وأوسط ، وأدنى ، وقـد نص مكي[4] بن أبي طـالـب على أن العين قبـل الحـاء ، وهـو ظـاهر كـلام سيبو يـه ، كما رأى ابن الجزري[5] ، وقـد أشـار الخليل إلى تقـارب هـذين الصوتين حين عدهما أقصى الأصوات في الحلق ، فقال : « أقصى الحروف كلهـا العين ، ثم الحـاء ، ولولا بحة في الحـاء لأشبهت العين لقرب مخرجهـا من العين »[6] ، وهو سوّى في المخرج بينهما ، إلا أنه جعل العين أعمق في الحلق .

ولما كانت منطقة أوسط الحلق عند القدماء هي منطقة الحلق عند المحدثين ومنطقة الحلق أيضاً يطلق عليها البلعوم ، فإن صوتي العين والحاء عنـد المحـدثين يوصفـان بـأنهما حلقيان[7] ، كما يوصفان بأنهما بلعوميان[8] ، وهذان الصوتان يميزان اللغـات السـاميـة

---

(١) علم اللغة ١٩٦ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ٩٠ .

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٤) الرعاية ١٦٢ .

(٥) النشر ١٩٩/١ .

(٦) العين ٦٤ .

(٧) علم اللغة ١٩٥ .

(٨) أصوات اللغة ٢١٦ .

من غيرها[١] ، بل إن الأصوات الحلقية الأخرى تشترك في خاصية تميز فصيلة اللغات السامية من اللغات الأخرى[٢] .

مخرج أدنى الحلق : وهو لصوتي الغين والخاء . وهما صوتان ينطقان اليوم من أقصى الحنك من منطقة الحنك الرخو ، بعد منطقة اللهاة مخرج القاف ، وهو نطقهما القديم نفسه ، فلم يذكر أن أياً منهما تغير نطقه عما كان عليه في القديم . ولذلك فهذا المخرج لم يتفق المحدثون فيه مع القدماء اسماً وموضعاً .

أما القدماء فقد أطلقوا عليه تسمية «أدنى الحلق »[٣] كما جاء في كتاب سيبويه ، أي أدنى الحلق إلى الفم ، ولذلك فهم يرون أن الحلق يصل إلى منطقة اللهاة ، حيث صوتي الغين والخاء الحلقيين ، وقد شغل القدماء بمعرفة أي الصوتين قبل الآخر ، وقد ذكر ابن الجزري الاختلاف في قوله : « ونص شريح على أن الغين قبل ، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضاً ، ونص مكي على تقديم الخاء ، وقال الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن خروف النحوي : إن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد »[٤] ، والمبرد في ذكره لصوتي هذا المخرج يذكر صوت الخاء أولاً ، إلا أن ذلك لا يشير أنه يريد الترتيب ، كما أنه حين يذكر صوتي العين والحاء يذكر الحاء قبل الغين[٥] ، والعين أعمق من الحاء بنص الخليل ، أما مكي[٦] فيصرح بأن الخاء قبل الغين ، ولكنه لا يذكر دليلاً على ذلك ، كما أن ابن جني يفهم من حديثه أنه يرى الغين قبل الخاء إلا أنه لا يصرح بذلك ، ولعله لا يقصد ترتيباً ، فهو يذكر الأصوات العربية مبدوءة بالهمزة ، ويذكر

---

(١) دروس في علم أصوات العربية ١١٦ .

(٢) الأصوات اللغوية ٨٧ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٤) النشر ١/١٩٩ .

(٥) المقتضب ١/١٩٢ .

(٦) الرعاية ١٦٨ .

الغين والخاء ويقدم ذلك بعبارة هي : « ذكر الحروف على مراتبها من الاطراد »[1] ، أما ابن يعيش فيصرح بقوله : « فالخاء أقرب إلى الفم من الغين »[2] ، ولا يضع تأييداً لذلك ، وستبقى مسألة المرتبة مسألة ذوق للأصوات لم تحسم ؛ لأنها بالغة الدقة ، والمحدثون يؤكدون أن الصوتين من مخرج واحد ، لا يتقدم فيه صوت على آخر ، والفرق بين الصوتين هو جهر الغين وهمس الخاء ، ومن المحدثين[3] من يرى أن سيبويه بقوله : « أدناها مخرجاً من الفم والغين والخاء »[4] أراد أن الخاء قبل الغين ، وهو وهم لا دليل له .

أما المحدثون فهذا المخرج لا صلة له عندهم بالحلق ، بل إنه يقع في منطقة تلي الحلق ، وتلي أيضاً اللهاة ، وهذا المخرج يطلقون عليه تسمية « أقصى الحنك » ولذا فأصواته حنكية قصيّة ، ويضيفون إلى هذين الصوتين صوتاً ثالثاً هو صوت الكاف[5] .

مخرج اللهاة : وهو مخرج صوت القاف الشديد المهموس ، وقد حدد سيبويه هذا المخرج قائلاً : « أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى[6] ، ولم يذكر لفظ اللهاة ، وتحديده هذا يدل على منطقة اللهاة ، وأول من ذكر هذا المخرج هو الخليل في العين قائلاً : « والقاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأهما من اللهاة »[7] ، مضيفاً صوت الكاف لهذا المخرج ، وهو من مخرج يلي مخرج القاف .

---

(١) سر الصناعة ٤٥/١ .

(٢) شرح المفصل ١٢٤/١٠ .

(٣) في صوتيات العربية ١٠٢ .

(٤) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٥) علم اللغة ١٦٩ ، ١٩٤ ، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١٠ .

(٦) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٧) العين ٦٥ .

وقد ذكر ابن الجزري المخرج كما ورد عند سيبويه وأضاف قائلاً : « وقال شريح : إن مخرجها (يعني القاف) من اللهاة مما يلي الحلق »[1] ، وهي إشارة إلى أن هذا القول يسند إلى شريح دون غيره ، وهو مذكور في العين كما أسلفنا للخليل ، وهو صاحبه[2] .

ومصطلح لهوي لهذا المخرج سهل الاستعمال ، وهو سليم يدل على المخرج دلالة مؤكدة ، ويغني عن استعمال الألفاظ الكثيرة ، ولهذا فقد استعمله المحدثون[3] كثيراً ، كما أنه يطابق المخرج نفسه الذي يستعمل في اللغات الأخرى .

وينفرد الدكتور ريمون طحان بإطلاق مصطلح « غاري خلفي »[4] على هذا المخرج ، ولا أدري وجهاً تصح به هذه التسمية ، وقد أوردها مقابلة لكلمة (Post-palatal) وبالرجوع إلى معجم الخولي وجد أنه يشرح الكلمة على النحو الآتي : « خلفيغاري : أ ـ صوت تكون فيه نقطة النطق في آخر الحنك الصلب قريبة من بداية الطبق ، ب ـ صفة لهذا الصوت »[5] ومن هذا الشرح نرى أن هذه النقطة بعيدة عن اللهاة ولو صحت التسمية من حيث المعنى ، فإن التسمية التي عليها أغلب العلماء المحدثين تحمل صفة الدوام والقبول لخفتها ، بينما تفقد تلك كلتا الميزتين بل كل ميزة .

ومن الجدير ذكره أن ابن دريد ذكر أن صوتي الجيم والشين من اللهاة[6] ، وهو خطأ لعله من أعمال النساخ .

مخرج أقصى الحنك : وهو مخرج صوت الكاف ، ويلتقي الكاف مع القاف في أنها من أقصى الحنك ، ولذلك جمعها الدكتور إبراهيم أنيس تحت عنوان ، « أصوات أقصى

---

(١) النشر ١٩٩/١ .

(٢) الرعاية ١٣٩ .

(٣) علم اللغة ١٧٠ ، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١٠٩ .

(٤) الألسنية العربية ٤٧ .

(٥) معجم اللغة النظري ٢٢٢ .

(٦) جمهرة اللغة ٨/١ .

الحنك »[1] ، وهو جمع صحيح ، غير أن مخرجها ليس واحداً ، فالقاف لهوية ، بينما صوت الكاف « من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وبما يليه من الحنك الأعلى »[2] ، كما ذكره سيبويه وقد أضاف ابن جني إلى هذا التعريف إيضاحاً يعين مخرج الكاف فقال : « من أسفل من ذلك (يعني مخرج القاف) وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف »[3] ، أما ابن الجزري فهو يردد تعبير سيبويه باللفظ نفسه ، إلا أنه يجمع بين صوتي القاف والكاف قائلاً : « يقال لكل منهما لهوية نسبة إلى اللهاة ، وهي بين الفم والحلق »[4] ، وابن الجزري يبدو مضطرباً في تحديده لمخرج اللهاة ، ولذلك فهو يورد هذا القول الذي يجمع بين صوتي الكاف والقاف بنسبتها إلى اللهاة ثم يورد قوله نقلاً عن شريح بأن صوت القاف « مخرجها من اللهاة »[5] ولا يؤيد أحد القولين ، وإنما يذكرهما فقط ، والذي يلاحظ على قوله هذا ، وهو من المتأخرين ، أن مخرج اللهاة لم يكن شائعاً لصوت القاف ، بدلالة أن مكياً[6] يورده أيضاً واصفاً صوتين بأنها لهويان ، وهما القاف الكاف ، وهو قول الخليل[7] كما تقدم .

والمصطلح الذي استعمله سيبويه هو « أقصى اللسان »[8] ، وقد جعله لصوتي القاف والكاف ، والكاف بعد القاف باتجاه الفم ، أما المبرد فهو يستعمل تسمية « أول مخارج الفم »[9] ، وهذه التسمية يجعلها ابن جني لصوتي الغين والخاء حين يحدد مخرجها

---

(١) الأصوات اللغوية ٨٣ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) سر الصناعة ١/٤٧ .

(٤) النشر ١/٢٠٠ .

(٥) النشر ١/١٩٩ .

(٦) الرعاية ١٢٩ .

(٧) العين ٦٥ .

(٨) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٩) المقتضب ١/١٩٢ .

بقوله : « مما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء »[1] أما مخرج القاف فهو يتبع في وصفه سيبويه ، وقد تبع سيبويه الداني قائلاً : فأقصى اللسان له مخرجان وحرفان »[2] وتبعه أيضاً القرطبي[3] والخفاجي[4] والزمخشري[5] وغيرهم .

وقد ذكر مكي تفريقاً بين صوتي القاف والكاف قوله : « ولولا الجهر والاستعلاء في القاف لكانت كافاً ، كذلك لولا الهمس والتسفّل اللذان في الكاف لكانت قافاً ، لقرب مخرجيهما »[6] ، وهذا الذي ذكره مكي ينطبق على صوت القاف اللهجية التي تسمع في كثير من البلاد العربية ، وهي الجيم القاهرية نفسها .

ومصطلح « أقصى الحنك » يجعله المحدثون شاملاً لأصوات الغين والخاء ، والكاف[7] ، إلا أن تقسيم القدماء كما سبق ذكره يجعل صوتي الغين والخاء من منطقة الحلق ، ولذا فإن مصطلح « أقصى الحنك » بحسب تقسيمهم يكون لصوت الكاف ويمكن إدخال صوت القاف مع الاحتفاظ له بمخرجه المستقل وهو اللهاة ، « وقد أجمع المحدثون على وصف الكاف بأنه من حروف أقصى الحنك »[8] ، والتسمية تجمع بين الاختصار في اللفظ والدلالة على المعنى المراد .

مخرج وسط الحنك : وهو لأصوات الجيم والشين والياء ، وهي تخرج من « وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى »[9] ، فهو يتوسط اللسان ويتوسط الحنك ، وبما

---

(١) سر الصناعة ٤٧/١ .

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٤ .

(٣) الموضح في التجويد ٧٨ .

(٤) سر الفصاحة ١٩ .

(٥) المفصل ٣٩٣ .

(٦) الرعاية ١٧٣ .

(٧) علم اللغة ١٦٩ ، ١٩٤ .

(٨) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣٠٧ .

(٩) الكتاب ٤٣٣/٤ .

أن اللسان عضو متحرك فقد فضّل المحدثون نسبة الموضع إلى العضو الثابت وهو الحنك ، ولذا فهو المصطلح الشائع في دراسات المحدثين[1] . أما علماء العربية الأقدمون فإنهم ينسبون المخارج إلى العضو المتحرك ، وهو اللسان مع إشراك الحنك ، وهم بذلك ينسبون المخرج إلى العضو البارز في عملية التصويت ، وليس تسمية اللغة باللسان إلا إشارة بالغة إلى أهمية هذا العضو في إنتاج الأصوات .

وهذا المخرج يذكره سيبويه بقوله : « وسط اللسان .. »[2] ، وكذلك ابن جني[3] ، ومكي[4] ، والداني[5] ، والقرطبي[6] والخفاجي[7] والزمخشري[8] وغيرهم فهو شائع لدى القدماء ، إلا أن بعض المحدثين يذكر ما يفيد أن « وسط الحنك » هو الشائع في قوله :« والشين أحد أصوات ثلاثة عدها علماء العربية أصوات وسط الحنك ، وهي الشين والجيم والياء »[9] ، ونسبة المخرج إلى الحنك شائعة في كتب المحدثين ، لا في مؤلفات القدماء .

ومن المحدثين[10] من استعمل مصطلحاً آخر هو « أدنى حنكي » في حديثه عن هذا المخرج ، و « فسر الأدنى حنكية ، بأنها التي تكون من وسط اللسان ووسط الحنك

---

(١) الأصوات اللغوية ٧٦ ، علم اللغة ١٩٢ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) سر الصناعة ١/٤٧ .

(٤) الرعاية ١٧٥ .

(٥) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٥ .

(٦) الموضح في التجويد ٧٨ .

(٧) سر الفصاحة ١٩ .

(٨) المفصل ٣٩٤ .

(٩) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢١ .

(١٠) دروس في علم أصوات العربية ٨٨ .

الأعلى »[1] ، وهو استعمال غير صحيح ، فكيف يصف هذه الأصوات بأنها من « وسط الحنك » ، ثم يطلق على الموضع « أدنى الحنك » ؟ لا شك أنه اضطراب واضح .

وتسمية « وسط الحنك » تسمية صائبة ، ويشركها في صوابها وصحتها مصطلح القدماء الذي ذكره الخليل ، وهو « شجر الفم » ، وإليه تنسب هذه الأصوات فتسمى « شجرية »[2] ، وقد ذكرها ابن الجزري[3] ، وفضل استعمالها إبراهيم أنيس حين قال : « وكذلك الشأن في مصطلحهم « الشجرية » الذي يتضمن أصوات وسط الحنك كالجيم الفصيحة ، أو الجيم الشامية الكثيرة التعطيش وكالشين ، ولا داعي إذن لأن ننهج منهج هؤلاء الدارسين حين يطلقون عليها لفظ « الغارية » ؛ لأن الغار في الحقيقة يشمل كل أجزاء الحنك الأعلى[4] ، وبين هذين المصطلحين « وسط حنكي » و « شجري » يفضل الأول توحيداً للمصطلح ، حيث إن هناك أقصى حنكي ووسط حنكي وأدنى حنكي ولأن الحنك ثابت ، والنسبة إليه أفضل من النسبة إلى اللسان وهو متحرك .

وهذه الأصوات الثلاثة ذكرها سيبويه دون ترتيب كعادته ، وقد ذكر ابن الجزري أن المهدوي قال : « إن الشين تلي الكاف ، والجيم والياء يليان الشين »[5] ، وقد نص مكي[6] على أن الشين أولاً ، والجيم والياء بعدها ، ولم يشر إلى تقديم أحد الصوتين الأخيرين على الآخر .

وقد أشار بعض المحدثين إلى أن « الياء والجيم من مخرج ، والشين من مخرج آخر »[7] ، وهذا الرأي أشار إليه مكي حين خص الشين بقوله : « وهي تتصل بمخرج

(١) الدراسات اللهجية ٢٠٨ .

(٢) العين ٦٥ .

(٣) النشر ١/٢٠٠ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٠٧ .

(٥) النشر ١/٢٠٠ .

(٦) الرعاية ١٧٥ .

(٧) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٢ .

الطاء »[1] ، وهو بهذه العبارة جعل الشين ذات مخرج مستقل عن مخرج الصوتين الآخرين ، إلا أنه لم يقل ذلك صريحاً .

مخرجا حافة اللسان : وهما لصوتي الضاد القديمة واللام ، أما الضاد فهو صوت يمكن القول : إنه « قد خرج من الألسن العربية المعاصرة وأضحل منها ، فتحول إلى ظاء عند قوم وإلى دال مفخمة عند آخرين ، وإلى طاء كما في بعض لهجات المغرب[2] ، وهذه الأصوات الثلاثة التي تحولت إليها الضاد القديمة جميعها لا تخرج من حافة اللسان .

والضاد القديمة تتميز عن الأصوات جميعها عدا اللام بأنها تخرج من حافة اللسان ، فمخرجها « من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس »[3] ، وليس في الأصوات التي تسمع اليوم في العربية أو في لهجاتها صوت يخرج من هذا المخرج .

أما صفاتها الأخرى فهي « مجهورة »[4] « رخوة »[5] ، و « مطبقة » وهذه الصفات تجتمع في أحد الأصوات الثلاثة البديلة ، وهو صوت الظاء ، وينطق به العراقيون وبعض البدو كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس[6] .

وقد أشار إلى ذلك مكي في (الرعاية) قائلاً : « والضاد يشبه لفظها بلفظ الظاء ، لأنها من حروف الإطباق ، ومن الحروف المستعلية ، ومن الحروف المجهورة ، ولولا اختلاف المخرجين ، وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظها واحداً ، ولم يختلفا

---

(1) الرعاية ١٧٥ .
(2) الدراسات اللهجية ٢٠٨ .
(3) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(4) الكتاب ٤/٤٣٤ .
(5) الكتاب ٤/٤٣٥ .
(6) الأصوات اللغوية ٤٩ .

في السمع »[1] ، ولم يذكر صفة الرخاوة أيضاً الجامعة بين الصوتين ، وهي صفات تجعل صوتيهما يتشابهان تشابهاً كبيراً ، مما أدى إلى عسر التمييز بينهما قديماً ، وهو ما تؤيده المؤلفات[2] التي ألفت للتفريق بين الصوتين .

وقد تخيل الدكتور إبراهيم أنيس نطق القدماء للضاد القديمة قائلاً : « يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة (يعني بها نظير الدال المطبقة) ثم ينتهي نطقه بالظاء ، فهي إذن مرحلة وسطى ، فيها شيء من شدة الضاد الحديثة ، وشيء من رخاوة الظاء العربية ، ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة[3] وهذا التخيل يقوم على افتراض أن هذا الصوت كان صوتاً شديداً ، وهو افتراض لا يدعمه إلا نطق المصريين وبعض العرب في مناطق أخرى لهذا الصوت صوتاً شديداً هو النظير المطبق للدال ، أما بالنظر إلى وصف القدماء له بالرخاوة فإن هذا التخيل لا يكون صحيحاً ؛ لأن افتراض بدء نطق هذا الصوت كصوت الدال افتراض غير صحيح .

والذي يسمع اليوم في البلاد العربية نطقان لهذا الصوت أحد النطقين هو صوت الظاء ويسمع في العراق وفي بعض مناطق في اليمن ، والنطق الآخر هو النظير المطبق للدال وهو يسمع في مصر والشام ، ولبنان والسودان[4] .

مخرج حافة اللسان :

صوت اللام : أما صوت اللام فمخرجه « من أول حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية »[5] .

---

(1) الرعاية ١٨٤ .

(2) زينة الفضلاء والفرق بين الضاد والظاء والاعتماد في نظائر الظاء والضاد .

(3) الأصوات اللغوية ٤٩ .

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٢ .

(5) سر الصناعة ٤٧/١ .

وقد جمع المحدثون بين صوت اللام وصوتي الراء والنون ، كما جمع القدماء من قبل ، أما المحدثون فقد كان جمعهم لها لسببين :

أولهما : هو قرب مخارجها وهو سبب يشتركون فيه مع القدماء .

أما ثانيهما : فهو « نسبة وضوحها الصوتي ، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع »[1] وهو وضوح شبيه بوضوح الأصوات المصوّتة مما جعل المحدثين يسمونها بقولهم : « أشباه حركات »[2] ، ولعل القدماء أدركوا هذه الخاصية فيها[3] .

أما القدماء[4] فقد جمعوا بينها وأطلقوا عليها تسمية (ذلقية) وكان الخليل[5] أول من أطلق هذه التسمية ، ثم جمع بين هذه الأصوات الثلاثة وأصوات ثلاثة أخرى هي الفاء والباء والميم ، حين رأى أن هذه الأصوات ذات ميزة ، وهي أن أي كلمة رباعية أو خماسية خلت من أحد هذه الأصوات فهي محدثة مبتدعة .

وقد عد كانتينو[6] مخرج اللام من أدنى الحنك ، وهو قول غير محدد لأن أدنى الحنك يتسع لمخارج عدة ، يبدو أنه نظر إلى نطق اللام حديثاً ، وهي تنطق من الحافة كما تنطق من اللثة ، كما أطلق الدكتور السعران على اللام صفة « سني - جانبي »[7] ، وهو وصف أضاف له الدكتور بشر صفة ثالثة وهي لثوي ، فقال عنه : « أسناني لثوي جانبي »[8] إلا أنها تسمية يشترك فيها صوت الضاد فهو أسناني لثوي[9] ، وهو جانبي ،

(١) الأصوات اللغوية ٦٣ .
(٢) علم اللغة العام - الأصوات ١٣١ .
(٣) علم اللغة العام - الأصوات ١٣١ .
(٤) سر الصناعة ٤٧/١ ، والأصوات اللغوية ٦٣ .
(٥) العين ٦٥ .
(٦) نظريات في اللغة ٣٠ .
(٧) علم اللغة ١٨٦ .
(٨) علم اللغة العام - الأصوات ١٢٩ .
(٩) علم اللغة العام - الأصوات ١٠٤ .

وهذه التسمية لصوت الضاد القديمة ، أما الحديثة فقد فقدت الجانبية ، وكأن هذا الاضطراب هو الذي جعل الدكتور النعيمي يدع هذه التسميات قائلاً : « ولا أرى أهمية لهذا الاختلاف في التسمية ما دام الوصف واحداً »[1] ، ويطلق بعض المحدثين[2] تسمية لثوية على هذا الصوت شاركاً إياه مع صوتي الراء والنون وهي تسمية لا غبار عليها .

أدنى الحنك : ويشمل مقدم الحنك ، أو اللثة[3] ، والأسنان العليا[4] ، وهذا الموضع أكثر المواضع ازدحاماً بالأصوات ، حيث يشتمل على الأصوات الآتية : وهي : (النون ، والراء ، والسين ، والزاي ، والضاد ، والدال ، والتاء ، والطاء ، والذال ، والثاء ، والظاء) ، وهي أصوات ذلقية ، وأسلية ، ونطعية ، وأسنانية ، وهي مخارج أربعة رئيسة تتفرع إلى ستة مخارج ، على النحو الآتي :

مخرجا طرف اللسان وفويق الثنايا : وهما لصوتي النون والراء .

مخرج النون : ومخرجه من « طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا »[5] ، وبهذه الألفاظ وصف سيبويه هذا المخرج ، وقد سقطت من طبعة عبد السلام هارون ، وهو وصف دقيق لهذا المخرج ، إلا أن الهواء الخارج من الرئتين حين النطق بهذا الصوت يتخذ مجراه في التجويف الأنفي ، ولذلك فإن التجويف الأنفي يشترك في إنتاج هذا الصوت[6] .

---

(١) الدراسات اللهجية ٢٠٩ .

(٢) أصوات اللغة ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، و : في البحث الصوتي عند العرب ٢٠ .

(٣) الدراسا ت اللهجية ٢٩٧ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٨ .

(٥) أصوات اللغة ٨٣ .

(٦) الأصوات اللغوية ٦٦ .

ويجمع مكي في حديثه بين صوت النون وصوت اللام بقوله : « والنون مؤاخيه اللام لقرب المخرجين ، ولانحراف اللام إلى مخرج النون »[١] .

ولعل هذا التآخي كما يراه هو بسبب من الإبدال بينهما[٢] ، وقد ذكر المبرد أن أقرب المخارج من مخرج اللام هو مخرج النون[٣] ، مؤكداً ذلك بقوله : « ولذلك لا يدغم فيها غير اللام »[٤] .

وعلى الرغم من صحة هذا القول ، إلا أن الشائع في حديث المخارج الجمع بين صوت النون وصوت الراء ، فسيبويه حين يصف مخرج الراء يقول : « ومن مخرج النون .. »[٥] والمبرد كذلك إذ يقول : « فإذا ارتفعت عن مخرج النون نحو اللام فالراء بينهما ، على أنها إلى النون أقرب »[٦] ، وهذا كلام صريح بشدة تقارب النون والراء ، وهو ينقض قوله في الصفحة نفسها « أقرب المخارج منه مخرج النون المتحركة »[٧] ، وهذه الأقوال تؤكد القرابة الشديدة بين هذه الأصوات الثلاثة .

والمحدثون يصفون هذا الصوت بأنه « سني »[٨] ، أو « أسناني »[٩] وهي تسمية غير دقيقة ، إذ إن طرف اللسان لا يتصل بالأسنان ، وتسميته بالذلقي كما جاء عن الخليل[١٠] أصح ، إلا أنها صفة مشتركة بين النون واللام والراء .

---

(١) الرعاية ١٩٣ .
(٢) الرعاية ١٩٣ .
(٣) المقتضب ١/١٩٣ .
(٤) المقتضب ١/١٩٣ .
(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(٦) المقتضب ١/١٩٣ .
(٧) المقتضب ١/١٩٣ .
(٨) علم اللغة ١٨٥ .
(٩) دروس في علم أصوات العربية ٣٠ .
(١٠) العين ٦٥ .

صوت الراء : ومخرج الراء « من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام »[1] ، وهي العبارة نفسها التي وردت على لسان ابن جني[2] في وصفه لهذا المخرج وكذلك الزمخشري[3] ، وابن الجزري[4] ، والراء صوت له ميزة لا توجد في الأصوات الأخرى وهي التكرير .

وقد سمى بعض المحدثين هذا المخرج بقوله : « مخرج طرف اللسان المنحرف »[5] ، وهي تسمية غير دقيقة ولا سيا أن صفة الانحراف كما وردت عند سيبويه ومن تلاه لصوت « اللام » ، والأصوب أن يقال مخرج طرف اللسان المكرر ، إذا أريد تسمية المخرج بطرف اللسان .

مخرج طرف اللسان وأصول الثنايا : وهذا المخرج لأصوات ثلاثة ، وهي (الطاء والدال والتاء) ، ومخرجها « مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا »[6] وقد جمع الخليل هذه الأصوات الثلاثة واصفاً إياها بقوله : « نطعيّة »[7] والنّطع هو سقف الغار الأعلى[8] ، وهذه الأصوات الثلاثة متفقة المخرج اتفاقاً ، إذ لا يفرق بين الدال والتاء إلا صفة الجهر في الأولى ، ولا يفرق بين التاء والطاء إلا صفة الإطباق في الثانية .

وقد جمع الدكتور أنيس صوت « الضاد »[9] إلى هذه الثلاثة جاعلاً مخرج الكل

---

(١) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٢) سر الصناعة ٤٧/١ .

(٣) المفصل ٣٩٤ .

(٤) النشر ٢٠٠/١ .

(٥) في صوتيات العربية ١٢٩ .

(٦) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٧) العين ٦٥ .

(٨) الرعاية ١٤٠ .

(٩) الأصوات اللغوية ٤٨ .

واحداً ، وهو بذلك قصد أحد صوتي الضاد وهي التي تسمع من ألسنة المصريين وغيرهم ، وهي نظيرة الدال المطبقة ، وهي من المخرج نفسه . إلا أنه يصف هذه الضاد بأنها الضاد الحديثة ، وهو وصف يمكن أن ينطبق على صوت الضاد التي تنطق ظاء في مناطق أخرى ، وعندها تكون الضاد الحديثة ليست من هذا المخرج وإنما من مخرج بين الأسنان .

وهذه الأصوات الثلاثة الدال والتاء والطاء ، بقي منها صوتان كما وصفه القدماء ، أما الثالث وهو صوت الطاء ، فإن وصفه اختلف عما هو عليه في ألسنة الناطقين ، إذ إنه يسمع مهموساً اليوم بينما عُدَّ من الأصوات المجهورة ، وبحسب مفهوم المحدثين للجهر فإن صوت الطاء كما وصفت هي صوت الضاد نظيره الدال المطبقة ، وهذا ما يصرح به الدكتور أنيس[1] ، ولكن بحسب مفهوم القدماء للجهر فإن الطاء لم يختلف نطقها .

وقد ذكر بعض المحدثين تسمية لهذا المخرج مشتقة من موضوع خروج هذه الأصوات ومن صفاتها وهي « المخرج الأسناني الشديد »[2] وهي تسمية غير دقيقة ، فالأسناني هي صفة الذال والثاء والظاء ، وإن كان الأصح بين أسناني ، كما أن صفة الشدة لا تحدد المخرج ، وإلا لكان أسهل أن يوصف بالمخرج النطعي .

مخرج طرف اللسان وبين الثنايا : وهو لأصوات ثلاثة وهي الصاد والزاي والسين ، وقد حدد المبرد المخرج بقوله : « من طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا »[3] ، ووصفه ابن جني بقوله : « مما بين الثنايا وطرف اللسان »[4] ، أما وصف المخرج كما ورد في كتاب سيبويه فهو : « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا »[5] ،

(١) الأصوات اللغوية ٦٢ .

(٢) في صوتيات العربية ١٣٧ .

(٣) المقتضب ١/١٩٣ .

(٤) سر الصناعة ١/٤٧ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ .

ويبدو أن دقة الوصف تقتضي تحديد الثنايا بأنها السفلى ، ولا سيما أن كلمة الثنايا في المخارج المتقدمة تعني العليا ، ومما يؤيد ذلك قول مكي في وصف هذا المخرج وهو : « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى[1] وهو وصف ربما تبع سيبويه فيه ، إذ إن الأرجح أن عبارة سيبويه مختومة بلفظ الثنايا السفلى ، وهو ما يذكره القرطبي[2] وابن الأنباري[3] وابن الجزري[4] ، أما ابن عصفور[5] والرازي[6] فقد ذكرا المخرج بالوصف نفسه دون لفظ السفلى ، أما أكثر العلماء فيذكرون المخرج دون ذكر كلمة فويق ، يتبعون في ذلك ابن جني والمبرد ، ومنهم ، الداني[7] ، والخفاجي[8] ، والزمخشري[9] ، والرضي الاستراباذي[10] وغيرهم .

وهذه الأصوات الثلاثة أطلق عليها الخليل وصف « الأسلية » نسبة إلى أسلة اللسان وهي مستدقة .

أما المحدثون فيختلفون في وصف هذه الأصوات ، يسميها بعضهم[11] لثوية ، ويطلق عليها بعضهم[12] لفظ « أسناني لثوي » ضاماً إليها أصوات أخرى هي النطعية ،

---

(١) الرعاية ٢٠٩ .
(٢) الموضح في التجويد ٧٩ .
(٣) أسرار العربية ٤٢١ .
(٤) النشر ٢٠١/١ .
(٥) الممتع في التصريف ٦٧٠/٢ .
(٦) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١١٩ .
(٧) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٥ .
(٨) سر الفصاحة ١٩ .
(٩) المفصل ٣٩٤ .
(١٠) شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٠/٣ .
(١١) علم اللغة ١٩٢ .
(١٢) الألسنية العربية ٤٦ .

وهي التسمية التي يطلقها بعضهم [1] على الأصوات النطعية والذلقية ، ولا يضع الأسلية معها .

وهذا الاختلاف في تحديد المصطلح يعود إلى صعوبة وجود المصطلح الذي يحمل تحديداً صارماً للمخرج ، فالمخرج عادة يتكون من عضوين اثنين يتقاربان أو يتلامسان ، والتسمية يجب أن تشمل هذين العضوين حتى لا يكون هناك لبس ، إلا أن هذه المنطقة أدنى الحنك ، تزدحم فيها المخارج ، مما يجعل أكثر من مخرج يشترك في عضوين اثنين فقط ، فيختلف المخرج مع وجود العضوين نفسهما ، ولذلك نرى الدكتور بشر يطلق لفظ أسناني على « التاء والدال والضاد واللام والنون » [2] بينما يطلق آخر المصطلح نفسه على « الضاد والدال والطاء والتاء والزاي والصاد والسين » [3] ، وكذلك يطلق الأول مصطلح « اللثوية » على « الراء والزاي والسين والصاد » [4] ، بينما يطلق الثاني المصطلح نفسه على « اللام والراء والنون » [5] .

وتوصف هذه الأصوات الثلاثة بأنها أصوات صفيرية [6] ولذلك فقد أطلق بعض المحدثين وصف « الأسناني الصفيري » [7] على هذا المخرج وهي تسمية ليست دقيقة ، واستعمال صفات الأصوات في تحديد مخارجها ليس دقيقاً .

مخرج طرف اللسان وأطراف الثنايا : وهو لأصوات ثلاثة هي « الظاء والذال والثاء » ، وقد وصف مخرجها سيبويه قائلاً : « مما بين طرف اللسان وأطراف

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

(٣) الألسنية العربية ٤٦ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

(٥) الألسنية العربية ٤٦ .

(٦) الكتاب ٤/٤٦٤ .

(٧) في صوتيات العربية ١٤٤ .

الثنايا »[1] ، وهو وصف دقيق والمحدثون يختصرون هذه التسمية بقولهم مخرج « بين الأسنان »[2] .

هذه الأصوات الثلاثة وصفها الخليل بأنها « لثوية »[3] ، وهو وصف بعيد عن هذه الأصوات التي تخرج مما بين الأسنان ، ومن الغريب أن بعض المحدثين[4] لم يدرك ذلك .

وهذه الأصوات متحدة المخرج اتحاداً تاماً ، فصوت الذال لا فرق بينه وبين صوت « الظاء » سوى أن الثاني مطبق ، وصوت الذال لا فرق بينه وبين صوت الثاء سوى أن الثاني مهموس .

وقد ذكر بعض الباحثين أن المحدثين « جعلوا الظاء في طائفة الطاء والصاد ، والثاء والذال في طائفة التاء والدال »[5] وهو قول يغفل أن القدماء أيضاً جعلوا الظاء في طائفة الطاء والصاد حين عدوا الأصوات المطبقة ، فالظاء أخت الطاء والضاد والصاد في الإطباق ، إلا أن هذا لا يخرج الظاء من طائفة الذال والثاء حيث يشتركان معها في المخرج .

وقد أطلق بعض المحدثين على هذا المخرج وصف « المخرج الأسناني الرخو »[6] ، وهي تسمية غير دقيقة لأنها تستعمل صفة الأصوات في تحديد المخرج .

والتسمية الشائعة في كتب المحدثين[7] هي « بين أسناني » وهي تسمية صحيحة

---

(1) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(2) دروس في علم أصوات العربية ٢٠ ، وعلم اللغة ١٩٠ ، ١٩١ .

(3) العين ٦٥ .

(4) فقه اللغة وخصائص العربية ٤٨ .

(5) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٣ .

(6) في صوتيات العربية ١٥٠ .

(7) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ ، والألسنية العربية ٤٧ .

دقيقة ، كما أنها خفيفة في اللفظ ، وهذا ما أعطاها صفة الشيوع والذيوع ، وتستعمل أحياناً مختصرة ، فيقال الأسنانية [1] .

المخرج الأسناني الشفوي : وهو لصوت « الفاء » وقد وصفه سيبويه بقوله : باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا [2] ولا خلاف على هذا المخرج بين القدامى والمحدثين ، فالمحدثون يطلقون عليه « شفوي أسناني » [3] ، وقد عد الخليل [4] صوت « الفاء » شفوياً ؛ ولذلك أدخله مع الأصوات الشفوية إلا أن سيبويه أخرج الفاء من الأصوات الشفوية « وقد أقر المحدثون سيبويه على إخراج الفاء من الحروف الشفوية الخالصة » [5] .

المخرج الشفوي : وهذا المخرج لأصوات ثلاثة هي الباء والميم والواو غير المدية ، وقد حدد سيبويه المخرج قائلاً : « مما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو » [6] وهو بذلك خالف الخليل في عدّ الواو شفوية فقد قصر الخليل التسمية على الباء والميم والفاء بينما أخرج سيبويه الفاء ، أو أحلّ محلّه صوت (الواو) وهي الواو غير المدية أو « صوت اللين » [7] ، وليس هناك من فرق بين المحدثين وبين سيبويه سوى أنهم رأوا أن صوت الواو يشترك في إخراجه أقصى الحنك ؛ ولذلك قالوا [8] عنه : إنه شفوي ـ حنكي قصي ، إلا أنهم مجمعون على أنه شفوي ، إلا أن الدكتور كمال بشر يفضل عدّ الواو من أقصى الحنك قائلاً : « عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك » [9]

(1) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٩٦ .

(2) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(3) الدراسات اللهجية ٣١٠ .

(4) العين ٦٥ .

(5) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٦ .

(6) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(7) في صوتيات العربية ١٦٠ .

(8) علم اللغة ١٦٧ .

(9) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

ولا أرى بأساً في عدّ الواو شفوية ، كما لا يرى الدكتور بشر أيضاً من بأس ، وإذا كانت الواو شفوية ويشترك الحنك في تشكيل مخرجها باقتراب اللسان من أقصى الحنك ، فإن الأخذ بما هو ظاهر منظور في تسمية المخرج شفوياً لا يلغي أن الحنك الأقصى يشترك في هذا المخرج ، والتسمية شائعة ذائعة [1] .

المخرج الخيشومي : وهو المخرج الوحيد الذي يستقل به صوت من الأصوات الفرعية وهو لصوت (النون الخفيفة) وقد عدّها سيبويه [2] أول الأصوات الفرعية الستة ، وتسمى هذه النون الخفيفة (الغنّة) ، والغنة تكون لصوت (الميم) كما تكون لصوت (النون) ؛ ولذلك قال ابن الجزري : « الخيشوم وهو للغنة وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء ، أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة ، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة عن مخرجها الأصلي على القول الصحيح كما يتحول مخرج حروف المد من مخرجها إلى الجوف على الصواب وقول سيبويه : إن مخرج النون الساكنة من مخرج النون المتحركة إنما يريد به النون الساكنة المظهرة » [3] .

وهذا المخرج هو الفراغ الأنفي أو الخيشومي ، وهو يختص بإصدار الغنة وهو صوت خاص اصطلح على تسميته بـ (النون الخفيفة) [4] ، وهو ليس النون التي تسكّن وإنما هي نون خافية .

والغنة تكون خالصة عند ما يلي النون الساكنة في الكلام أحد أصوات الفم ، وهي التي تسمى أصوات الإخفاء ، حيث يخفى صوت النون وتبقى الغنة واضحة جلية [5] .

---

(١) دروس في علم أصوات العربية ٣٠ .

(٢) الكتاب ٤٣٤/٤ .

(٣) النشر ٢٠١/١ .

(٤) الرعاية ٢٤٠ .

(٥) التحديد في الإتقان والتجويد ١١٧ ، والموضح في التجويد ٩٧ ، والتمهيد في علم التجويد ١٦٨ ، والنشر ٢٦/٢ .

الفصل الثاني

صفات الأصوات

صفات المجموعات

الجهر :

المعنى اللغوي : قال صاحب اللسان : « يقال جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير ، وأجهر ، فهو مجهر إذا عرف بحدّة الصوت ، وجهر الشيء : علن وبدا وجهر بكلامه ودعائه وصوته وقراءته يجهر جهراً وجهاراً ، وأجهر بقراءته لغة ، وأجهر جهوراً : أعلن به وأظهره »[1] .

المعنى الاصطلاحي : الجهر هو اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت ، « فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان »[2] .

الأصوات المجهورة : ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن ، أ ، و ، ي[3] .

مصطلح الجهر : من مصلحات سيبويه ، إلاّ أن الزجاج نسب هذا المصطلح إلى الخليل قائلاً : « وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة وهي فيما زعم الخليل ضربان : فالمجهور حرف أشبع الاعتاد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه والمهموس أضعف الاعتاد في موضعه وجرى معه النفس [4] ، وهو هنا ينسب إلى الخليل التعريف أيضاً وهو مالم يذكره أحد بعده ، مما يرجح أن يكون في النسبة إلى الخليل وهم ، والمقصود سيبويه[5] ، وقد تبع بعض المحدثين[6] هذا الرأي قائلاً بوضع الخليل للمصطلح ، وقد عد سيبويه تابعاً للخليل في تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة ، ولم يرد هذا في كتاب (العين) ، ولا في غيره ، وقد نسبه إلى اللسان ، ولم

(١) اللسان ٤/١٥٠ .

(٢) الأصوات اللغوية ٢٠ .

(٣) الأصوات اللغوية ٢١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤١٩/١ .

(٥) ينظر : الدراسات الصوتية ١٢٨ .

(٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١١٤ .

أجده فيه ، وأما ما رآه آخر من أن الخليل أشار إلى الصوت المجهور والمهموس فسمى المجهور مرتفعاً كالدال ، وسمى المهموس خافتاً كالتاء[1] . فإن ذلك غير صحيح ، وإنما استنتاج غير مطرد في الكتاب إذ لم يصف بقية الأصوات بالصفة نفسها حتى يفهم منه تقسيم الأصوات إلى مرتفعة وخافتة ، وهو تحميل للعبارة فوق ما تحتمل ، وقد جرى بالاستنتاج نفسه فرأى أن الخليل سمى الشديد صلباً وكزاً[2] ، علماً أن عبارة الخليل التي ذكر فيها هذا الوصف هي « لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها »[3] ، ولا يمكن القول : إنه وصف أيضاً الدال بالصلابة وهي الأخرى شديدة بإجماع القدماء ، مما ينفي صحة الاستنتاج ، والصحيح : أن إدراك صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط والإطباق والانفتاح والانحراف ، كان اتجاهاً أصيلاً لدى سيبويه يميزه عن أستاذه الخليل[4] ؛ فقد عرف سيبويه المجهور بأنه « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت »[5] ، هذا التعريف شاع عند العلماء شيوعاً كبيراً ، وأعيدت عباراته دون تعديل فيها أو تبديل ، مما جعله سمة لهذا المصطلح ، كما هو تعريف له ، ومما دفع بعض المحدثين إلى القول : « هذا هو التعريف الذي وقف أمامه علماؤنا القدماء حائرين قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح أو تعليق ذي قيمة » ، لا يكادون يقربون منه حتى ينقلبوا عنه ، كأنما قد تخيلوا في ألفاظه قدسية تحول دون أي تغيير فيها أو تبديل ولو بكلمات مرادفة[6] إلا أن المبرد خرج عن الالتزام بعبارة سيبويه فقال معرفاً الأصوات المجهورة : « بأنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها »[7] ، وهو قد لجأ في تعريفه هذا إلى

---

(١) فقه اللغة العربية ٤١١ .

(٢) فقه اللغة العربية ٤١١ .

(٣) العين ٦٠ .

(٤) المنهج الصوتي للبنية العربية ٢١٧ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٦) الأصوات اللغوية ١٢٣ .

(٧) المقتضب ١/١٩٤ .

التجربة العملية كما يبدو ، فأحس أن الصوت المجهور يهتز معه الوتران الصوتيان ، مما يسمع معه مثل الارتداع .

أما ابن دريد فقد عرف المجهور قائلاً : « سميت مجهورة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتاً »[1] ، وهو تعريف موافق للتعريف الذي نسبه بعض[2] المحدثين إلى الخليل ، ولعل ابن دريد أغفل تعريف سيبويه لغموضه ، وقد وافقه على هذا التعريف السكاكي في (مفتاح العلوم) قائلاً : « الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف »[3] ، إلا أن تعريفه هذا ملتبس بتعريفه للشدة ، هذا التعريف هو التعريف السابق نفسه باختلاف العبارة أما أكثر العلماء فقد أعادوا نص تعريف سيبويه ، أعادوه بلا زيادة ولا نقص ، نرى ذلك عند الزجاجي في (الجمل)[4] وابن جني في (سر الصناعة)[5] والخفاجي في (سر الفصاحة)[6] ، والزمخشري في (المفصل)[7] ، وابن الأنباري في (أسرار العربية)[8] ، وابن يعيش في (شرح المفصل)[9] ، والرضي في (شرح الشافية)[10] ، وابن عقيل في (شرح التسهيل)[11] ، والسيوطي في (الجمع)[12] ، والباقلاني في (إعجاز القرآن)[13] وقد غير آخرون في نص العبارة ، ولكن دون المساس

---

(١) جمهرة اللغة ٨/١٥ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٣ .

(٣) مفتاح العلوم ١٠٩ .

(٤) شرح جمل الزجاجي ٤٤٨ .

(٥) سر الصناعة ٦٠/١ .

(٦) سر الفصاحة ٣٠ .

(٧) المفصل ٣٩٥ .

(٨) أسرار العربية ٤٣٢ .

(٩) شرح المفصل ١٢٩/١٠ .

(١٠) شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٨/٣ .

(١١) المساعد على تسهيل الفوائد ٢٤٦/٤ .

(١٢) همع الهوامع ٢٢٠/٢ .

(١٣) إعجاز القرآن ٦٦ .

بالألفاظ الأساسية في تعريف سيبويه ، فقد عرف مكي بن أبي طالب المصطلح قائلاً : « معنى الحرف المجهور أنه حرف قوي الاعتماد عليه في موضع خروجه »[1] .

وقد زاد على تعريف سيبويه وصفه للمجهور بأنه قوي ، وهي صفة لا يختص بها المجهور فقط ، فالشديد أيضاً يوصف بالقوة ، ولذلك فهي لا تعني إضافة إلى تحديد المصطلح .

وقد تبعه في ذلك ابن الجزري[2] ، كما عرف ابن الطحان المصطلح موجزاً فقال : « والجهر قوة الاعتماد حتى منع النفس أن يجري »[3] ، وليس هناك جديد في هذا التعريف ومما تقدم يخلص الأمر إلى تعريفات ثلاثة أولها ما ذكره ابن دريد في (الجمهرة) وهو تعريف واضح ، إلا أنه يلتبس بمعنى الشدة ، بل هو ينطبق عليها ، والآخر هو تعريف سيبويه الذي نجده عند كل العلماء من بعده نصاً والثالث تعريف المبرد وهو أوجز وأصوب التعاريف الثلاثة ولا ندري سبب إغفال العلماء له .

ولما كان التعريف الأول يشوبه النقص ، فقد شاع التعريف الثاني ، وصار هو التعريف الذي يدل على هذا المصطلح ، ولا سيما أنه اكتسب صفة الثبات ، لبقاء ألفاظه راسخة في كتب العلماء على مدى قرون عديدة .

إلى جانب هذه التعريفات الثلاثة السابقة ، التي كان لتعريف سيبويه منها حظ الشيوع والانتشار لما تقدم ذكره ، فإن التعريف الذي يعد إضافة حقاً في طريق الوصول إلى معرفة الجهر وتحديده في ألفاظه أكثر وضوحاً وأجلى معنًى هو تعريف علماء التجويد الذي جاء على لسان (طاش كبرى زاده) في قوله : « إن النفس الخارج ، الذي هو وظيفة حرف ، إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت

---

(١) الرعاية ١١٧ .

(٢) التمهيد في علم التجويد ١٨ .

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ٩٢ .

قـوي كان مجهـوراً ، وإن بقي بعضـــــه بـلا صـوت يجري مـع الحرف كان الحرف مهموساً »[1] ، ويفهم من هذا التعريف أن صاحبـه يرى أن الصوت المجهور تستغل فيـه كية الهواء الخارج من الرئتين ، بينمـا الصوت المهموس يكون جزء منـه نَفَس يجري مع الصوت ، وهـذا التعريف على الرغم من أنـه أقرب إلى الوضوح إلا أنـه يقترب من المعنى الحـديث للجهر ، فقـد بين أن المجهور أقوى من المهموس ، لا بسبب قـوة الاعتماد ، وإنّما بسبب تكيّف النَّفَس كلّه بكيفيـة الصوت[2] ، وهـذا يعـد أهم تعريف بعـد تعريف سيبويـه للجهر ، بـل إنـه يتقـدم على تعريف سيبـويـه خطـوة نحـو التعريف الكامـل للمجهور والمهموس[3] ، ولعل عدم شيوع هـذا التعريف الـذي يكشف عن نفـاذ حس ، ومهـارة فـائقـة في الوصول إلى حقـائق صوتيـة بـالنظر المجرد ، ودون استعـانـة بـآلات مساعدة ، لعل عدم شيوعه هو أن صاحبـه من العلمـاء المتـأخرين فقـد عـاش في القرن العاشر الهجري ، وقد ذكر هذا التعريف عالمان من علمـاء القرن همـا القـاري في (شرح المقدمة الجزرية) ، ولم ينسبه لصاحبه ، وكذلك المرعشي في (جهـد المقل) ، ولـذلـك فقد بقي هذا التعريف دون أن يأخذ مكانه الصحيح من العناية والاهتمام .

أمـا تعريف سيبـويـه ، فقـد لقي اهتماماً عظيمـاً ، وهـو جـدير بـذلـك ـ ووقف المحدثون يحاولون تفسير ألفاظه التي لم تستبدل ، وعباراتـه التي استعصت على التحوير ، وليس من شك أن هذا دليل على قوة العبـارة في التعريف وغموضهـا ، الأمر الـذي أدى ببعض المحـدثين إلى أن يخرج عن جـادة الصـواب ـ في معرض تفسيره لهـذا التعريف ـ واصفاً سيبويـه بقولـه : « كان مضطرب الأسلوب ، يواجـه الـدارس بعبـارات يشوبهـا اللبس ، أو سوء التركيب »[4] ، بل لقد كان مغاليـاً في تعليلـه لهـذا الكلام بقولـه : « لم تكن العربية بالنسبة له ميراثاً ، بل اكتسـابـاً ، أفـاده بـالتعلّم ، وقـد عرف عنـه عـدم

(١) شرح المقدمة الجزرية ١١ ظ .

(٢) الدراسات الصوتية ١٣٦ .

(٣) الدراسات الصوتية ١٣٦ .

(٤) الأصوات عند سيبويه ٢٥ .

استقامة النطق ببعض الأصوات العربية مثل الحاء والعين »[1] ، وليس هذا الذي يصفه الباحث بهذا الوصف إلا إمام العربية في النحو ، وهذا يكفي ، وهو صاحب (الكتاب) الذي قال فيه أبو الطيب اللغوي صاحب (مراتب النحويين) : « وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو ، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل »[2] وشهد له علماء العربية ، وليس هذا الغلو إلا نتيجة للصعوبة التي لقيها المحدثون في فهم المصطلح ، وفهم عباراته المشكلة ، ولما كانت الأصوات المجهورة لدى القدماء ، مجهورة لدى المحدثين عدا ثلاثة أصوات عدّها القدماء مجهورة وهي « الهمزة والطاء والقاف » وعدها المحدثون غير مجهورة ، فقد حاول المحدثون أن يفسروا تعريف الجهر كما جاء في عبارة سيبويه على وفق مفهومهم للجهر ، ولذا فقد شطّ بعضهم كما ذكرنا ، وبالنظر إلى اتفاق الأصوات المجهورة بين القدماء والمحدثين في أكثرها ، فإن مفهوم القدماء يتفق مع مفهوم المحدثين من حيث المبدأ ، ولكن التعريفات والإيضاحات التي تركها القدماء هي المقياس الذي به ميزوا بين الأصوات وسموا صنفاً منها مجهورة ، وأخرى مهموسة ، وإلى هذا المقياس يمكن أن يرجع في دراسة الأصوات الأخرى الثلاثة التي ليست مجهورة في نظر المحدثين وهي مجهورة في نظر القدماء ، ولولا هذه الأصوات الثلاثة لعد فهم القدماء للجهر هو فهم المحدثين نفسه ، وقد عدّه بعض المحدثين[3] كذلك ، متناسياً هذه الأصوات الثلاثة .

لذلك فقد اهتم العلماء المحدثون بفهم المصطلح لدى القدماء وحاولوا إيضاح العبارات المغلقة في تعريف سيبويه له ، وعلى الرغم من أن كثيراً من الدارسين الآن يحارون في فهمه »[4] ، إلا أن الأبحاث التي عنيت بشرح هذا التعريف ، وصلت إلى نتائج مهمة ، فقد وجدت حلاً ـ من خلال شرحها للعبارات ـ لمشكلة الأصوات التي

---

(١) الأصوات عند سيبويه ٢٥ .

(٢) الكتاب ٢١/١ .

(٣) محاضرات في اللغة ١٢٣ .

(٤) الأصوات اللغوية ١١٩ .

عدها القدماء مجهورة ، وهي مهموسة اليوم ، وإنصافاً لجهود العلماء نستعرض المشكلة كما رأوها ، والطرق التي اتبعوها حلاً لها ، والنتائج التي وصلوا إليها ، في تفسيرهم للعبارات الغامضة التي وردت في التعريف . فكيف فسر المحدثون الجهر لدى القدماء ؟ وعلى أي شيء اعتمدوا في ذلك ؟.

الجهر لدى المحدثين : لم يختلف المحدثون في تصنيفهم للأصوات المجهورة والمهموسة مع القدماء إلا في أصوات ثلاثة وهي (الطاء) ، (القاف) ، و (الهمزة) ، ولما كان الاختلاف أقل كثيراً من الاتفاق ، حيث إن بقية الأصوات لم تكن موضع خلاف في هذا التقسيم ، فقد عد بعض الباحثين مفهوم القدماء هو نفسه مفهوم المحدثين ، إلا أن مفهوم القدماء في تعريفهم للجهر كان غامضاً عسير الفهم ، ولذا فقد كرر العلماء عبر عصور طويلة تعريف سيبويه للجهر دون تبديل في العبارة .

أما العلماء المحدثون[1] فقد ميزوا الجهر من الهمس باهتزاز الوترين الصوتيين ، أسعفتهم في ذلك الوسائل الحديثة ، والمختبرات العلمية المجهزة بالآلات المساعدة ، التي تستعمل للكشف عن الأصوات ، ومن هذه الآلات آلة تستعمل لإثبات الجهر تعرف بآلة تسوند بيرجيت[2] .

فالوتران الصوتيان هما المتسببان في إنتاج النغمة الموسيقية التي تسمى (الجهر) ، ومن الملاحظ شيوع ذكر الوترين الصوتيين بصيغة الجمع ، وهو أثر من آثار الترجمة ، ولا سيما أن اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية لا توجد بها صيغة المثنى ، والجهر ذو علاقة بفتحة المزمار ، فهو يكون حينما تكون الفتحة ضيّقة لأن المزمار المؤلف من عضلتين متوازيتين : الحبال الصوتية ، ينفتح عند تباعد هذه الحبال وينغلق باقترابها والانغلاق التام لا يدخل في الحسبان ، أما الانفتاح فهو مرة واسع

---

(١) الأصوات اللغوية ٢٠ ، وعلم الأصوات ١٠٩ .

(٢) علم اللغة ١١١ .

وأخرى ضيق ، ففي الأولى لا تهتز الحبال الصوتية لمرور الهواء بحرية ، أما في الثانية فإن مرور الهواء يحدد الاهتزازات الصوتية ، ولا بديل آخر غيره لإرسال الأصوات الطبيعية[1] .

وعلى الرغم من أن تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة أمر جار عليه جميع الباحثين قديماً وحديثاً إلاّ أن بعض المعاصرين رأى أن هذا تقسيم ناقص ؛ لأنه يسقط من اعتباره نقطة الانسداد الفموي ، ويركز نظره على الوترين وحدهما ، ويؤدي الأمر إلى أن يدخل تحت اسم المجهور صنفان من الأصوات لا صنف واحد ، صنف كل تصويته من الوترين فقط ، وصنف له إلى جانب التصويت الوتري عنصر صوتي ناتج من احتكاك الهواء بأعضاء النطق عند نقطة الانسداد[2] .

ولذلك فقد اقترح أن تصنف الأصوات إلى أحادية التصويت وثنائية .

ثم تقسم أحادية التصويت إلى قسمين ، وترية وانسدادية [3]، ولا أرى في كلامه هذا على صحته إضافة جديدة للموضوع ، فهو يعني في تقسيمه هنا بالتصويت وهو غير الجهر ، إذ إن من الأصوات ما هو غير مجهور .

وهذا ما جعله يقسم الأصوات إلى أقسام بحسب التصويت .

فأصوات تنشأ من احتكاك الهواء بالمخرج وهي رخوة .

وأصوات تنشأ من اهتزاز الوترين فقط .

وأصوات تنشأ من اشتراك الوترين مع المخرج وهي ما سماها ثنائية التصويت .

وجرياً على هذه القاعدة تقول : إنه نسي صنفاً وهو أحادي التصويت شديد انسدادي مثل التاء ، ولم يكن تقسيم العلماء الأصوات إلى مجهورة ، ومهموسة ملغياً

---

(١) محاضرات في الألسنية ٥٨ .

(٢) الوجيز في فقه اللغة ١٥٧ .

(٣) الوجيز في فقه اللغة ١٥٧ .

حدوث التصويت من موضع آخر ، إذ إن تقسيمهم إياها إلى شديدة ورخوة هو تقسيم يتدارك هذا الذي ظنه إلغاء ، فهو تقسيم إلى أصوات تصويتها يكون بابتعاد العضوين فجأة ، وأصوات يقترب فيها العضوان بحيث يمر الهواء مع إحداث الصوت ، ونسبة شيوع الأصوات المجهورة في الكلام أكثر من المهموسة[1] ، وهي تشبه في هذه الحال الأصوات المصوتة (الحركات) التي تزيد نسبتها كثيراً عن الأصوات الصامتة ، بل إنها وسيلة لوضوح الأصوات الصامتة التي يتعذر الكلام من دونها .

الأصوات المجهورة : قسم المحدثون الأصوات بحسب مفهومهم للجهر إلى مجهورة ومهموسة ، وقد كانت أصواتهم المجهورة هي التي عند القدماء عدا أصوات ثلاثة .

أما الأصوات المجهورة لدى المحدثين فهي ثلاثة عشر صوتاً هي : « ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن » يضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو والياء[2] .

أما الأصوات المجهورة لدى القدماء فهي : « الهمزة ، الألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاي ، والظاء ، والذال ، والباء ، والميم ، والواو ، فذلك تسعة عشر حرفاً »[3] باستثناء (الألف والواو والياء) لأنها تعد من جنس الأصوات المصوته (الحركات) ، تكون ستة عشر صوتاً ، بزيادة ثلاثة أصوات على أصوات المحدثين ، هذه الأصوات هي (الهمزة ، والقاف ، والطاء) التي عدها المحدثون[4] غير مجهورة ، أما الهمزة فقد اختلفوا في همسها ، منهم[5] من عدّها مهموسة ، ومنهم[6] من عدّها غير مهموسة وغير مجهورة ،

---

(١) الأصوات اللغوية ٢١ .

(٢) الأصوات اللغوية ٢١ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٤) مناهج البحث في اللغة ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) مناهج البحث في اللغة ١٢٥ ، وفي التطور اللغوي ١٢٨ .

(٦) الأصوات اللغوية ٩٠ ، وعلم اللغة ١٧١ .

أما من عدها مجهورة من[1] المحدثين فقد تبع في ذلك مفهوم القدماء للجهر ، والصوتان الآخران كذلك ، وهما عند المحدثين جميعاً مهموسان ، باتفاق .

هذا الاختلاف في تحديد الأصوات المجهورة ، هو نتيجة لاختلاف في مفهوم الجهر بين القدماء والمحدثين ، وهذا ما يدل عليه ظاهر الأمر ، وهو ما أدى بعدد من المحدثين[2] إلى القول بحدوث تغيير في نطق هذه الأصوات عما كانت عليه ، ولا سيما أن صوت القاف المجهور الذي يسمع اليوم صوت حنكي لا لهوي كما وصفه القدماء ، بينما صوت القاف اللهوي صوت مهموس كما ينطقه أكثر العرب اليوم ، ولما كان وصف القدماء للقاف أنه مجهور ، وأن موضعه اللّهاة ، فقد عد المحدثون هذا التناقض دليلاً على تغير الموضع وهو استنتاج غير صحيح بدلالة أن المسموع اليوم صوتان للقاف ، الأول يصح عليه وصف القدماء للقاف بالجهر ، والثاني يصحّ عليه تحديدهم للمخرج ، أما المخرج فلا مجال للشك فيه ، وأما الصفة هي موضع خلاف ، إلاّ أن بعض المحدثين عد هذا الخلاف كافياً للقطع في المسألة فقال : « إن النحاة والقراء قد أخطؤوا في اعتباره مجهوراً »[3] ، وهو رأي متعجل .

فإذا قلنا : إنهم أخطؤوا وإن الصوت مهموس ، فهل أخطؤوا في المخرج كذلك ؟، وكيف أصابوا في بقية مخارج الأصوات ؟ بل إن دراستهم للأصوات تدل على دقة وضوح ومنهج صائب ، أما مسألة الطاء فهي أقل إشكالاً حيث لا تمتد المسألة فيه إلى أكثر من خلاف الجهر .

لقد تناول العلماء المحدثون مفهوم الجهر بالدراسة والتحليل ، ووقفوا في فهم للمصطلح لدى القدماء عند تعريف سيبويه له ، مع عدم إغفال حديثهم عن الجهر في

---

(١) دراسات في فقه اللغة ٣٢٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ٨٥ ، والمدخل إلى علم اللغة ٦٢ .

(٣) مناهج البحث من اللغة ١٢٤ .

مواضع أخرى ، إلا أن أغلبهم حصر دراسته في فهم المصطلح لدى القدماء على تعريف سيبويه ، ولا سيا أنه قد اكتسب أهمية لشيوعه في كتب العلماء ، وحرصهم على المحافظة على صياغته كما وردت في كتاب سيبويه ، دون زيادة ، ودون تغيير في ألفاظه ، ونظراً لغموض العبارة في هذا التعريف ، الذي استتبع غموض المصطلح ، وهو ما يعطي دليلاً على أنه ظل غامضاً لدى العلماء بعده ، مما جعلهم يعيدون عباراته ، ولم يرد عنهم ما يدل على وضوح المصطلح ، والمحدثون عنوا بذلك كثيراً ووصلوا فيه إلى نتائج أحسبها كبيرة ، وهذا عرض لتفسيرهم لمصطلح الجهر عند القدماء كما أتى في التعريف وفي نصوص أخرى .

تفسير الدكتور أنيس : قبل البدء في عرض رأيه نذكر تعريف سيبويه للمجهور الذي يقول فيه : « المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت »[1] .

ويبدأ الدكتور أنيس تفسيره قائلاً : « قد تبين لنا من تعريف سيبويه أمران متميزان : عبر عن أولهما بعبارة إشباع الاعتماد ، التي أراد بها أن يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح ، وفيه قوة وليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت ، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي ، لا ترى أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهما يكون في الفم والخياشيم ، بمعنى أنه تتم في الفم عملية عضوية في حالة هذين الصوتين ، وفي الوقت نفسه تتم في الخيشوم عملية عضوية أخرى ... كذلك مما يدل على أن الاعتماد معناه العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت ، إن سيبويه اعتبر أن في المهموس اعتماداً أيضاً ، ولكنه اعتماد ضعيف ، لأنه يقول : فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه[2] ، والدكتور هنا يعرض لتفسير عبارة « إشباع الاعتماد » وهي عبارة غامضة

(١) الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٢) الأصوات اللغوية ١٢٣ ، ١٢٤ .

فسرها بعملية إصدار الصوت ، التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه في الهواء ، ولعل الدكتور استنتج ذلك من الفهم الحديث لمعنى الجهر موفقاً بينه وبين العبارة ، وعلى هذا الأساس فسر عبارة (منع النفس) [١] ، قائلاً : « إن الحس المرهف لدى سيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس . وتلك هي الصفة التي وضحها لنا المحدثون حين وصفوا ما يجري في الحنجرة مع المجهورات إذ قالوا : إنه مع المجهور يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، مما يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين الصوتيين وتجعلهما يتذبذبان » [٢] ، وهذه هي العبارة الثانية في التعريف (منع النفس) التي عدها الباحثون من أسباب غموض التعريف لعدم وضوحها ، وقد فسرها الدكتور أنيس بمعنى اقتراب الوترين الصوتيين .

أما العبارة الثالثة والأخيرة فهي (الموضع) وهل تعني المخرج أو شيئاً آخر ؟ ، وقد رأى الدكتور أنيس في هذه اللفظة تعبيراً عن كلمة (المجرى) التي يعني بها « طريق النفس من الرئتين حتى الخارج » [٣] ، (فالموضع) ليس المخرج ، ولكنه المجرى ، « ولأمر ما عبر سيبويه بقوله (أشبع الاعتماد في موضعه) ولم يقل في مخرجه ؛ لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج [٤] .

وخلاصة تفسير الدكتور أنه فسر العبارات الغامضة في التعريف على النحو التالي :

١ ـ إشباع الاعتماد = عملية التصويت

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٢) الأصوات اللغوية ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) الأصوات اللغوية ١١٢ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٢٤ .

٢ ـ منع النفس = اقتراب الوترين

٣ ـ الموضع = المجرى (طريق النفس من الرئتين حتى الخارج) .

إلاّ أن الدكتور في هذا التفسير يضع أمامه المفهوم الحديث للجهر ، وكأن الجهر لدى القدماء هو نفسه لدى المحدثين ، وكأن الأصوات الثلاثة ، التي عدت مجهورة لديهم تغيرت من الجهر إلى الهمس الآن ، فلم يراع هذا التفسير أن تكون هذه الأصوات الثلاثة قد نطقت قديماً ، كما نسمعها تنطق اليوم ، ولا سيما لدى مقرئي القرآن .

تفسير تمام حسان : وقد فسر الدكتور تمام عبارات التعريف على النحو الآتي :

١ ـ فسر عبارة (إشباع الاعتماد) بأن فسر (الإشباع) (بالتقوية)[١] و (الاعتماد) (بالضغط) ، أي أن (إشباع الاعتماد) تعني (قوة الضغط) .

٢ ـ فسر عبارة (منع النفس) ، بقوله : إن النفس يرتبط بالهمس breath[٢] ، وإن الهمس مظهره النفس[٣] .

٣ ـ فسر كلمة (الموضع) ، بقوله : يظهر من استعمال سيبويه لكلمة (موضعه) دون كلمة (مخرجه) في النص السابق أن المقصود بهذه الكلمة غير المقصود بالأخرى ويتبع ذلك :

أ ـ أن الاعتماد له موضع ولا يوصف بأن له مخرج ؛ لأن المخارج عند سيبويه للحرف فقط .

ب ـ أن الاعتماد يكون من موضعه (والضمير للاعتماد) واقعاً على مخرج ضاغطاً عليه ، فنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لإفراغ ما فيهما من هواء ، وهو (أي الاعتماد أو الضغط) واقع على مخرج الحرف ، أي المكان الذي يتم

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٦٠ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ٦١ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٦٢ .

نطقه فيه »[1] ، أي إن (الموضع) هو منطقة الحجاب الحاجز حيث يبدأ منه الاعتماد أو (الضغط) ، وتثبيتاً لهذا الرأي فقد فسر عبارة سيبويه عن النون والميم بأنه : « قد يعتمد لها في الفم والخياشيم فتصير فيها غنّة » بأن حرف الجر (في) حل هنا محل حرف الجر (على)[2] ، وأن العبارة هي « على الفم والخياشيم » .

وهذا التفسير أيضاً يقوم على الافتراض نفسه الذي قام عليه التفسير السابق من أن مفهوم الجهر لدى القدماء هو نفسه لدى المحدثين ، فالدكتور تمام يرى أن الأصوات الثلاثة تغيّرت عن نطقها قديماً ، وأن هذا يعني أن تصنيف القدماء لها كان على وفق مفهوم لا يختلف عن مفهوم المحدثين وهو ما يجب أن تكون عليه عبارات سيبويه في التعريف ، وقد اختلف تفسير الدكتور تمام عن تفسير الدكتور أنيس إلا أنهما اتفقا على التسليم بعدم الخلاف بين مفهوم القدماء ومفهوم المحدثين ، ولا يعني هذا القول أنهما قد أنكرا أن يكون المفهومان مختلفين ، ولكنهما فسرا التعريف على وفق التسليم بعدم الخلاف ، فقد ذكر الدكتور أنيس قائلاً : « ونحن حين نحسن الظن بتعريف سيبويه ونحكم بأنه كان على علم حقيقي بطبيعة المجهور والمهموس نستطيع بإمعان النظر تفسير هذا التعريف تفسيراً مقبولاً ولست أرى مبرراً للحكم عليه بغير هذا »[3] ، كما أن حديث الدكتور تمام عن صوت الطاء[4] يؤكد تمسكه بهذا الرأي الذي يراه الدكتور أنيس من التسليم بعدم الخلاف .

تفسير الدكتور أيوب : يقول الدكتور عن مفهوم الجهر لدى سيبويه : « والجهر والهمس في عرفه لا يختلفان عن مفهومنا لهما »[5] ، وعلى هذا الأساس يمكن أن يفهم

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها ٦١ .
(2) اللغة العربية معناها ومبناها ٦١ .
(3) الأصوات اللغوية ١٢٣ .
(4) مناهج البحث في اللغة ١٢٢ ، ١٢٣ .
(5) محاضرات في اللغة ١٢٣ .

تفسيره للتعريف ، وهو الأساس نفسه الذي بُني عليه التعريفان السابقان ، يفسر الدكتور العبارات في التعريف على النحو الآتي :

١ ـ فسر عبارة (إشباع الاعتماد) التي وصف بها سيبويه المجهور بأنها تعني : « أن الموضع معناه ارتكاز عضو على عضو آخر في الموضع الذي يلتقيان فيه »[١] وهو تفسير لغوي ، فقد ورد في اللسان : « اعتمد على الشيء : توكأ . والعمدة : ما يعتمد عليه . واعتمدت على الشيء : اتكأت عليه »[٢] .

٢ ـ أما عبارة (منع النفس) فهو يفسر (النفس) بعده مقابلاً (الجهر) مما يعني أنه (الهمس) يقول : « جريان الصوت أو الجهر » ، وجريان الصوت يستلزم نقيضه وهو (النفس)[٣] ، ويضيف قائلاً : « فالجهر عنده صفة من الصوت ... وهذه الصفة تمنع النفس »[٤] ، ويفهم من هاتين العبارتين أن النفس هو الهمس .

٣ ـ أما تفسيره لكلمة (الموضع) فهي عنده المخرج يقول : « الاعتماد في الموضع معناه ارتكاز عضو على عضو آخر في الموضع الذي يلتقيان فيه » أي في المخرج ، والموضع في تعبير سيبويه غير المخرج[٥] ، ولو أراد به المخرج لصرح .

تفسير الدكتور شاهين : فسر الدكتور عبد الصبور شاهين العبارات على النحو الآتي :

١ ـ فسر عبارة (إشباع الاعتماد) التي وصف بها سيبويه المجهور بأنها تعني : « أن للمجهور موضعين : موضعاً في الفم هو مخرج الحرف ، وموضعاً في الصدر هو مخرج

(١) الأصوات عند سيبويه ٣٠ .
(٢) اللسان ٣٠٢/٣ .
(٣) الأصوات عند سيبويه ٣١ .
(٤) الأصوات عند سيبويه ٣١ .
(٥) الأصوات اللغوية ١٢٤ .

الجهر ، ولـذا كان المجهور مشبعاً ، لقـوة اعتماده بـازدواجـه ، على حين كان المهموس ضعيفاً ، لما أنه معتمد على موضع واحد هو مخرج الفم »[1] .

٢ ـ كما فسر عبارة (منع النفس) ، بالتفسير نفسه الـذي وضعه الـدكتور أنيس ، أي أنهـا تعني اقتراب الوترين الصوتيين بحيث يمنع الهواء من الانطـلاق بشكل طبيعي ، « فـالمنع في الحقيقـة جزئي إذ يحول الجهر بين كميـة الهـواء المحتبسـة في الصـدر وبين أن تنطلق على طبيعتها كما في حالة التنفس العادي ، فيتسرب الهواء بين الوترين الصوتيين ضاغطاً عليهما ليحركهما ، فيجري الصوت ، فإذا تم الصوت انقضى الاعتماد وجرى النفس على طبيعته »[2] .

٣ ـ أمـا كلمـة (الموضع) فهي في رأيـه تعني عنـد سيبويـه المخرج ، وقـد دلل على ذلك بنص لسيبويه يتحدث فيه عن الأصوات المطبقة[3] ، وأتبعه بقوله : فـإذا تـأملنـا هذا النص وجـدنـاه يستخـدم كلمـة (الموضع) بمعنى : مكان التقـاء أعضـاء النطق التي يخرج منهـا الصـوت ، ويتضـح ذلـك في قـولـه : « فهـذه الأربعـة لهـا مـوضعـان من اللسـان »[4] ، وهو في هذا يتفق مع الدكتور أيوب .

وعلى الرغم من أن الدكتور شاهين أخضع تفسيره هذا لنص سيبويه الذي يحدد فيه الضابط الذي يمكن بوساطته التفرقة بين المجهور والمهموس ، إلا أنه لم يتعرض للأصوات الثلاثة التي اختلف عليها ، ولذا فـإن تفسيره كان منطلقـاً من التسليم بعـدم الخلاف بين القدماء والمحدثين في مفهوم المصطلح ، وهذا مأخذ يؤخذ على هذا التفسـير أيضاً .

تفسير الدكتور حسام النعيمي : والدكتور حسام لم يقف في بحثـه لمفهوم المصطلح عند القدماء عند حدود هذا التعريف ذي العبارات الغامضة ، وإنما حـاول الوصول إلى

(١) في التطور اللغوي ٢٠٢ .

(٢) في التطور اللغوي ٢٠١ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٦ .

(٤) في التطور اللغوي ٢٠٠ .

المعنى لديهم بوساطة نصوص أخرى ، وهي طريقة تتلافى الوقوع في وهم اشتراك القدماء والمحدثين في المفهوم نفسه ، ولذلك فهو لم يمن بالوقوف عند حدود عبارات التعريف يقول الدكتور حسام : « واهتزاز الوترين وعدمه في تحديد الجهر والهمس في الحرف ، غير منظور إليه من هذين المصطلحين عند القدماء »[1] ، ولما كان معنى الجهر لدى المحدثين هو اهتزاز الوترين ، فإن تصنيف القدماء للأصوات كان وفق مفهوم خاص أوضحه سيبويه في هذا التعريف الذي يعوزه الوضوح ، وفي نص آخر اعتمده الدكتور ، وأشار إليه غيره من الباحثين دون أن يلتفتوا إلى ما يحمله من إيضاح ، وهو ما اعتمد عليه الدكتور ، فقد ذكر سيبويه بعد تعريفه للمجهورة والمهموسة قوله : « وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه »[2] ، يقول الدكتور معقباً : « فضابط الجهر والهمس عند سيبويه جري النفس مع الحرف أو عدمه ، وعلى هذا جمهور علماء العربية »[3] ، وقد أورد أيضاً نصاً ذكره الدكتور أنيس عن السيرافي ذكر أن الأخفش قال : « سألت سيبويه في الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال : المهموس إذا أخفيته ثم كررته ، أمكنك ذلك ، وأما المجهور ، فلا يمكنك ذلك ، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى فقال : ألا ترى كيف يمكن ، وكرر الطاء والدال ، وهما من مخرج التاء فلم يمكن »[4] ، وقد ضم الدكتور هذين النصين معاً وتوصل إلى الضابط الذي اعتمده القدماء في تحديد المجهور على النحو التالي : « لتمييز المهموس من المجهور اتبع الطريقة الآتية :

١ ـ اخفض صوتك بالحرف إلى أدنى ما تستطيع ـ الإخفاء .

٢ ـ ردد الصوت بالحرف ـ التكرار .

٣ ـ أجر النفس وأنت تقوم بهذه المحاولة ـ جري النفس .

---

(١) التحول والثبات في أصوات العربية ٢٨٦ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٣) التحول والثبات في أصوات العربية ٢٨٧ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٢٠ .

فـإذا سمع الصوت الـذي يسمع إذا لفـظ وحـده بوضوح وبصوت مرتفع ، فـالحرف مهموس ، أي إذا لم تؤد التجربـة إلى تحول صـوت الحرف ، فهـو مهمـوس ، أمـا إذا قمت بـالتجربـة لنطق حرف معين ، وأدى خفض الصـوت بـه وتكراره مـع جري النفس إلى سماع صوت آخر ، فـالصوت الـذي حـاولت نطقـه وتحول صـوت مجهـور ، ولـو جربت ذلك مع الثاء لسمعتها ثـاء ، كما هي ، ولو جربت ذلـك مع الـذال فسوف تسمعهـا ثـاء أيضاً ، لا ذالاً[1] ، وهذه الطريقة هي الضـابـط الـذي اتبعـه القـدمـاء مقيـاسـاً لمعرفـة المجهور ، وهو صحيح اليوم كما كان صحيحاً لديهم قديماً .

هذا التفسير يلخص في النقاط الآتية :

أولاً ـ إن مفهوم الجهر لدى القدماء غير مفهوم الجهر لدى المحدثين .

ثانياً ـ ونتيجة لذلك فإن الأصوات المجهورة لدى القدمـاء مجهورة لـدى المحـدثين ، إلا أصواتاً ثلاثة ، وهي مجهورة لدى القدماء فقط على وفق مفهومهم .

ثالثـاً ـ إن صوتي القـاف والطـاء مجهوران بضـابـط القـدمـاء ومهموسـان بضـابـط المحدثين .

إلا أن هذه النتائج تبقى نتائج غير أخيرة ، إذ إنها مرهونة بـإشكال ثـان ، وهو أن موضع القاف اللهوية لدى القدماء بعد موضع الغين والخاء ، وهذا موضع القاف الحنكيـة لا اللهوية ، أفتقع اللهاة عند القدماء في منطقة الحلق[2] ، أم أن ذلك يعني أنهم أخطؤوا الترتيب ؟ ، وإذا افترضنـا أن الحلق يمتـد حتى يشمـل اللهـاة فكيف يمكن القـول : إن صوتين حلقيين موضعهما بعد موضع اللهاة ؟ ، إن ترتيب القدماء للأصوات يجعل موضع القـاف في تسلسل الأصوات منطبقـاً على صوت القـاف الحنكي المجهـور (صـوت الكاف المجهورة) ، وهذا يخالف وصفهم له باللهوي ، وحل هذه المشكلة جاء به الدكتور حسام النعيمي إذ إنه متصل بتفسيره لمشكل جهر القاف ، وقد وصل في حله إلى النتيجة الآتيـة

(١) التحول والثبات في أصوات العربية ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) ينظر : علم اللغة العام ـ الأصوات ١١٠ ، والدراسات اللهجية ٣٠٥ ـ ٣٠٧ .

حيث قال : « إن الغين والخاء يمكن أن ينطقا من اللهاة قريبين من موضع القاف وهو ما عليه نطقنا اليوم ، ويكونان بعيدها أو قبيلها كلاهما ممكن ، مما يؤدي إلى الاشتباه في تعيين المخرج »[1] .

وخلاصة القول في مصطلح الجهر هو أن مفهوم الجهر لدى القدماء لا يختلف كثيراً عنه لدى المحدثين وهو نفسه إذا سلمنا بتغير لحق هذه الأصوات ، موضع الخلاف ، ومع أنها بقيت محتفظة بذواتها على ألسنة المقرئين إلا أن فكرة التغير ليست مستبعدة ، إذ إن صوت الضاد قد تغير نطقه ، وهو تغير لا ينكره أحد ، غير أن أدلة القول في اختلاف مفهوم الجهر بين القدماء والمحدثين أقوى من الأدلة التي تشير إلى اختلاف النطق لهذه الأصوات قديماً وحديثاً .

الهمس :

المعنى اللغوي : الهمس هو الكلام الخفي لا يكاد يفهم ، قال صاحب اللسان : الهمس : الخفي من الصوت والوطء والأكل ، وقد همسوا الكلام همساً وفي التنزيل : ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ، وفي التهذيب يعني به ، والله أعلم ، خفق الأقدام على الأرض ،... وروى عن ابن الأعرابي قال : ويقال : اهمس وصَهٍ ، أي امش خفياً واسكت ... وفي الحديث : « فجعل بعضنا يهمس إلى بعض » . الهمس الكلام الخفي لا يكاد يفهم ، ومنه الحديث : « كان إذا صلى العصر همس » . قال أبو الهيثم : إذا أسر الكلام وأخفاه ، فذلك الهمس من الكلام ، قال شمر : الهمس من الصوت والكلام ما لا غور له في الصدر وهو ما همس في الفم[2] .

المعنى الاصطلاحي : الهمس هو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين ، فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به »[3] .

---

(١) الدراسات اللهجية ٣٠٧ .

(٢) اللسان ٦/٢٥٠ .

(٣) الأصوات اللغوية ٢٠ .

الأصوات المهموسة : ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ .

مصطلح الهمس : وهو من مصطلحات سيبويه ، وليس صحيحاً ما أكده بعض الباحثين المحدثين من أن الخليل هو واضع هذا المصطلح قائلاً : وجد أن الحروف التي يجري معها النفس عشرة هي : « الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والسين ، والتاء ، والصاد ، والثاء ، والفاء ، وسماها الحروف المهموسة »[1] ، وإذا كان سيبويه قد لخص في آخر كتابه المشهور (آراء الخليل في أصوات اللغة)[2] فليس هذا دليلاً مؤكداً على نسبة هذا المصطلح وغيره إليه ، وليس في كتاب (العين) المنسوب إلى الخليل ما يرجح ذلك ، بل إن صفة الإطباق خص بها صوت الميم وهي لغيره وتعريف الهمس هو التعريف المشهور الذي نجده في كتب علماء العربية ، وهو الذي صاغه سيبويه قائلاً : « وأما المهموس حرف أضعف الاعتاد في موضعه حتى جرى النفس معه »[3] ، وهو تعريف غامض وغموضه يجيء من عدم معرفة سيبويه بالوترين الصوتين ودورهما في إنتاج النغمة الموسيقية التي اصطلح على تسميتها بالجهر أو اهتزاز الوترين ، وقد أدى هذا الغموض وعدم معرفة الوترين إلى ترديد هذا التعريف في كتب العلماء من بعده .

أما المبرد فقد عرفه قائلاً : « ومنها حروف إذا رددتها في اللسان جرى معها الصوت » ، وهي المهموسة[4] .

فالهمس عنده جريان الصوت عند النطق بالحرف .

وقد عرف السكاكي الهمس بعبارة تقترب من تعريف المبرد فقال : « الجهر انحصار

---

(١) الخليل بن أحمد ١١٢ .
(٢) الأصوات اللغوية ١٠٥ .
(٣) الكتاب ٤/٤٣٤ .
(٤) المقتضب ١/١٩٤ .

النفس من مخرج الحرف والهمس جرى ذلك فيه »[1]. وهذان التعريفان يصحان على مصطلح الرخاوة أكثر من صحتها على مصطلح الهمس ، أما تعريف سيبويه فقد جاء بنصه في كتب العلماء من بعده نذكر منهم ، الزجاجي[2] في (الجمل) ، وابن جني في (سر الصناعة)[3] ، ومكي في (الرعاية)[4] والقرطبي في (الموضح)[5] ، والخفاجي في (سر الفصاحة)[6] ، والزمخشري في (المفصل)[7] ، وابن الطحان في (مخارج الحروف)[8] ، وابن الأنباري في (أسرار العربية)[9] ، وابن يعيش في (شرح المفصل)[10] ، وابن الجزري في (النشر)[11] ، والباقلاني في (إعجاز القرآن)[12].

والهمس عند سيبويه هو عكس الجهر عنده ، فالهمس هو انعدام الجهر ، وقد ناقشنا في مبحث الجهر ، تعريف سيبويه وتفسير العلماء المحدثين لهذا التعريف ، وعلى ضوء هذا التفسير يفهم معنى الهمس ، فإذا كان الجهر حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس إن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه[13] ، فإن الهمس إضعاف الاعتماد وجري النفس ، ويكاد يكون مفهوم الهمس لدى القدماء هو نفسه لدى المحدثين ، إذ

---

(١) مفتاح العلوم ١٠٩ .
(٢) شرح جمل الزجاجي ٤٤٧ .
(٣) سر الصناعة ٦٠/١ .
(٤) الرعاية ١١٦ .
(٥) الموضح ٨٨ .
(٦) سر الفصاحة ٢٠ .
(٧) المفصل ٣٩٥ .
(٨) مخارج الحروف وصفاتها ٩٢ .
(٩) أسرار العربية ٤٢٣ .
(١٠) شرح المفصل ١٢٩/١ .
(١١) النشر ٢٠٢/١ .
(١٢) إعجاز القرآن ٦٦ .
(١٣) الكتاب ٤٣٤/٤ .

لا يختلف تصنيفهم للأصوات المهموسة إلا في صوتين اثنين هما (القـاف) و (الطـاء) ، فالأصوات عند المحدثين اثنـا عشر صوتـاً هي : (ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ)[1] ، بينما هي عند القدمـاء عشرة أصوات ، وهـذان الصوتـان اختلف فيهما ، فهل ظلّ نطقهما كما كان قديماً ؟ أو لحقه تغيير على ألسنة النـاطقين ؟ فهما الآن ينطقان مهموسين بينما هما مجهوران في كتب القدماء ، وقـد رأى المحـدثون في هـذا الاختلاف تأكيداً لقانون التطور الصوتي الذي يرون أن العربية خضعت له .

يعلل بعض المحدثين هذا التغير في صوت الطاء بقوله :« صوت الطاء كما ينطقـه القـدمـاء كان يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين ، ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعـه الآن في بعض البلاد العربيـة في نطقهـا . ثم تطور الصوتـان فهمست الأولى وأصبحت الطـاء التي نعرفها الآن ، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها فأصبحت تلك الضاد الحـديثـة ، أي أن ما كان يسمى بالطاء كان في الحقيقة ذلك الصوت الذي ننطق بـه الآن نحن المصريين ونسميه (ضاداً) فلما همست أصبحت الطـاء الحـديثـة التي فيما يظهر لم تكن معروفـة في النطق العربي القديم ، أما الضاد القديمة العصية النطق فقد تطور مخرجها وصفتهـا حتى أصبحت على الصورة التي نعهدهـا في مصر »[2] ، وهو يعتمـد في هـذا التعليل على قـول سيبـويـه : « لـولا الإطبـاق لصـارت الطـاء دالاً »[3] إذ لا فرق بين الطـاء والـدال إلا الإطبـاق ، وهو قول ينطبق على الضـاد المصريـة وهـذا الـذي جعل الـدكتـور يرى أن الطاء القديـة هي الضـاد المصريـة ، ومـا دام صوت الـدال لم تتغير صفتـه بين القـدمـاء والمحدثين وهو مجهور وشديد لديهما فإن استنتـاج الـدكتور على جـانب كبير من الأهميـة فهو يرتكن إلى قول سيبويـه السـابق ، وقـد رأى الـدكتـور حسام[4] على وفـق مفهـوم

---

(1) الأصوات اللغوية ١٧ .

(2) الأصوات اللغوية ٦٢ .

(3) الكتاب ٤/٤٣٦ .

(4) التحول والثبات في أصوات العربية ٢٩٠ ، ٢٩١ .

القدماء للجهر أن هذا الاستنتاج لا يكون صحيحاً ، إلا أنني أميل إلى الأخذ برأي الدكتور أنيس في هذه المسألة ، ولا سيا أن المسألة يدعمها دليلان ؛ عدم تغير صوت الدال ووضوح عبارة سيبويه .

وقد رأى الدكتور تمام حسان ، أن الطاء التي وصفت بالجهر هي طاء مهموزة ، وهذا الذي جعل القدماء يصفونها كما وصفوا الهمزة بالجهر أيضاً ، وعدوها من أصوات القلقلة ، وقد فسر ذلك قائلاً : « وهذا يحتاج إلى قليل من المناقشة ، ففي بعض اللهجات العامية المعاصرة صوت من أصوات الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز ولإيضاح ذلك نقول : إن طرف اللسان ومقدمه يتصلان في نقطة بالثنايا واللثة ، ويعلو مؤخر اللسان ، ويتراجع إلى الخلف في اتجاه الجدار الخلفي للحلق ، ويقفل المجرى الأنفي للهواء الخارج من الرئتين بخلق اتصال بين الطبق وبين الجدار الخلفي للحلق ، وفي الوقت نفسه تقفل الأوتار الصوتية ، فلا تسمح بمرور الهواء إلى خارج الرئتين ، وبذلك تتكون منطقة في داخل الفم والحلق يختلف ضغط الهواء فيها عنه في الرئتين وفي الخارج ، وفجأة يتم انفصال الأعضاء المتحركة التي وصفنا اتصالها في وقت معاً ، فيندفع هواء الرئتين إلى الخارج ، ويندفع الهواء الخارجي إلى الداخل ، فيحدثان بالتقائهما أثراً صوتياً هو الطاء ، كالتي تنطق في بعض لهجات الصعيد مثلاً . ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق ، فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من نطقها ، هذه الطاء مهموسة قطعاً ، لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر »[1] ، وهذا الرأي يقوم على إغفال صوت الطاء في ألسنة القراء ولكن إذا صح هذا الرأي وأن الطاء التي وصفها القدماء بالجهر هي طاء[2] مهموسة ، فإن الهمز هو موضع خلاف أيضاً بين الجهر والهمس ، والخلاف قائم على أساس تفسير

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١٢٢ .

(٢) وقد ذكر هذا الرأي الدكتور كمال بشر ناسباً إياه إلى الدكتور تمام حسان ومعلقاً عليه بقوله : وهذا الصوت حينئذ من الصعب وصفه بالجهر والهمس ، علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠٤ .

الجهر والهمس ... إذا قلنا الهمس = عدم الذبذبة ، والجهر = الذبذبة فالصوت غير متذبذب فهو مهموس ، وإذا قلنا الهمس = اتساع المجرى ، والجهر = تضيق المجرى ، فالصوت لا متسع ولا ضيق ؛ لأنه يتم عن طريق الغلق التام ثم الفتح الفجائي ، ولذا فهو لا مهموس ولا مجهور[1] ، والمحدثون متفقون على عدم جهر هذا الصوت ، والخلاف هو بين الهمس وحالة الوسط ، وأكثر المحدثين[2] يعدون الهمزة غير مجهورة وغير مهموسة ، ويعدها كانتنو[3] وحسان[4] مهموسة ولذلك فإن رأي الدكتور تمام في تفسير جهر الطاء رأي يقوم على التسليم بتغير صوت الطاء عما كان عليه قديماً ، أما الدكتور النعيمي فهو يستبعد القول بتغير صوت الطاء ، معتمداً على ضابط القدماء للجهر الذي يوافق وصفهم الطاء بصفة الجهر كما نسمعها اليوم شارحاً عبارة سيبويه على نحو يتفق مع تفسيره ، يقول في ذلك : « ذلك أن علماء العربية ذكروا ثلاثة أصوات بصفة الجهر ، وهي ليست مما يهتز معه الوتران الصوتيان ، هي الهمزة والقاف ، والطاء . ولذلك فهذه ثلاثة أصوات تمثل مشكلاً واحداً ، لا أرى صحة تجزئته . وقد ثبت أن الهمزة والقاف لم يدخلها تغيير في الصفة أو المخرج عما كانا عليه يوم وصفت أصوات العربية[5] ، وعدم تغيير هذين الصوتين قائم على ضابط القدماء للجهر وهو : « عدم جريان النفس عند إخفاء الحرف وترديده »[6] وهذا الضابط ينطبق على القاف والهمزة ، ولذلك فقد استبعد أن يكون هذان الصوتان قد تغير نطقهما عما كانا عليه ، وكذلك الطاء التي يبدو من ظاهر عبارة سيبويه « لولا الإطباق لكانت الطاء دالاً »[7] ، أنها النظير المطبق للدال ، وهو (الضّاد) كما ينطقها المصريون ، وهو الرأي

(١) المصطلحات الألسنية في اللغة العربية ٢٥٧ .

(٢) الأصوات اللغوية ٩٠ .

(٣) الدراسات اللهجية ٣٥ .

(٤) مناهج البحث ١٢٥ .

(٥) التحول والثبات ٢٩١ .

(٦) التحول والثبات ٢٩٠ .

(٧) الكتاب ٤/٤٣٦ .

الذي اعتمده الدكتور أنيس ، وأن صوت الطاء هو الضاد المصرية المعاصرة ، ولكن هذا القول صحيح بضابط المحدثين للجهر ، أما بضابط القدماء فالطاء التي تنطق اليوم مجهورة والدال مجهورة ، ولذلك فإن عد صوتي الطاء والقاف مهموسين يكون على وفق مفهوم المحدثين لمصطلح (الجهر) الذي يختلف عن مفهوم القدماء .

وقد ذكر الدكتور بشر تفسيراً لاختلاف صوت (الطاء) ثلاثة احتمالات :

أولها هو أن العرب أخطؤوا فظنوا الطاء مجهورة ، وهذا يعتمد الفهم الحديث للجهر .

والثاني هو أن صوت الطاء تطور وهو رأي شائع و يوافق رأي الدكتور أنيس [١] .

والثالث أن العرب وصفوا نوعاً من الطاء هو الطاء المهموزة ، وهو رأي الدكتور تمام حسان[٢] ، وهو هنا يستعرض الآراء جميعاً[٣] .

أما الرأي الأول فهو مردود بدلالة أن ضابط الجهر لدى القدماء يختلف عنه لدى المحدثين .

وأما الرأي الثاني فهو يوافق رأي الدكتور أنيس الذي ذكرته في الأسطر السابقة وملت إليه .

وأما الرأي الثالث فهو رأي لا نستطيع تأييده إلا إذا تأكد أن هذا النوع من الطاء هو الذي كان سائداً في عصر سيبويه .

وصوت القاف كصوت الطاء ، هي بضابط القدماء مجهورة وهي بضابط المحدثين مهموسة ، وقد فسر الدكتور أنيس هذا الاختلاف بأنه تغيير حدث لصوت القاف وأن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل

---

(١) الأصوات اللغوية ٦٢ .

(٢) مناهج البحث ٩٤ .

(٣) علم اللغة العام - الأصوات ١٠٣ .

السودانية[1] ، وأن القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراء ، صوت شديد مهموس على الرغم من أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها أحد الأصوات المجهورة[2] ، فالدكتور أنيس[3] يفسر الاختلاف بأنه اختلاف نتيجة تغير نطق الصوت عند المحدثين عما كان عليه عند القدماء ، وهذا الرأي يشاركه فيه الدكتور بشر[4] . أما الدكتور حسام النعيمي ، فهو يميل إلى الرأي القائل بعدم حدوث تغير في نطق هذا الصوت ، وأن ضابط القدماء للجهر يؤكد أن هذا الصوت مجهور ، إلا أن مشكلة القاف ذات شقين ، هذا شقها الأول ، أما شقها الثاني ، فهو تحديد القدماء اللهاة مخرجاً للقاف ، وذكره بين الأصوات بعد الغين والخاء وهو قبلها موضعاً ، إلا أن الرأي الصحيح في هذا الموضوع ما ذكره الدكتور النعيمي[5] ، فبعزل موضوع الخاء والغين ، تبقى مسألة الجهر ومسألة الموضع ، ولا مجال للشك في الموضع ، لأن القاف لهوية لدى القدماء كما هي لدى المحدثين ، والذي يؤكد ذلك لدى القدماء قول سيبويه : « إنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت : قق قق لم تر ذلك مخلاً بالقاف ، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن ، فهذا يدلل على أن معتمدها الحنك الأعلى »[6] ، وهذا دليل مؤكد على أن القاف مخرجها عند القدماء هو اللهاة ، أما جهر القاف فذلك متفق مع مفهومهم للجهر وهو مخالف لمفهوم المحدثين .

ومن الأهمية بمكان ختام الحديث عن صفة الهمس ، بالقول : إن التجارب العلمية قد أوضحت أن صوت العين وهو الذي يتفق المحدثون على عده صوتاً مجهوراً ليس بالمجهور وإنما هو صوت مهموس ، فقد ورد في كتاب (التشكيل الصوتي) للدكتور

---

(١) الأصوات اللغوية ٨٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ٨٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ٨٤ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ١١٠ .

(٥) التحول والثبات ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، والدراسات اللهجية ٣٠٥ ـ ٣٠٧ .

(٦) الكتاب ٤/٤٨٠ .

العاني قوله : « إن أكثر الفونات العين شيوعاً هو فعلاً الصوت الوقفي غير المصوت وليس الصوت الاحتكاكي المصوت »[1] .

الشدة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « (الشدة) الصلابة ، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض ، والجمع شدد ... شيء شديد : بيّن الشدة . وشيء شديد : مشتدّ قوي .. والشدة المجاعة . والشدائد والهزاهز . والشدة : صعوبة الزمن ، وقد اشتد عليهم . والشدة والشديدة من مكاره الدهر . وجمعها شدائد : وشدة العيش شظفه ، ورجل شديد : شحيح »[2] .

الأصوات الشديدة : ب ، ت ، د ، ط ، ض ، ك ، ق[3] ، والهمزة[4] .

المعنى الاصلاحي : هو أن يحبس الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع ، وينجم عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة ، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً ، انفجارياً[5] .

مصطلح الشدة : من مصطلحات سيبويه ، عرفه قائلاً : « ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه »[6] ، بينما عرفه المبرد بقوله : « ومنها حروف تمنع النفس ، وهي التي تسمى الشديدة »[7] ، والمبرد خالف سيبويه في تعريف الشديد كما خالفه في تعريف المجهور ، وكان صائباً في تعريف المجهور كما أسلف القول ، وهو هنا

(١) التشكيل الصوتي ٩٧ .

(٢) اللسان ٢٣٢/٣ ، ٢٣٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ٢٣ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ١١٢ ، كذلك مناهج البحث ١٢٥ .

(٥) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠٠ .

(٦) الكتاب ٤٣٤/٤ .

(٧) المقتضب ١٩٤/١ .

أيضاً مصيب ، إلاّ أن تعريف سيبويه أخص ، فالصوت لا يكون إلا بجري النفس فعدم جري الصوت يقتضي عدم جري النفس ، فهما على وفاق في المعنى ، ولما جعل المبرد ضابط الجهر هو ارتداع الصوت ، فإن تعريفه للشديد يكون أوضح ، أما ضابط سيبويه لمعرفة المجهور فهو « منع النفس » ، ولذا فإن رافقه بعض الغموض بسبب قوله « يمنع الصوت » ، الأمر الذي أوجد التباساً عند بعض[1] المحدثين بين معنى الجهر ومعنى الشدة ، وقد عرف ابن جني[2] مصطلح الشدّة ، مستخدماً التعابير نفسها التي استخدمها سيبويه دون زيادة ، بينما عرفه مكي رابطاً بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي قائلاً : « ومعنى الحرف الشديد : أنه اشتد لزومه لموضعه ، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به »[3] ، وقد شاركه في ذلك القرطبي[4] ، ومكي يستعمل عبارة سيبويه « منع الصوت » ، وفي عبارته « اشتد لزومه لموضعه » ، وضوح يبعد اللبس بين الشديد والمجهور ، وهي تعد إضافة لمعنى المصطلح ، بينما يعيد الباقلاني[5] والخفاجي[6] عبارة سيبويه ، أما الزمخشري فيعرف الشديد موجزاً في العبارة بقوله : « والشدة أن يحصر صوت الحرف في مخرجه »[7] ، وهي أكثر بياناً من عبارة مكي ، مما يدل على تدرج وضوح معنى الشدة لديهم ، إلا أن ابن الطحان[8] وابن يعيش[9] أعادا عبارة سيبويه ، في حين جرى السكاكي في التعريف على مجرى الزمخشري قائلاً : « إذا

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) سر الصناعة ٦١/١ .

(٣) الرعاية ١١٧ .

(٤) الموضح ٨٩ .

(٥) إعجاز القرآن ٤٥ .

(٦) سر الفصاحة ٢٠ .

(٧) المفصل ٣٩٥ .

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ٩٢ .

(٩) شرح المفصل ١٢٩/١٠ .

تم الانحصار كما في حروف قولك (أجدك قطبت) سميت شديدة »[1] ، وقد عاد ابن الأنباري في تعريفه إلى عبارة سيبويه مضيفاً إليها ، وصف الشديد بالصلابة قائلاً : « ومعنى الشديدة أنها حروف صلبة لا يجري فيها الصوت »[2] ، أما ابن الحاجب فقد عرف الشديد تعريفاً اتكأ فيه على طريقة مبسطة لفهمه وذلك قوله : « ما ينحصر جري صوته عند إسكانه في موضعه »[3] ، أي إن الشديدة هي التي ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف[4] ، كما فسر العبارة الرضي الأستراباذي متخذاً طريقة صحيحة ، ومن السهل استخدامها ومعرفة الشديد بها ، دون أي عناء ، أما ابن عقيل في (شرح التسهيل)[5] وابن الجزري في (النشر)[6] والسيوطي في (الهمع)[7] فهم يعرفون المصطلح باستخدام عبارة سيبويه ، وهو ما نجده غالباً عند أكثرية العلماء من إعادة تعاريف سيبويه .

ومن خلال هذا الاستطلاع نجد أن مصطلح الشدة لدى القدماء أتى تعريفه بعبارتين عبارة سيبويه وعبارة المبرد ، وبالنظر إلى تعريف الاثنين للجهر ، فإن تعريف المبرد للشدة يكون أوضح وبعيداً عن اللبس ، كما أن تعريف الزمخشري كان أوضح التعاريف ، وهو يقترب من تعريف المبرد وإن استعمل (حصر الصوت) بدلاً من (منع النفس) التي استعملها المبرد .

الأصوات الشديدة : وبالنظر إلى الأصوات الشديدة لدى القدماء وهي (الهمزة ،

---

(١) مفتاح العلوم ١٠٩ .

(٢) أسرار العربية ٤٢٤ .

(٣) شرح الشافية ٢٦٠/٣ .

(٤) شرح الشافية ٢٦٠/٣ .

(٥) المساعد على تسهيل الفوائد ٢٤٦/٤ .

(٦) النشر ٢٠٢/١ .

(٧) همع الهوامع ٢٣٠/٢ .

القاف ، الكاف ، الجيم ، الطاء ، التاء ، الدال ، الباء)[١] ، نجد وضوح التعريف لدى الزمخشري ومكي ، إلا أن المبرد أكثر وضوحاً لتحديد تعريف الجهر بعبارة لا تلتبس بعبارة الشديد .

وخلاصة القول : إن تعريف القدماء لمصطلح الشدة ـ كما هو معروف اليوم لدى المحدثين ـ نجده في عبارة الزمخشري التي سبقت وهي : « أن يحصر صوت الحرف في مخرجه »[٢] ، والمحدثون يعرفون الشدة بأنها الصوت الذي يحدثه الانفتاح المفاجئ لممر النفس بعد إغلاقه[٣] .

وعليه فإن الأصوات الشديدة لديهم : (ب ، ت ، د ، ط ، ض ، ك ، ق)[٤] ، وكذلك الهمزة[٥] ، وقد أغفل ذكرها الدكتور أنيس حين ذكر الأصوات الشديدة التي تؤيدها التجارب الحديثة[٦] هذه الأصوات هي الأصوات الشديدة نفسها لدى القدماء ، عدا صوت الجيم الذي يراه المحدثون صوتاً شديداً يختلط بنوع من الحفيف مما يجعلهم يخرجونه من دائرة الأصوات الشديدة ليضعوه مع الأصوات التي بين الشديدة والرخوة ، وقد رجح الدكتور أنيس صفة الشدة في حين وصفه بقوله صوت قليل الشدة .

مصطلح الشدة بين الإهمال والاستعمال : سبق القول أن هذا المصطلح من مصطلحات سيبويه ، وهو شائع في كتب القدماء[٧] إلا أن عدداً من القدماء استخدم

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤ .
(٢) المفصل ٣٩٥ .
(٣) معجم علم اللغة النظري ٩١ .
(٤) الأصوات اللغوية ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) علم اللغة العام ـ الأصوات ١١٢ ، مناهج البحث ١٢٥ ، الأصوات اللغوية ٢٣ .
(٦) الأصوات اللغوية ٩٠ .
(٧) المقتضب ١/١٩٤ ، جمهرة اللغة ١/٨ ، سر الصناعة ١/٦١ ، إعجاز القرآن ٤٥ ، الرعاية ١١٧ ، شرح المفصل ١٠/١٢٩ .

لفظاً آخر للدلالة على المصطلح نفسه ، فقد استعمل الفراء مصطلحاً لم يكتب له الشيوع وهو (مصطلح الأخرس)[١] ، واستعمل مؤلف دقائق التصريف لفظ (الصلبة)[٢] ، بدلاً عن الشديدة ، وهي لفظة وردت في كتاب (العين) للخليل وصفاً لصوت الطاء[٣] ، كما استعمل ابن سينا لفظاً آخر هو (مفردة) قائلاً : « والحروف بعضها في الحقيقة مفردة وحدوثها عن حبسات تامة للصوت ـ للهواء الفاعل للصوت ـ تتبعها إطلاقات دفعة ، وبعضها مركبة عن حبسات غير تامة لكن تتبعها إطلاقات »[٤] وهو يقصد بالمركبة الأصوات الرخوة ، وقد ذكر المرعشي لفظاً آخر وهو (آني) للدلالة على الشديد قائلاً : « إن الحروف الشديدة آنية لا توجد إلا في إن حبس النفس ، وما عداها زمانية يجري فيها الصوت زماناً »[٥] ، وقد وهم الدكتور رمضان عبد التواب[٦] بقوله : « إن علماء الغرب هم الذين تنبهوا إلى أن الأصوات الشديدة أصوات وقتية آنية » .

أما المحدثون فقد انصرفوا عن استخدام مصطلح (الشدة) انصرافاً شبه تام ، واستبدلوا مصطلحاً شائعاً الآن في كتب المحدثين[٧] وهو مصطلح (الانفجارية) وهي ترجمة للفظ الأجنبي (PLOSIVE) ، إلاّ أن هناك ألفاظاً أخرى استعملت للدلالة على المصطلح نفسه منها لفظ (الوقفية)[٨] ، و (الاحتباسية)[٩] و (الانسدادية)[١٠]

(١) ماذكره الكوفيون من الإدغام ٦٠ .

(٢) دقائق التصريف ٥٤٨ .

(٣) العين ٦٠ .

(٤) أسباب حدوث الحروف ٤ .

(٥) جهد المقل ١١٧ .

(٦) المدخل إلى علم اللغة ٤١ .

(٧) الأصوات اللغوية ٢٣ ، مدخل إلى علم اللغة ٤٤ ، منهج البحث في الأدب واللغة ١٠٠ .

(٨) دراسة الصوت اللغوي ٩٧ ، والمدخل إلى علم الأصوات ٣٣ .

(٩) محاضرات في اللغة ٩٤ ، والوجيز في فقه اللغة ١٦٠ .

(١٠) الألسنية العربية ٤٩ ، وأسس علم اللغة ٨٢ .

و (الآنية)[1] و (اللحظية) وهذا المصطلح (آني) استخدمه علماء التجويد ، كما جاء في نص المرعشي آنفاً ، ويرجع تعدد الألفاظ لهذا المصطلح إلى اختلاف الترجمات من لغات متعددة ، وإذا كان مصطلح الانفجارية ترجمة للفظ (Plosive) فإن كلمات ، وقفي واحتباسي وانسدادي وآني ترجمة للكلمة (Stop) ، وواضح أن التسمية الأولى تعود إلى عملية التصويت التي تكون بغلق ممر الهواء ثم انفتاحه فجأة ، بينما التسميات الأخرى تعود إلى حالة احتباس الهواء عند المخرج أو انسداد مجراه أو وقفه ، وكلمة آني تعود إلى المدى الزمني القصير الذي يأخذه الصوت للنطق به ، وهي لحظة قصيرة بعكس المدى الزمني الأطول الذي يأخذه الصوت الرخو ، ولذلك سمي متاد ، فهذه التسميات أطلقت إما مراعاة لانطلاق الهواء فجأة وإما مراعاة لاحتجاز الهواء ، وإما مراعاة للمدى الزمني ، وهذه التسميات كما ذكرنا هي ترجمة لكلمات أجنبية الأولى لكلمة (Plosive) ، والثانية والثالثة لكلمة (Stop) ، والشائع كما ذكرنا هو مصطلح الانفجاري[2] ، أما مصطلح (الشديد) فاستخدامه في كتب المحدثين[3] قليل ، وهي ظاهرة تثير الاستغراب ، ولا سيما أن المصطلح موجود في كتب الأقدمين شائع في دراساتهم الصوتية ، وهو قد تأصل عبر قرون وفي مئات المؤلفات ، وعدم استعماله يدل على قصور وإهمال وتجاهل أو جهل بجهود العلماء الذين أسسوا هذا العلم قبل ما يزيد على ألف عام ، واعترف بجهودهم فيه الأوربيون الذين نأخذ نحن الآن بمصطلحاتهم نترجمها إلى العربية وهي موجودة في العربية قبل أن يعرفوا هم هذا العلم ، بل إنهم هم قد استفادوا من بداياته في كتب العلماء العرب .

---

(١) التطور النحوي ١٣ ، والمدخل إلى علم الأصوات ٣٥ .

(٢) علم الأصوات ١١٣ ، والبنيوية ٢٩٩ ، ومنهج البحث اللغوي ٦٧ ، ومنهج البحث في الأدب واللغة ١٠٠ ، والأصوات اللغوية ٣٤ ، والتقابل اللغوي وتحليل الأخطاء ١٤ .

(٣) التطور اللغوي ٥٣ ، ولحن العامة ١٤٨ ، ولهجة تميم ٨٥ .

الرخاوة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « قال ابن سيدة : الرخو ، والرخو الهش من كل شيء ، غيره : وهو الشيء الذي فيه رخاوة »(١) .

المعنى الاصطلاحي : عدم انحباس الهواء انحباساً محكماً عند النطق بالصوت ، وإنما إبقاء المجرى عند المخرج ضيقاً جداً مما يسمح بمرور النفس محدثاً نوعاً من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى(٢) .

الأصوات الرخوة : س ، ص ، ش ، ذ ، ث ، ظ ، ف ، هـ ، ح ، خ ، وهذا المصطلح ذكره سيبويه مقابلاً لمصطلح الشدّة فقال : « ومن الحروف الشديد ، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ... ومنها الرخوة وهي : الهاء والحاء .. وذلك إذا قلت الطس والقص ، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إذا شئت »(٣) وليس صحيحاً ما قال بعض المحدثين من أنه من وضع الخليل ، معللاً ذلك أن وضع المصطلحات الخاصة من عمله ، ومما هو أشبه بعقله ، على الرغم من أنه لم يعثر على دليل يؤكد ذلك حيث قال : « ويقابل الحروف الشديدة عند علماء العرب في الصفة الحروف الرخوة ، ولم أعثر للخليل على كلام فيها إلا ما ذكره سيبويه مما أكاد أعتقد أنه للخليل »(٤) ، وقد عرّف المبرد المصطلح من خلال تعريفه للأصوات الرخوة فقال : « ومن الحروف حروف تجري على النفس ، وهي التي تسمى الرخوة »(٥) ، وهو تعريف أوضح من تعريف سيبويه ، الذي قال : « يجري فيه الصوت » ، فقد شمل تعريف المبرد جريان النفس الذي يكون مع انفراج عضوي النطق ، وهي ميزة تختص بها الأصوات الرخوة التي يتم

---

(١) اللسان ٣١٤/١٤ .

(٢) الأصوات اللغوية ٢٤ .

(٣) الكتاب ٤٣٤/٤ ، ٤٣٥ .

(٤) الخليل بن أحمد ١١٦ .

(٥) المقتضب ١٩٤/١ .

نطقها بابتعاد عضوي المخرج والسماح للنفس بالمرور ، وقد فضل ابن جني عبارة سيبويه باستخدامها حين عرف الصوت الرخو قائلاً : « والرخو هو الذي يجري فيه الصوت »[1] ، أما مكي فقد استعمل ألفاظ سيبويه التي جاءت في تعريف الجهر والهمس فقال : « ومعنى الحرف الرخو أنه حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به ، فجرى معه الصوت »[2] ، وهذا التعريف يلتبس بتعريف الهمس ، الذي عرفه مكي من خلال تعريفه للصوت المهموس قائلاً : « ومعنى الحرف المهموس أنه حرف جرى مع النفس عند النطق به لضعفه ، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه »[3] ، وتعريف سيبويه وابن جني أوضح ، وقد تبع سيبويه الخفاجي في (سر الفصاحة)[4] ، والزمخشري في (المفصل)[5] إلاّ أنه كان أوجز في عبارته ، وأبين . وقد عرف الشدة والرخاوة قائلاً : « أن يحصر صوت الحرف في مخرجه فلا يجري ، والرخاوة بخلافها »[6] ، وتبع ابن الطحان مكياً في التعريف ، أما ابن الجزري فقد عرف الأصوات الرخوة بأنها ما عدا الشديدة ، والصوت الشديد عنده هو صوت اشتد لزومه لموضعه ، وقوي فيه حتى منع النفس أن يجري معه عند اللفظ به[7] ، وهو تعريف يشبه تعريف مكي إلا أنه تجنب لفظ (ضعف الاعتماد) فيه ، ولعل ابن الجزري تجنب اللفظ حتى لا يقع التباس بين معنى الهمس ومعنى الرخاوة ، وقد عالج بعض علماء التجويد هذه المسألة ، قال المرعشي : « قد يجري الصوت ولا يجري النفس كالضاد والغين يعني المعجمتين ، معناه يجري الصوت القوي ولا يجري معه صوت كثير يجري في المهموس ، وليس المراد نفي

---

(١) سر الصناعة ٦١/١ .

(٢) الرعاية ١١٩ .

(٣) الرعاية ١١٦ .

(٤) سر الفصاحة ٢٠ .

(٥) المفصل ٣٩٥ .

(٦) المفصل ٣٩٥ .

(٧) التمهيد في علم التجويد ٩٨ .

جريان النفس بالكلية ، ألا ترى إلى ما قال البعض : إن الرخاوة جريان الصوت والنفس ، إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف ونفسه إما أن يحتبسا بالكلية فيحصل نفس شديد وهو في الحروف الشديدة أو لا يحتبسا أصلاً ، بأن يجريا جرياً كاملاً وهو في الحروف الرخوة[1] ، ولا يمكن أن يجري الصوت دون جري النفس ، وهو ما نبه عنه في مطلع نصه هذا ، وعبارته الأخيرة تبين أن مفهوم الشدة عنده لا تختلف عن المفهوم الحديث لها ، كما أوضح في هذا النص العلاقة بين الشدة والجهر كما يفهمها القدماء ، فالجهر يجري معه الصوت إلا أن تذبذب الوترين يمنع تدفق الهواء وخروج النفس كما هو الحال في المهموس بعكس الشديد الذي يحتبس فيه الصوت والنفس ، ولهذا جمع القدماء بين المصطلحين في التعريف واستعملوا عبارات متقاربة ، فمكي استعمل العبارة نفسها التي وردت في تعريف الجهر والهمس لدى القدماء ، ولهذا رأيت بعض المحدثين في حديثه عن المجهورة والشديدة يقول : « وقد قالوا إن الفرق بينهما أن المجهورة تمنع النفس والشديدة تمنع الصوت »[2] وقد عقب بقوله : « ولكن هذا التفريق غير واضح وضوحاً تاماً » ، إلا أن المرعشي أوضح الفرق في النص السابق .

وأما المحدثون فلا يختلفون مع القدماء في المفهوم ولا سيما أن الأصوات الرخوة لدى القدماء هي رخوة لدى المحدثين ، عدا صوت الضاد الذي كان يعد من الأصوات الرخوة ، وهذا الصوت لحقه تغيير ، إذ إنه لا ينطق اليوم كما كان ينطق في القرون الأولى ، وقد تناول صعوبة نطقه كثير من العلماء ولاسيما التباسه مع صوت الظاء ، الذي يؤكد العلماء أنه يشبهه في كل شيء عدا الاستطالة ، بل إن المرعشي عد هذا هو السبب الذي من أجله أطلقوا صفة الاستطالة على صوت الضاد ، ولا سيما أن الاستطالة صفة يمكن أن تتصف بها أصوات أخرى ، ولكنه رأى أن رغبتهم في فصل الضاد عن الظاء هي التي جعلتهم يخصُّونه بصفة الاستطالة .

---

(١) جهد المستقل ٢٠ و .

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية ٥١ .

يعرف المحدثون الرخاوة بأنها : « ضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً » ويذكرون الأصوات التي ينطبق عليها هذا التعريف على النحو الآتي :

ف ، ث ، س ، ص ، ش ، خ ، ح ، هـ ، ذ ، ظ ، ز ، غ ، ع ، وهي ثلاثة عشر صوتاً ، ويؤكد سيبويه الأصوات الرخوة وهي ثلاثة عشر صوتاً أيضاً ، وهي هذه الأصوات نفسها إلا أنه وضع بدلاً من العين صوت الضاد ، وقد عد العين بين الرخاوة والشدة والضاد صوتاً رخواً ، والمحدثون أخرجوا صوت الضاد من الرخوة لأن صوت الضاد الأكثر شيوعاً في مصر وبلاد المغرب العربي هو صوت شديد ، وهي المناطق ذات التأثير في حكم أكثر الباحثين المحدثين ، ومن الحق القول : إن قسماً كبيراً من العرب في العراق ، وبعض المناطق في اليمن وبعض المناطق في السودان ، وربما في أماكن أخرى ينطقونه رخواً ، وأما العين فقد تردد الدكتور أنيس في عدها من الرخوة قائلاً : « ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها »[(١)] .

لا يختلف إذن مفهوم المحدثين عن مفهوم القدماء إلا أن المحدثين جروا على استعمال ألفاظ أخرى غير لفظ (الرخاوة) أكثرها شيوعاً لفظ (الاحتكاك) مقابلاً (الانفجار) الذي أطلقوه على الشديد ، وهو شائع في أبحاثهم ، استخدمه السعران[(٢)] ، وكمال بشر[(٣)] ، ومحمود فهمي حجازي[(٤)] ، وصلاح الدين صالح حسنين[(٥)] وغيره[(٦)] ،

---

(١) الأصوات اللغوية ٢٥ .

(٢) علم اللغة ١٨٩ .

(٣) علم اللغة العام ـ الأصوات ١١٨ .

(٤) مدخل إلى علم اللغة ٤٤ .

(٥) المدخل إلى علم الأصوات ٣٦ .

(٦) محاضرات في اللغة ١٢٢ ، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٦٣ .

وإلى جانب هذه التسمية فهناك تسميات أخرى ، أقل شأناً ، مثل (الطليق) التي يستعملها الأنطاكي[١] ومثل (صافرات وشينيات) التي يستعملها ريمون طحان[٢] ، وكذلك لفظ (متماد) الذي استعمله برجشتراسر[٣] ، والدكتور محمد مندور[٤] ، في ترجمته لكتاب (علم اللسان) لماييه الفرنسي ، ويمكن النظر إلى المصطلح الآخر الذي يشيع في كتابات المحدثين وهو (الاحتكاك) ، إذ إن المصطلحات الأخرى هي اجتهادات فردية لم يكتب لها الشيوع ، هذا المصطلح (الاحتكاك) هو المقابل لمصطلح (الانفجار) الشائع أيضاً بدلاً عن الشديد ، والأغلب أن هذا المصطلح هو ترجمة للفظ الأجنبي (Fricative) الذي يعني الاحتكاكي ، وهذا اللفظ ليس له وجود في مباحث علمائنا الأقدمين الذين أسسوا علم الأصوات العربي سواء علماء النحو كسيبويه وابن جني ، أو علماء التجويد كمكي بن أبي طالب وشريح الرعيني والمرعشي وابن الجزري وغيرهم ، وكان الأجدر بعلماء العربية المحدثين الذين يشتغلون بالأصوات اللغوية النظر إلى نتائج أبحاث القدماء ، وإقرار المصطلحات التي استخدموها إلا إذا كان هناك قصور في المطلح القديم ، وقد يكون المفهوم قاصراً ولكن المصطلح كما هو معروف يثبت بالاستخدام ، والرخاوة تؤدي معنى مرور الهواء والصوت دون عارض يعترضه فيرققه ، إذ يمر الصوت في سهولة وارتخاء .

صوت الجيم : ثالث الأصوات التي يختلف المحدثون والقدماء في شدتها هو صوت الجيم ، فسيبويه يضعه مع الأصوات الشديدة ، وإبراهيم أنيس يضعه مع الأصوات بين الرخوة والشديدة ، واختلاف المحدثين مع القدماء في هذا الصوت يشبه خلافهم في صوت العين مع ملاحظة أن صوت العين عده القدماء بين الشديد والرخو وعده المحدثون رخواً .

---

(١) الوجيز في فقه اللغة ١٦٠ .

(٢) الألسنية العربية ٤٩ .

(٣) التطور النحوي ١٣ .

(٤) منهج البحث في الأدب واللغة ١٠٠ .

والجيم المسموعة اليوم في البلاد العربية هي جيات ثلاثة وهي : « الجيم الموصوفة بالفصحى وهي المعروفة بالمعطشة ، والجيم القاهرية وهي مجهور الكاف ، والجيم الشامية وهي مجهور الشين »[1] ، والجيم المعتمدة عند المقرئين هي الجيم التي بين الشديدة والرخوة ، وهي التي وصفها الدكتور أنيس بقلة الشدة أما الشديدة فهي مجهورة الكاف ، وأما الشامية فهي رخوة .

ولما كانت الجيم التي ينطقها المقرئون هي بين الشديدة والرخوة ، والقرآن نقل محفوظاً بأصواته ، فقد عد هذا الصوت المسموع اليوم هو صوت الجيم القديم .

وبالنظر إلى وصف سيبويه لمخرج هذا الصوت وهو « من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى »[2] ، نجد أن هذا الوصف لا ينطبق على الجيم الشديدة التي تسمع اليوم ، وهي مجهور الكاف ، فهذه الجيم حنكية من أقصى الحنك وليس من وسط الحنك ، فالجيم الشديدة اليوم جيم لهجية ، لا تسمع من أفواه المقرئين ، وهي لا تخرج من وسط الحنك ، فكيف يتفق وصف القدماء للجيم بالشدة ، وتحديدهم وسط الحنك مخرجاً لها ؟ أم أن معنى الشدة عندهم غير معناه عند المحدثين ؟ وما هو إذن وجه هذا الخلاف ؟ وأيوضح ضابط القدماء في معرفة الشدة أن هذا الصوت شديد ؟ وهل يصح القول بأن صوت الجيم تغير عما كان عليه قديماً حين وصف سيبويه له ؟.

أما المحدثون فهم مجمعون على أن الصوت الذي وصفه سيبويه قد تغير وأن ما يسمع اليوم هو صوت آخر إذ ليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف كان ينطق بالجيم بين فصحاء العرب[3] ، بل إن بعضهم ينفي إمكانية نطق هذا الصوت شديداً كما وصفه سيبويه ، فيقول : « ليس من الممكن بالتجربة نطق صوت من وسط الفم ، من مخرج الشين والياء وهو مجهور شديد »[4] ، ويذهب آخر إلى تفسير وصف القدماء لهذا

(١) في التطور اللغوي ١٨٦ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) الأصوات اللغوية ٧٧ .

(٤) في التطور اللغوي ١٨٨ .

الصوت بالشدة بأنهم تأثروا بالجزء الأول من نطق هذا الصوت ، وهذا الجزء يتمثل في انحباس الهواء عند بداية النطق به ، وهو في ذلك يتفق مع الأصوات الانفجارية[1] وهم يجمعون على وصف هذا الصوت بالصوت الشديد الرخو أو بالصوت المركب[2] ، ولهذا فلا معنى للقول بأن الأصوات العربية التي تكون النظام الصوتي لفصحانا هذه الأيام ليس من جملتها أصوات انفجارية احتكاكية[3] .

يميل إذن المحدثون إلى القول بأن صوت الجيم التي نسمعها من مجيدي القراءات هي أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية[4] ، كما أن إمكانية النطق بالجيم الشديدة من وسط الحنك ليس ممكناً ، وأن السبب في التسمية بالشديدة يعود إلى أخذ القدماء بالجزء الأول من نطق الصوت . أما القول بأن الجيم الأصلية كانت تنطق كما تنطق القاف اليوم في بعض المناطق كافاً مجهورة ، فهو تفسير لا نأخذ به إذ إن هذا يقتضي تجاهل تحديد القدماء لهذا الصوت بأنه من وسط الحنك .

من كل هذا يمكن القول : إن مفهوم الشدة والرخاوة بين القدماء والمحدثين لم يختلف ، أما صوت الضاد ، فقد سبق القول فيه ، وأما صوت الجيم فإن عدّ القدماء له بالشدة يرجع إلى طبيعة هذا الصوت الذي يجمع بين صفة الشدة وصفة الرخاوة ، وإذا كان لكل صوت رخو صوت شديد مقابل له كما أوضح الدكتور السعران ، فإن هذا الصوت جمع النقيضين معاً ، ولذا تعسر على القدماء وصفه فألحقوه بالشديدة ، كما تعسر على الناطقين نطقه فاختلط بصوت الكاف ، وبصوت الشين ، في أربعة أصوات فروع ذكرها سيبويه .

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٦ .

(٢) مناهج البحث في اللغة ١١٣ ، وعلم اللغة ١٩٤ ، وعلم اللغة العام ١٢٦ .

(٣) علم اللغة ١٨٣ .

(٤) الأصوات اللغوية ٧٧ .

بين الشدة والرخاوة :

المعنى الإصطلاحي : وهو أن يحدث اتصال بين عضوي النطق ، كما هو الحال في الأصوات الشديدة ، إلا أن الصوت يجري في مجاري أخرى ، فيكتسب الصوت صفة الرخاوة أيضاً[1] .

أصوات بين الشدة والرخاوة : وهي الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو[2] .

مصطلح بين الشدة والرخاوة : من مصطلحات سيبويه أطلقه على الأصوات التي لم تتم فيها صفة الشدة ، كما لم تتم فيها صفة الرخاوة ، وإنما كانت تجمع الصفتين وقد عدد سيبويه هذه الأصوات وهي : (العين واللام والنون والميم والراء)[3] ، أما العين فقد أطلق عليها الوصف مباشرة ، قائلاً : « أما العين فبين الرخوة والشديدة » ، وأما اللام والنون والميم والراء فقد وصف كل منها بأنه « حرف شديد يجري فيه الصوت »[4] ، وأما الأصوات الثلاثة وهي الواو والياء والألف ، فلا يبدو من وصفه أنه يعدها من بين الرخوة والشديدة ، ولا سيما أن ضابطه في أصوات هذه الفئة هو أنها « حرف شديد جرى فيه الصوت »[5] ، بينما وصف هذه الأصوات الثلاثة باتساع المخرج إلاّ أن المبرد جعل هذه الأصوات منها قائلاً : « وهذه الحروف التي تعترض بين الرخوة والشديدة هي شديدة في الأصل وإنما يجري فيها النفس ، لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة ، كالعين .. وكالنون .... ، وكحروف المد واللين التي يجري فيها الصوت

---

(١) ينظر : الكتاب ٤/٤٣٥ .
(٢) سر الصناعة ١/٦١ .
(٣) الكتاب ٤/٤٣٥ .
(٤) الكتاب ٤/٤٣٥ .
(٥) الكتاب ٤/٤٣٥ .

للينها »[1] ، وإذا صح وصف (الواو والياء) غير المديتين ببعض الشدة ، فإن الألف لا يصح فيها ذلك ، ولم يقل سيبويه عن هذه الثلاثة إنها : « حروف شديدة جرى فيها الصوت » كما قال عن الأخرى . وقد صنع ابن جني صنيع المبرد فعد الأصوات بين الشديدة والرخوة ثمانية ، وهي التي ذكرناها ، قائلاً : « ويجمعها (لم يروعنا) »[2] ، ولم يعن مكي بهذا الصنف من الأصوات فلم يجعل لها مصطلحاً ، وهو قد ذكرها عرضاً في حديثه عن الأصوات الرخوة فقال : « هي ما عدا الشديدة المذكورة ، وما عدا هجاء قولك (لم يروعنا) »[3] ، وهي إشارة إلى هذه الأصوات الثمانية ذات الصفات المشتركة ، ولكنه لم يقل عنها شيئاً عدا ذلك ، وكذلك فعل ابن الجزري في التمهيد[4] ، أما من جاؤوا بعده فقد شاع لديهم مصطلح (بين الشدة والرخاوة) أو (التوسط)[5] أو (المتوسطة)[6] ، وهو لديهم مصطلح يشمل الأصوات الثمانية التي يجمعونها في نفس الجملة التي وردت في سر الصناعة وهي (لم يروعنا) وهذا ما نجده عند الخفاجي في (سر الفصاحة)[7] ، والزمخشري في (المفصل)[8] ، والأنباري في (أسرار العربية)[9] الذي صاغ الحروف في جملة « نوري لامع » ، والسكاكي في (مفتاح العلوم)[10] ، وابن يعيش في (شرح المفصل)[11] ، والرضي في (شرح الشافية)[12] ، وابن عقيل في (شرح

(1) المقتضب ١٩٦/١ .

(2) سر الصناعة ٦١/١ .

(3) الرعاية ١١٩ .

(4) التمهيد في علم التجويد ٩٨ .

(5) همع الهوامع ٢٣٠/٢ .

(6) المساعد ٢٤٦/٤ .

(7) سر الفصاحة ٢٠ .

(8) المفصل ٣٩٥ .

(9) أسرار العربية ٤٢٣ .

(10) مفتاح العلوم ١٠٩ .

(11) شرح المفصل ١٢٩/١٠ .

(12) شرح الشافية ٢٦٠/٣ .

التسهيل)[1] ، أما ابن الطحان فقد استثنى صوت (الألف) وعد الأصوات سبعة فقط دون أن يذكر سبباً جامعاً إياها في جملة (نولي عمر)[2] بينما استثنى ابن الجزري في النشر أصوات المد واللين قائلاً : « يجمعها قولك لن عمر »[3] وهو رأي سيبويه كما ذكرنا ، وقد خالف ابن الجزري قوله في التمهيد كما سبق ، والسبب أنه كتب (التمهيد) في مطالع شبابه ، وكان محتذياً فيه مكياً في (الرعاية) أما المهدوي[4] فقد حدد هذه الأصوات بخمسة يجمعها (من رعل) .

ومما ذكر فإن هذه الأصوات هي أصوات شديدة بدلالة اتصال عضوي المخرج فيها إلاّ أن الصوت يجري من موضع آخر مما يكسبه الرخاوة ، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله : « جرى فيه الصوت » وهي صفة الرخاوة ، وقد أوضح هذا المعنى الرضي الأستراباذي فقال : « وهذه الأحرف الثانية ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف ، لكن تعرض لها أعراض توجب خروج الصوت من غير مواضعها »[5] ، وهذا الضابط يصدق على سبعة أصوات من الثانية عدا صوت الألف ، إلاّ أنه رأى أن الضابط ينطبق عليها كلها قائلاً : « وكذلك الواو والياء ، والألف لا يجري الصوت معها كثيراً ، لكن لما كانت مخارجها تتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها من المجهورة كان الصوت معها يكثر فيجري منه شيء »[6] ، وهو هنا يذكر أن مخارجها تتسع ، وهوما يتناقض مع الضابط وهو أن ينحصر الصوت في الموضع ، وشتان بين معنى أن ينحصر الصوت في موضعه ، وبين أن يكون مخرجه متسعاً ، ويبدو ابن الجزري مدركاً لهذا التناقض حين عدها خمسة فقط مضيفاً إليها الواو والياء ، أما المهدوي فقد كان أكثر الجميع دقة حين

---

(١) المساعد ٤/٢٤٦ .

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ٨٩ .

(٣) النشر ١/٢٠٢ .

(٤) الموضح في تعليل وجوه القراءات ١٧٥ .

(٥) شرح الشافية ٣/٢٦٠ .

(٦) شرح الشافية ٣/٢٦١ .

حدد الوصف قائلاً : « أما الشديدة التي لا يخالطها الصوت فخمسة أحرف يجمعها قولك (من رعل) فهذه شديدة ، لكنها لم يشتد لزومها في مخارجها حتى لا يخالطها الصوت إلى انقطاعها »[1] ، وهذا التعريف ينطبق تماماً على الأصوات الخمسة ، وهي التي يتضح من كلام سيبويه أنه يقصدها .

أما المحدثون ، فقد أطلق الدكتور تمام حسان[2] تسمية (الأصوات الاستمرارية) على أصوات (الراء واللام والميم والنون والواو والياء) مستثنياً الألف والعين ، متجاهلاً التسمية التي أطلقها القدماء كما فعل كانتينو كأنها رأيا أن التسمية غير دقيقة ، وهو ما صرح به الدكتور بشر قائلاً : « إلا إذا قصد بها أنها ليست انفجارية ولا احتكاكية وإنما هي نوع مستقل ، وكان الأولى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات »[3] . بل إنه أطلق عليها تسمية (أشباه الحركات)[4] ، وكان الأولى أن يسميها (أشباه الصوامت) لأن أشباه أصوات اللين مصطلح يطلق على صوتي (الواو والياء)[5] غير المديتين ، والدكتور بشر يطلق هذه التسمية على الأصوات دون أصوات المد واللين ، والشائع الذي عليه المحدثون هو عدم الأخذ بمصطلح (بين الشدة والرخاوة) ، وإذا كان سيبويه قد أطلق هذا المصطلح واصفاً به تصريحاً ـ صوتاً واحداً هو العين فإن وصفه بقية الأصوات دون أصوات اللين والمد ، يدل على عدّه إياها منها كما ذكرنا ، إلا أن بعض المحدثين رأى أن سيبويه عد الأصوات (النون والميم واللام والراء)[6] شديدة كما عد (الواو والياء والألف) رخوة وأن (المتوسطة العين)[7]

---

(١) الموضح في تعليل وجوه القراءات ١٧٥ .

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٣٢ ، ١٣٦ .

(٣) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٣١ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢١ .

(٥) الأصوات اللغوية ٤٢ .

(٦) في التطور اللغوي ٢٠٨ .

(٧) في التطور اللغوي ٢٠٨ .

فقط ، ولم يوضح كيف استنتج رأيه هذا ، وهو رأي لا يلتفت إلى التقسيم الأساس الذي وضعه سيبويه ولم يضع هذه الأصوات بين الشديدة ولا بين الرخوة وهذا ما يرد هذا الرأي عندنا ، والأرجح هو الذي رآه العلماء من بعده وهو ما أوضحه الرضي من أن الشديد عند سيبويه هو صوت شديد تخلل نطقه مرور الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة .

الإطباق

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الطبق : غطاء كل شيء ، والجمع أطباق ، وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبق : غطاه وجعله مطبقاً .. وقد طابقه وطباقاً وتطابق الشيئان : تساويا ، والمطابقة الموافقة والتطابق : الاتفاق .. وطبق الغيث الأرض ، ملأها ودعمها »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهو أن يتخذ اللسان عند النطق بالصوت شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ، ويرجع إلى الوراء قليلاً[2] .

الأصوات المطبقة : الصاد والضاد والطاء والظاء[3] .

مصطلح الإطباق : وهذا المصطلح من مصطلحات سيبويه ، وكان الخليل يسمي الميم مطبقه ، لأنها تطبق الفم إذا نطق بها[4] ، وقد ذكر سيبويه الأصوات المطبقة معرفاً إياها بقوله : « إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى ، فإذا وضعت لسانك

---

(١) اللسان ٢٠٩/١٠ ، ٢١٠ .
(٢) الأصوات اللغوية ٦٢ .
(٣) الكتاب ٤٣٦/٤ .
(٤) العين ٦٥ .

فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف »[1] ، وقد ذكر المبرد[2] المصطلح دون أن يذكر الأصوات ، ولا خلاف على الأصوات الأربعة ، أما ابن دريد فقد ذكرها معرفاً الإطباق بقوله : « لأنك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها »[3] ، وهو تعريف غير دقيق ، فصوت الصاد لا يمنع النفس الجرى معه ، وقد أوجز ابن جني عبارة سيبويه قائلاً : « والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له »[4] ، والباقلاني لم يذكر تعريف الإطباق حين ذكر الأصوات المطبقة[5] ، أما مكي فقد رأى أن الإطباق يكون بانطباق جزء من اللسان وليس كل اللسان ، كما رأى سيبويه قائلاً : « لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى ، عند النطق بها مع استعلائها في الفم »[6] ، وقد رأى أن الإطباق درجات ، وأن الأصوات المطبقة بعضها أقوى من بعض ، والطاء أقواها جميعاً[7] ، وقد وافقه في تعريفه هذا ابن الطحان[8] ، وابن الجزري[9] .

أما أكثر العلماء[10] فهم على تعريف سيبويه ، ولكن دون الالتزام بعبارته ، وإنما

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٦ .

(٢) المقتضب ١/١٩٤ .

(٣) جمهرة اللغة ١/٨ .

(٤) سر الصناعة ١/٦١ .

(٥) إعجاز القرآن ٤٥ .

(٦) الرعاية ١٢٢ .

(٧) الرعاية ١٢٢ .

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ٩٢ .

(٩) التمهيد في علم التجويد ١٠٠ .

(١٠) سر الفصاحة ٢١ ، والمفصل ٢٩٥ ، وأسرار العربية ٤٢٤ ، ومفتاح العلوم ١١٠ ، وشرح الشافية ٣/٢٦٢ ، والساعد ٤/٢٤٧ ، وهمع الهوامع ٢/٢٢٠ .

تختلف التعابير والمعنى واحد ، وهو انطباق اللسان على الحنك الأعلى وحصر الصوت بين اللسان والحنك ، وليس منع النفس كما أورد ابن دريد ، ولذا فإن الإطباق يستلزم حصر الصوت ، ولم ينتبه عدد كبير من العلماء في تعريفاتهم إلى ذكر حصر الصوت مما دفع بعض المحدثين إلى القول : إن العلماء العرب قد جاوزوا الدقة لأنه على الرغم من التصاق مقدمة اللسان بمقدمة الحنك ، وارتفاع مؤخرته نحو السقف الرخو فإن وسط اللسان يكون منخفضاً ، وبهذا لا يتحقق انطباق اللسان تماماً مع الحنك الأعلى[1] ، وقول سيبويه : « فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف »[2] يعني عدم الانطباق التام ، وقد فسر صاحب اللسان الحصر بقوله : « حصره يحصره حصراً : ضيّق عليه وأحاط به »[3] فكأن اللسان والحنك يحيطان بالصوت بينهما ، فلا يخرج . وعلى الرغم من أن الإطباق غير التفخيم ، إذ إن التفخيم صفة أعم من الإطباق[4] ، إلا أن عدداً من المحدثين[5] لا يفرق بينهما ، وبعضهم يضيف إليها صفة الاستعلاء قائلاً : « ولا يمكن التفريق بين التفخيم وبين الإطباق والاستعلاء »[6] ، وهو يؤكد على عدّه صفات الإطباق والتفخيم شيئاً واحداً حين يقول : « ومن الملاحظ أن النحاة العرب لم يثبتوا في قائمة الحروف المطبقة لا حرف الكاف ، ولا بعض الحالات الخاصة في نطق الراء واللام التي تسمى عندنا راء (مفخمة) ، ولام (مفخمه) ؛ وذلك لأن النحاة العرب يعتبرون هذه الحروف حروفاً مفخمة[7] » ، والإطباق صفة من السهل تبينها والتفريق بينها وبين التفخيم والاستعلاء ، وعلماء العربية عدوا أصوات الإطباق

---

(١) العربية ولهجاتها ٩٦ .

(٢) الكتاب ٤٣٦/٤ .

(٣) اللسان ١٩٣/٤ ، ١٩٤ .

(٤) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٩٥ .

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٣٨ ، والمحيط في أصوات العربية ١٧/١ .

(٦) دروس في علم أصوات العربية ٣٧ .

(٧) دروس في علم أصوات العربية ٣٦ .

مفخمة ، ولم يعدوا أصوات الاستعلاء كذلك ، والتفخيم لا يقتضي انطباق اللسان مع الحنك الأعلى ، إلا أن كانتينو عدّ مصطلح الإطباق بعيداً عن الوضوح[1] ، وقد رأى الدكتور النعيمي الرأي نفسه في تعريف ابن جني له قائلاً :

« ومنها تسعة مختفضة ، وهي : ك ، ج ، ش ، ز ، س ، د ، ت ، ذ ، ث »[2] ، بينما أصوات الانفتاح عند سيبويه هي ماعدا الأربعة المطبقة ، وهذا يعني أن معنى الاختفاض عند الخليل ليس هو معنى الانفتاح عند سيبويه ، ولعل الخليل رأى في تحديد هذه الأصوات التسعة أنها تشترك جميعها عند النطق بها في تقارب الأسنان العليا من السفلى أو اصطكاكها ، مما يعني حالة تكون بين استعلاء اللسان إلى الحنك الأعلى واستلقائه في باطن الفم بابتعاده من الطبق ، وهي الحالة التي لا تكون مع بقية الأصوات التي لم يذكرها الخليل مع الأصوات المنخفضة وهي : (ق ، ع ، ح ، هـ ، ع ، ي ، ل ، ن ، ر ، ب ، م ، ف ، و) ، والمعروف أن الخليل ذكر مصطلح الإطباق وأطلقه على صوت واحد فقط ، وهو الميم فقد ذكر الأزهري قائلاً : « وكان الخليل يسمي الميم مطبقة لأنها تنطبق إذا لفظ بها »[3] ، وهذا تأكيد لاختلاف المصطلحين بين الخليل وسيبويه ، وليس هناك فرق يذكر بين سيبويه ومن تبعه من العلماء في مفهوم هذا المصطلح ، فهو ضد الإطباق كما ذكرنا ، ولذا فإن تعاريف العلماء للمصطلح كانت إعادة لتعريف سيبويه له ، وقد اختلفت العبارات أحياناً نظراً لوضوح المعنى ، والتزم بعض[4] العلماء بحرفية النص ، بينما اختلفت العبارة عند أكثرهم[5] ، فقد أوجزها ابن جني مكتفياً في تعريفه للإطباق بقوله : « والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له »[5] ، أما الانفتاح عنده فهو « ما سوى ذلك »[5] ، وقد ذكر مكي في

(١) دروس في علم أصوات العربية ٣٦ .

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢١٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٤٩/١ .

(٤) شرح جمل الزجاجي ٤٤٩ .

(٥) سر الصناعة ٦١/١ .

تعريفه شروط سيبويه نفسها من وضع اللسان في مخرج الحرف ثم انطباقه إلى الحنك الأعلى وانحصار الصوت بين الحنك واللسان ، ولكنه استبدل بالصوت الريح قائلاً : « لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها ، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك ، وتخرج الريح عند النطق بها »[١] ، والخفاجي والزمخشري اقتفيا أثر ابن جني في الإيجاز ، وكذلك فعل ابن الأنباري والسكاكي وابن يعيش وابن عقيل والسيوطي ، أما ابن الطحان وابن الجزري فهما قد تبعا مكياً في تعريفه .

وهو حقاً كذلك لو وقفنا عند عبارة ابن جني ، لأنها لم توضح المراد بالإطباق على وجه الدقة[٢] ، ولم يكن كانتينو يعني بقوله ذاك إلا تعريف سيبويه ، فقد قدم لعبارته تلك بنص لسيبويه ، وهو نص يوضح معنى الإطباق وضوحاً تاماً ، ولا يمكن أن يوصف رأي كانتينو إلا بأنه رأي مبالغ فيه جداً[٣] ، ومن الواضح أن كانتينو بنى رأيه ذاك على فهم غير صحيح وهو أنه يظن - كما نرى - أن كلمة الإطباق مأخوذة من الطبق (الحنك اللين) وهو ما دعاه إلى القول أن : « النحاة العرب لم يثبتوا في قائمة الحروف المطبقة لا حرف القاف ولا بعض الحالات الخاصة من نطق الراء واللام »[٤] ، بل إن هذا جعله يتوهم أن الإطباق والتفخيم والاستعلاء شيء واحد . والإطباق صفة والطبقية صفة أخرى ، والأولى كما ذكرنا تنسب إلى انطباق اللسان بالحنك الأعلى ، بينما الثانية تنسب إلى الحنك اللين الذي يسمى (الطبق) .

---

(١) الرعاية ١٢٢

(٢) علم اللغة العام - الأصوات ١٠٢ .

(٣) تهذيب اللغة ٥١/١ .

(٤) دروس في علم أصوات العربية ٣٦ .

الانفتاح :

المعنى اللغوي : الانفتاح ضد الانغلاق ، جاء في اللسان : « الفتح نقيض الإغلاق ، وباب فتح أي واسع مفتح » ، وفي حديث أبي الدرداء : « ومن يأت باباً مغلقاً يجد إلى جنبه باباً فتحاً ، أي واسعاً »[١] .

المعنى الاصطلاحي : الانفتاح ضد الإطباق ، وهو عدم رفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأقصى وتأخره نحو الجدار الخلفي للحلق عند النطق بالصوت[٢] .

مصطلح الانفتاح : ومصطلح الانفتاح ذكره سيبويه في كتابه ، ولم يذكره أحد قبله ، فهو واضع هذا المصطلح ، أما الخليل فقد سمى هذا المصطلح مختفضاً[٣] ، فما سماه الخليل مستعلياً سماه سيبويه مطبقاً ، مع إخراج القاف من هذه الطائفة ، وما سماه الخليل منخفضاً سماه سيبويه منفتحاً ، وقد عرف سيبويه الانفتاح قائلاً : « فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء ، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف ، لأنك لاتطبق لشيء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى » ، وليست أصوات الانخفاض عند الخليل هي أصوات الانفتاح عند سيبويه ، لأن الخليل خص الاستعلاء بخمسة أصوات فقط كما خص الانخفاض بأصوات تسعة قائلاً :

والانفتاح قد يعني الترقيق كما قد يعني الإطباق التفخيم ، فالأصوات المنفتحة أصوات مرققة ، وقد ذكر الدكتور تمام حسان أن النحاة القدماء عدوا الأصوات المفخمة سبعة مضيفين إلى أصوات الإطباق الثلاثة وهي القاف والغين والخاء قائلاً : « يقول النحاة القدماء إن حروف التفخيم هي (ص ، ض ، ط ، ظ ، غ ، خ ،

---

(١) اللسان ٥٣٦/٢ ، ٥٣٧ .

(٢) ينظر : علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠٢ .

(٣) تهذيب اللغة ٥١ .

ق) »[1] ، ولم يذكر هؤلاء النحاة الذين عدوا الأصوات الثلاثة غير المطبقة ضمن أصوات التفخيم ، وعلى الأغلب فقد رأى عدم هذه السبعة أصواتاً استعلائية ، ففسر هذا بأنها مفخمة ، إذ إن النحاة لم يخصوا هذه الثلاثة بالتفخيم ولم يذكرها مكي في (الرعاية) حين ذكر الأصوات المفخمة ، وهي الأربعة المطبقة ، وكذلك فعل ابن الجزري ، ولم يذكرها ، وكلاهما ذكرا ثلاثة أصوات أخرى وهي : (الراء واللام والألف) ، نحو ربكم و ﴿ رحيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، و ﴿ الصلاة ﴾ [البقرة : ٣/٢] و ﴿ الطلاق ﴾ [البقرة : ٢٢٧/٢] ، في قراءة ورش[2] ، وقد رأى الدكتور شاهين رأي تمام مفسراً الأمر بأن التفخيم هو الاستعلاء بحسب عبارة القدماء[3] ، ولعل هذا هو الذي جعل كانتينو يقول : إن الإطباق والانفتاح يشتملان جزءاً من مفهومي التفخيم وانعدام التفخيم[4] ، على أساس أن أصوات الإطباق هي بعض أصوات الاستعلاء ، والاستعلاء هو التفخيم وهذا ليس إلا تقديراً فقط ، ولم يأت في كتب النحاة تصريح به وقد ذكر بعض[5] علماء التجويد الأصوات الثلاثة في أصوات التفخيم ، والانفتاح قيمة صوتية خلافية ، تميز أربعة أصوات بحسب النطق الآن ، وهي الدال النظير المرقق للضاد المصرية ، والتاء النظير المرقق للطاء ، والذال النظير المرقق للظاء ، والسين النظير المرقق للصاد ، وبقية الأصوات المرققة أو المنفتحة ليس لها نظائر ، وكذلك الأصوات الثلاثة المفخمة اللام والراء والألف ، إذا صح أن الألف من الأصوات المفخمة كما هي عند مكي ، فقد رأى ابن الجزري[6] غير ذلك وعد مكياً واهماً في هذا .

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١٨٧ .

(٢) الرعاية ١٢٩ .

(٣) في التطور اللغوي ٢٠٩ .

(٤) دروس في علم أصوات العربية ٣٦ .

(٥) الدراسات الصوتية ٤٧٧ .

(٦) التمهيد ١٠٤ .

الاستعلاء :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « علو كل شيء وعلوه وعلوه وعلاوته وعاليه وعاليته : أرفعه ... » ، قال ابن السكيت : سفل الدار وعلوها وسفلها وعلوها ، وعلا الشيء علواً فهو علي ، وعلي ، وتعلى .. وفي حديث ابن عباس : « فإذا هو يتعلى عني » . أي يترفع علي . وعلاه علواً واستعلاه وأعلولاه ، وعلا به وأعلاه وعلاه وعالاه وعالى به[1] .

المعنى الاصطلاحي : والاستعلاء أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى[2] .

أصوات الاستعلاء : وهي ع ، خ ، ق ، ض ، ص ، ط ، ظ[3] .

الاستعلاء من مصطلحات الخليل ، فقد ذكر الأزهري أن الخليل قال : « منها خمس شواخص وهي (ط ، ض ، ص ، ظ ، ق) وتسمى المستعلية[4] ، وهو لم يذكر الغين ولا الخاء ، وقد ذكر سيبويه المصطلح في حديث الإمالة حين ذكر الأصوات التي تمنع الإمالة وهي أصوات الاستعلاء ، قال : « فالحروف التي تمنعها[5] الإمالة هذه السبعة : الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء ... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى »[6] ، وعلى حين جاء وصف سيبويه لهذه الأصوات السبعة بالاستعلاء وصفاً عرضياً أتى في نهاية الجملة ، فقد جاء به المبرد مختصاً بهذه الحروف قائلاً : « والحروف المستعلية : الصاد .... وإنما قيل لها مستعلية ، لأنها

---

(١) اللسان ٨٢/١٥ .

(٢) جهد المقل ١٢٤ .

(٣) الرعاية ١٢٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٥١/١ .

(٥) الضمير يعود إلى الألف التي تمال .

(٦) الكتاب ١٢٨/٤ ، ١٢٩ .

حروف استعلت إلى الحنك الأعلى ، وهي الحروف التي تمنع الإمالة »[1] ، ولم يذكر المبرد الصفة المقابلة لها ، كما لم يذكرها سيبويه ، بل إن المبرد حين أراد وصف الزاي بالاستفال قال : « ولم تكن الزاي هاهنا ، لأنها ليست بمستعلية »[2] وقد ذكر الأزهري حين أورد وصف الخليل عدداً من الأصوات بالاستعلاء أن الخليل قال : « ومنها تسعة مختفضة ، وهن : ك ، ج ، ش ، ز ، س ، د ، ت ، ذ ، ث »[3] ، وقد ذكر الأزهري أن الخليل خص هاتين الصفتين بأصوات الفم فقط ، مستثنياً أصوات الحلق ، والأصوات الذلقية ، فأصوات الفم أربعة عشر صوتاً خمسة منها وصفه بالاستعلاء وتسعة بالاختفاض ، وهذا يعني أن مصطلح الاستعلاء كما نعرفه بدأ وصفاً عابراً عند الخليل ثم محدداً عند سيبويه ثم مصطلحاً محدداً عند المبرد ، أما ابن جني فقد استوى المصطلح عنده فقال : « وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض فالمستعلية سبعة ، وهي : الخاء ... وما عدا هذه الحروف فنخفض[4] ، ومعنى الاستعلاء جاء في نص سيبويه حين قال : « لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى »[5] ، وهو ما ذكره المبرد[6] وابن جني[7] من بعده ، وقد ذكر مكي تعريف الاستعلاء قائلاً : « لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعلياً بالريح (مع طائفه من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق) ... ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف ، إنما يستعلي

---

(١) المقتضب ٢٢٥/١ .

(٢) المقتضب ٢٢٦/١ .

(٣) تهذيب اللغة ٥١/١ ، ينسب الدكتور غانم قدوري مصطلح الانخفاض إلى ابن جني وهو للخليل . الدراسات الصوتية ٢٩١ .

(٤) سر الصناعة ٦٢/١ ، ، ذكر الدكتور غانم قدوري أن سيبويه لم يقدم تعريفاً محدداً للاستعلاء والتسفل ، لكن علماء العربية الذين جاؤوا من بعده استخلصوا من كلامه تعريفاً لها ، وتمثل بقول المبرد ، والمبرد كرر كلام سيبويه ، الدراسات الصوتية ٢٩٠ .

(٥) الكتاب ١٢٩/٤ .

(٦) المقتضب ٢٢٥/١ .

(٧) سر الصناعة ٥١/١ .

غير منطبق بالحنك[1] ، وليس في العبارة سوى تميز أصوات الإطباق عن الثلاثة الباقية ، وعبارته (ينطبق الصوت) غامضة ، فالانطباق يكون للسان مع الحنك وقد تبعه في هذا التعبير ابن الطحان[2] ، وهذا الكلام أورده الداني في عبارة واضحة جلية فقال : « سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك ، لذلك تمنع الإمالة ، إلا أنها على ضربين : منها ما يعلو به اللسان وينطبق ، وهي حروف الإطباق الأربعة ، ومنها ما يعلو ولا ينطبق وهي ثلاثة : الغين والخاء والقاف »[3] ، وقد أعاد الخفاجي[4] والسكاكي[5] وابن يعيش[6] عبارة ابن جني ، بينما تميز الزمخشري بصياغة التعريف بشيء من الإيجاز والوضوح فقال : « والاستعلاء ارتفاع اللسان إلى الحنك أطبقت أم لم تطبق »[7] ، وفي حين أعاد ابن الأنباري[8] عبارة المبرد ، أعاد ابن عقيل[9] عبارة الداني كما أعاد ابن الجزري عبارة مكي نصاً في (التمهيد)[10] ، أما في (النشر) فقد وصف أصوات الاستعلاء قائلاً : « وهي حروف التفخيم على الصواب .. وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق ، ولا شك أنها أقواها تفخيماً »[11] ، والتفخيم صفة لأصوات الاستعلاء ، تقوى كثيراً في أصوات الإطباق وتضعف في غيرها ولم يذكر مكي (القاف ،

---

(١) الرعاية ١٢٢ .

(٢) مخارج الحروف ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٨ .

(٤) سر الفصاحة ٢١ .

(٥) مفتاح العلوم ١١٠ .

(٦) شرح المفصل ١٠/١٢٩ .

(٧) المفصل ٢٩٥ .

(٨) أسرار العربية ٤٢٤ .

(٩) المساعد ٤/٢٤٧ .

(١٠) التمهيد ١٠٠ .

(١١) النشر ١/٢٠٢ ، ٢٠٣ .

والغين ، والخاء) من أصوات التفخيم ، بل ذكر أصواتاً أخرى ، وقد ذكر ابن الجزري هذا في (التمهيد)[1] دون الأصوات الثلاثة .

وهذه الأصوات الثلاثة يسميها المحدثون (الأصوات الطبقية) ينسبونها إلى المنطقة التي يلتقي مؤخر اللسان عند النطق بهذه الأصوات بها ، وهي الطبق أو (الحنك اللين) ، ولما كانت صفة الاستعلاء تجمع أصوات الإطباق وهي مفخمة والأصوات الطبقية وهي أقل تفخيماً فقد عد بعض الباحثين المحدثين ذلك سبباً في القول : « إن النحاة العرب لم يفرقوا بينهما (أي الطبقية والإطباق) ، بل أطلقوا عليهما معاً اسم الاستعلاء ، وأن كليهما ينتج بعض القيمة التفخيمية »[2] ، ولا أظن هذا صحيحاً فما داموا قد جمعوهما في مصطلح واحد ثم أفردوا أصوات الإطباق في مصطلح آخر فإن هذا دليل على تفريقهم بين هذه الأصوات السبعة ، وقد أشار الدكتور شاهين أن العلماء بعد سيبويه أدركوا وجود مجموعة الأصوات الثلاثة القاف والخاء والغين ، وهي مجموعة تتصل بأصوات الإطباق الأربعة ، وإن ذلك لصفة التفخيم التي تجمع المجموعتين والتي سماها القدماء صفة (الاستعلاء) ، وقد فات الدكتور أن سيبويه ذكر السبعة في باب الإمالة واصفاً إياها بالاستعلاء ، وصفة التفخيم غير صفة الاستعلاء إذ إن هناك فارقاً بينهما ، ولما كانت الإمالة هي المقابل للتفخيم فقد رأى[3] أن القدماء عنوا التفخيم بالاستعلاء ، وليس الأمر كذلك كما أرى ، إذ إن صفة التفخيم أطلقت أيضاً على صوتي اللام والراء ، ولم يقل أحد من المتقدمين بأنها استعلائية بمعنى مفخمة ، وإنما وصفت أنها مفخمة فقط لا غير .

---

(١) التمهيد ١٠٤ .

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٢٤ .

(٣) في التطور اللغوي ٢٠٩ .

الاستفال :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « السّفل والسّفل والسُّفول والسّفال والسُّفالة ، بالضم : نقيض العلو والعُلو والعَلو والعلاوة ، والسفلى : نقيض العليا ، والسفل : نقيض العلو في التسفل والتعلي والسافلة : نقيض العالية في الرمح والنهر وغيره ، والسافل نقيض العالي ، والسفلة نقيض العلية ، والسفل نقيض العلاء »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهو انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى قاع الفم .

الأصوات المستفلة : وهي اثنان وعشرون حرفاً وهي ما عدا الحروف المستعلية[2] ، وقد أطلق عليه الخليل مصطلح الاختفاض[3] ، الذي استعمله عدد من العلماء مثل ابن جني[4] ، والخفاجي[5] ، والزمخشري[6] ، وابن الأنباري[7] ، والسكاكي[8] ، وابن يعيش[9] ، والرضي[10] ، وابن عقيل[11]، والسيوطي[12] ، أما الاستفال فهي عبارة سيبويه ، التي جاءت في معرض حديثه عن الإمالة ، قال : « ألا تراهم قالوا : صبقت وصقت وصويق ، لما كان يثقل عليهم أن يكونوا في حال تسفل ثم يصعدون ألسنتهم ، أرادوا أن يكونوا في حال استعلاء وأن لا يعملوا في الإصعاد بعد

(١) اللسان ١١/٣٣٧ .
(٢) الرعاية ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٣) تهذيب اللغة ١/٥١ .
(٤) سر الصناعة ١/٦٢ .
(٥) سر الفصاحة ٢١ .
(٦) المفصل ٣٩٥ .
(٧) أسرار العربية ٤٢٤ .
(٨) مفتاح العلوم ١١٠ .
(٩) شرح المفصل ١٠/١٢٩ .
(١٠) شرح الشافية ٢/٢٦٢ .
(١١) المساعد ٤/٢٤٧ .
(١٢) همع الهوامع ٢/٢٣٠ .

التسفل »[1] ، والاستفال هو المصطلح الذي شاع عند علماء التجويد فقد استخدمه مكي[2] ، والداني[3] ، وابن الطحان[4] ، والمرعشي[5] ، وابن أم قاسم المرادي[6] ، وابن الجزري[7] .

ولم يعرف سيبويه الاستفال أو التسفل إلاّ أنه ذكر تعريف الاستعلاء ـ والاستفال ضده ، قائلاً : « وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى »[8] ، ولا نجد من عني بتعريف الاستفال بعد سيبويه غير مكي في الرعاية قائلاً : « وإنما سميت مستفلة لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك ، كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية »[9] ، وقد وافقه في التعريف الداني في (التحديد)[10] ، وابن الطحان في (مخارج الحروف)[11] ، وابن الجزري في (التمهيد)[12] ، وقد عرّف الرضي الاستفال قائلاً : « ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع »[13] ، وأكثر[14] العلماء يعرفون الأصوات المستفلة بقولهم : إنها ما سوى المستعلية ، وإن الاستفال هو ما عدا الاستعلاء .

---

(1) الكتاب ١٣٠/٤ .

(2) الرعاية ١٢٣ .

(3) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٩ .

(4) مخارج الحروف ٩٤ .

(5) جهد المقل ١٢٤ .

(6) شرح الواضحة ٣٦ .

(7) التمهيد ١٠٠ .

(8) الكتاب ١٢٩/٤ .

(9) الرعاية ١٢٤ .

(10) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٩ .

(11) مخارج الحروف ٩٤ .

(12) التمهيد ١٠٠ .

(13) شرح الشافية ٢٦٢/٣ .

(14) سر الصناعة ٦٢/١ ، سر الفصاحة ٢١ ، المفصل ٣٩٥ .

وأصوات الاستفال هي كلها أصوات انفتاح ، ولذلك فإن أصوات الانفتاح أصوات استفالية ، وهي كلها أصوات مرققه ، باستثناء عدد منها تفخم في بعض الأحوال ، وإذا كان القرطبي قد ذكر أن « التفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد »[1] ، فإن بالإمكان القول وفق هذه العبارة : إن الترقيق والانفتاح والاستفال من واد واحد ، ولا يعني ذلك أن معناها واحد ، فإن الترقيق غير الانفتاح وغير الاستفال ، والمحدثون « لم يجاوزوا في كلامهم عن الإطباق والاستعلاء والتفخيم ما قاله علماء التجويد »[2] ، سوى جمعهم صفتي الانفتاح والاستفال ودمجها في صفة الترقيق[3] ، وهذا ما نجده عند بعض المحدثين[4] من وصفه الأصوات ، إما بالتفخيم وهي أصوات الإطباق والطبقية ، وإما بالترقيق وهي غيرها وعدم استخدامه صفات الاستعلاء وضدها أو الإطباق وضدها .

التفخيم :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « فَخُم الشيء يفخمُ فخامةً وهو فخم : عبل ، والأنثى فخمه ، وفخُم الرجل ، بالضم ، فخامة أي ضَخُم ، ورجل فَخْم أي عظيم القدر ، وفخمه وتفخمه : أجلّه وعظّمه .. ، والتفخيم : التعظيم ، وفخّم الكلام : عظّمه ، ومنطق فخم جزل »[5] .

المعنى الاصطلاحي : التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت[6] .

---

(١) الموضح ١٧٩ .

(٢) الدراسات الصوتية ٢٩٤ .

(٣) دروس في علم أصوات العربية ٣٦ .

(٤) مناهج البحث في اللغة ١١٩ ، ١٣٦ .

(٥) اللسان ١٢/٤٤٩ .

(٦) علم الأصوات ١١٧ ، محاضرات في اللغة ١٠٥ .

أصوات التفخيم : وهي الصاد والضاد والظاء والطاء واللام والراء والألف[1] .

مصطلح التفخيم : من مصطلحات سيبويه وقد وصف بها أحد الأصوات الفروع المستحسنة فقال : « وألف التفخيم ، يعني بلغة أهل الحجاز »[2] ، وقد ذكر ألفاً أخرى مقابلاً لها ، وهي الألف التي تمال إمالة شديدة[3] ، ولم يذكر صفة التفخيم في أي موضع آخر في (الكتاب) ، إذ إن كل المواضع التي يذكر فيها ما يقابل الإمالة لا يذكر فيها التفخيم ، فحين تحدث عن القبائل التي لا تميل ، كأهل الحجاز أو غيرهم جاء قوله نحو « جميع هذا لا يميله أهل الحجاز »[4] ، أو « وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف »[5] ، أو « فأما العامة لا يميلون »[6] ، دون ذكر عبارة يفخمون وهذا ما جرى عليه المبرد[7] ، فقد جاءت كلمة (التفخيم)[8] في موضع حديثه عن الأصوات الفروع المستحسنة ، يصف بها الألف ، ولم يذكر هذه الكلمة بديلاً لمعنى منع الإمالة ، وهذا ما فعله ابن جني[9] ، إلا أن المبرد ذكر ألف التفخيم بعد ألف الإمالة[10] ، وهذه إشارة إلى التقابل بين معنى اللفظين ، وتبعه ابن جني[11] في ذلك ، وقد شرح معنى (الألفين) مؤكداً هذا التقابل إلا أن معنى التفخيم في الكتب التي أتت بعد ذلك ، استخدمت التفخيم ضداً للإمالة ، فقال ابن فارس : « ومنها الاختلاف في الإمالة والتفخيم »[12] ، وأورد

---

(1) اللسان ١٢٨ ، ١٢٩ .

(2) الكتاب ٤/٤٣٢ .

(3) الكتاب ٤/٤٣٢ .

(4) الكتاب ٤/١١٨ .

(5) الكتاب ٤/١٢١ .

(6) الكتاب ٤/١٢٠ .

(7) المقتضب ٣/٤٦ .

(8) المقتضب ١/١٩٤ .

(9) سر الصناعة ١/٥١ .

(10) المقتضب ١/١٩٤ .

(11) سر الصناعة ١/٥١ .

(12) الصاحبي في فقه اللغة ٤٩ .

الزمخشري قوله : « وبنو تميم يميلون ، وأما أهل الحجاز فلغتهم التفخيم »[١] ، كما يقول ابن منظور : « والتفخيم في الحروف ضد الإمالة »[٢] وهي عبارة تفيد أن مصطلح التفخيم في عصره بات يدل دلالة مؤكدة على معنى ضد الإمالة ، إلا أن التفخيم اكتسب صفة الشيوع والتحديد عند علماء القراءات[٣] والتجويد[٤] ، وهو المعنى الذي استقر في كتبهم ومباحثهم إلى يومنا هذا ، ولم يكن التفخيم لديهم ضداً للإمالة[٥] ، إذ إن مقابل الإمالة لديهم هو الفتح ، أما التفخيم فقد أطلقوه صفة لأصوات الإطباق ولصوتين اثنين هما (الراء) و (اللام) واختلفوا في تفخيم (صوت الألف)[٦] ، وهذا الاختلاف تأكيد على تغير المعنى الذي جاء عند ابن فارس والزمخشري وابن منظور وغيرهم للتفخيم ، وقد استخدم علماء التجويد والقراءات مصطلحات أخرى مرادفة للتفخيم وهي (تغليظ)[٧] و (تجسيم) و (تسمين)[٨] ، والصحيح أن الإمالة ضد الفتح[٩] .

قال الداني : « والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس[١٠] .

وقد ذكر ابن الجزري رواية أفادت أن التفخيم كان يستخدم مقابلاً للإمالة قال :

---

(١) أساس البلاغة ٣٣٦ .

(٢) اللسان ١٢/٤٥٠ .

(٣) التيسير في القراءات السبع ٥٧ ، التبصرة في القراءات ١٤١ .

(٤) الرعاية ١٢٨ ، ١٢٩ ، التمهيد ١٠٤ .

(٥) التبصرة ١١٨ ، التيسير في القراءات السبع ٤٦ .

(٦) الرعاية ١٢٨ ، التمهيد ١٠٤ .

(٧) التبصرة ١٤١ .

(٨) جهد المقل ١٥ ظ .

(٩) القراءات واللهجات ١٥١ ، ١٥٢ .

(١٠) النشر ٢/٣٠ .

« قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء قال يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة »[1] ، وابن الجزري نفسه يرى أن : « الحروف المستعلية كلها مفخمة لا يُستثنى شيء منها في حال من الأحوال »[2] ، وهو بهذا يوحد بين مصطلح الاستعلاء ومصطلح التفخيم وهو ما يوافقه عليه المحدثون[3] الذين يوحدون بين هذين المصطلحين ومصطلح الإطباق أيضاً ، ولذا نجد ميلاً لديهم إلى وصف جميع الأصوات المطبقة والطبقية بصفة التفخيم والأخرى بالترقيق .

والتفخيم كما يعرفه علماء التجويد هو : « عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه »[4] ، وهو تعريف يؤكد إدراك علماء التجويد للطبيعة التعاملية لهذه الصفة ، وقد أشار بعض المحدثين إلى ذلك قائلاً : « ويذهب كثير من علماء التجويد إلى اعتبار الترقيق والتفخيم من الأحكام التي تخص الأصوات في حالة التركيب »[5] ، ولذا فإن التفخيم صفة ثابتة لأصوات الإطباق التي هي أصوات استعلائية ، وليس إلا صفة عرضية للأصوات الاستعلائية الثلاثة (القاف ، والغين ، والخاء) ، ولذا فليست أصوات الاستعلاء أصوات مطبقة ولا مفخمة ، وليس الاستعلاء هو الإطباق ، وليس هو التفخيم[6] ، وإلا لأغنت لفظة عن أختها .

والتفخيم هو الأثر السمعي الناشيء عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت ، ولذلك فإنه يعد من الحركات[7] وليس من

(١) النشر ٣١/٢ .

(٢) النشر ٢١٥/١ .

(٣) مناهج البحث ١١٩ ، ١٣٦ .

(٤) جهد المقل ١٢٧ ، نهاية القول المفيد ٩٣ .

(٥) الدراسات الصوتية ٢٩٣ .

(٦) في التطور اللغوي ١٩٥ .

(٧) التشكيل الصوتي ٧١ .

الأصوات الصامتة ، والتفخيم له دلالة معنوية[1] فالصوت المفخم في الكلمة لـه معنى غير معنى الصـوت المرقـق في مثـل : سفر وصقر مثـلاً ، إلاّ أن التفخيم في العربيـة الفصحى ليس دائماً ذا دلالة معنوية عدا أصوات الإطبـاق الأربعة ، وغير أصوات الإطبـاق التي تتصف بـالتفخيم ، هنـاك ثلاثـة أصـوات عـدت من أصـوات التفخيم وهي الـلام والراء والألف .

أما اللام فهي مفخمة من اسم الله تعالى بعد فتحه أو ضمّه إجماعـاً أو بعـد حروف الإطباق[2] ، وأما الراء فتفخم إذا كانت مضمومـة أو مفتوحـة مطلقـاً في أكثر الروايـات والسـاكنـة في بعض الأحـوال[3] ، وهـذا يعني أن التفخيم في صـوتي الراء والـلام تفخيم مشروط بأسباب ، وليس صفة أصلية في الصوتين مما يمكن القول معـه أن صفـة التفخيم فيهما صفـة تعـامليـة مثـل (الإهمـاس) و (الإجهـار) ، أي أن صفـة التفخيم فيهما مكتسبة .

أما تفخيم الألف فقد ذكره سيبويه مع الأصوات الفروع التي يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعـار ، وهي ... ألف التفخيم ، يعني بلغـة أهل الحجـاز ، في قولهم الصلاة والزكاة والحياة[4] ، ويوضح هـذا النص مع نص ابن الجزري الـذي يقول فيـه : « وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً »[5] ، يبدو لتفخيم الألف صفتان :

صفـة أسـاسيـة ثـابتـة وبهـا تكون الألف صوتـاً مفخماً ، وهي الألف اللهجيـة التي ذكرها سيبويه لغة لأهل الحجاز .

---

(١) الأصوات اللغوية ٥٠ .

(٢) النشر ٢١٥/١ .

(٣) النشر ٢١٥/١ .

(٤) الكتاب ٤٣٢/٤ .

(٥) النشر ٢١٥/١ .

وصفة ثانية وهي غير ثابتة ، وإنما مكتسبة وهي تشبه التفخيم في صوتي الراء واللام ، وهذه الصفة تكون لصوت الألف حين تتبع ما تقدمها من الأصوات المطبقة أو المستعلية ، كما أوضح ذلك ابن الجزري ، وعبارة ابن الجزري التي يؤكد فيها أن صوت الألف لا يوصف بتفخيم ولا ترقيق يؤكد أن صوت الألف المفخمة الذي ذكره سيبويه صوتاً لأهل الحجاز صوتٌ لهجيٌ ، ومعنى تفخيم الألف هو : « دخول صوت الواو أو الضمة الخلفية في الألف أو الفتحة »[1] ، وهذا يفسر رسم الألف المفخمة في القرآن الواو ، فقد كتبت (الصلوة) بالواو على لغة الذين فخموا الألف[2] .

ويمكن وضع قول الدكتور النعيمي : « ولا غلك دليلاً يقطع بأن الفنا اليوم هي الألف الحجازية » ، تعزيزاً للرأي المتقدم بأن ألف الحجازيين لهجية دائمة التفخيم ، وأن الألف الأصلية تكون فيها صفة التفخيم غير ثابتة وإنما مكتسبة .

الترقيق :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الرّقيق نقيض الغليظ والثّخين ، والرّقة : ضد الغلظ ... وأرقّ الشيء ورقّقه : جعله رقيقاً ، واسترقّ الشيء : نقيض استغلظ ، ويقال مال مترقرق السمن ومترقرق الهزال ، ومترقرق لأن يرمد أي متهيء له تراه قد دنا من ذلك ،... وترقيق الكلام : تحسينه ،... وترقّقت له إذا رقّ له قلبك »[3] .

المعنى الاصطلاحي : هو الأثر السمعي الناشيء عن عدم تراجع مؤخرة اللسان بحيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت[4] .

---

(١) التحول والثبات في أصوات العربية ٢٧٩ .

(٢) الرعاية ١٠٩ .

(٣) اللسان ١٢١/١٠ ، ١٢٥ .

(٤) علم الأصوات ١١٧ ، ومحاضرات في اللغة ١٠٥ .

الأصوات المرققة : وهي كل الأصوات ، عدا أصوات الإطباق والراء واللام والألف[1] .

مصطلح الترقيق : وهو من مصطلحات علماء القراءات والتجويد[2] ، استخدموه مقابلاً لمصطلح التفخيم ، وقد ورد المصطلح في قصيدة الخاقاني الشهيرة في حديثه عن ترقيق الراء قال : « وارقق بيان الراء واللام تندرب لسانك حتى تنظم القول كالدر »[3] ، وقد شاع المصطلح في كتب القراءات[4] والتجويد[5] ، ولم يذكر مكي صفة الترقيق مع الصفات التي ذكرها في كتابه (الرعاية) ، بل ذكر التفخيم دونها إلا أنها جاءت في معرض حديثه عن صوتي (اللام) و (الراء) فقد ذكر اللام قائلاً : « وأكثر ما يقع لفظ اللام مرققاً غير مغلّظ ، لا سيا إذا كان بعدها ألف »[6] ، كما ذكر الراء قائلاً : « فأما التفخيم في الراء المفتوحة والمضمومة والترقيق فيها واختلاف القراء في ذلك وأصل ورش فيها فقد أفردنا له كتاباً قبل هذا »[7] .

ويفرق مكي بين الصوتين فيصف اللام المفخمة بالتغليظ ، بينما الراء يصفها بالتفخيم ، وهو ما جرى عليه علماء التجويد من اختلاف اللفظ بين الصوتين ، إلا أن هذا لا يطرد في كتبهم ، ففي حين نجد عند أبي عمرو الداني في التيسير تخصيص كلمة التغليظ باللام والترقيق بالراء[8] ، نجد مكياً نفسه في كتابه (التبصرة) يتحدث عن الراء قائلاً : فأما المكسورة فلا اختلاف بين القراء أنها غير مغلظة نحو ﴿ كافرِين ﴾

---

(1) الرعاية ١٢٨ ، ١٢٩ .

(2) التبصرة ١٤١ ، التيسير ٥٧ .

(3) علم التجويد ٢٢ .

(4) التبصرة ١٤١ ، التيسير ٥٧ .

(5) الرعاية ١٩٥ .

(6) الرعاية ١٨٨ .

(7) الرعاية ١٩٧ .

(8) التيسير ٥٧ ، ٥٨ .

[البقرة : ١٩/٢] ، و ﴿ قادرين ﴾ [القلم : ٢٨/٦٨] و ﴿ شاكرين ﴾ [آل عمران : ١١٤/٣] .

وأما الساكنة فلا اختلاف فيها أنها غير مغلظة إذا كان قبلها كسرة لازمة ، أو بعدها ياء نحو (فرعون ومريم) فإن كان بعدها حرف استعلاء غلظت[١] ، فيصفها بالتغليظ .

ويعرف علماء التجويد الترقيق بقولهم : « هو عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه[٢] » .

ويخص عدد[٣] منهم جميع الأصوات عدا أصوات الاستعلاء واللام والراء بهذه الصفة ، بينما يحصر بعضهم[٤] هذه الصفة في جميع الأصوات عدا المطبقة واللام والراء والألف ، وقد عنوا بدارسة صوتي اللام والراء ، ومواضع التفخيم والترقيق فيها ، وقد ذكر ابن الجرزي في (النشر) قائلاً : « الحروف المستفلة كلها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منها إلا اللام من اسم الله تعالى بعد فتحه أو ضمه إجماعاً أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات ، وإلا الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقاً في أكثر الروايات والساكنة في بعض الأحوال[٥] » .

وخلاصة القول : إن الأصوات المستفلة جميعها مرققة ، ولا تفخم هذه الأصوات إلا لأسباب عارضة ، أما دون أن تكون هذه الأسباب فالأصوات غير المستعلية كلها مرققة ويدخل فيها اللام والراء .

هذه الأسباب تدخل في موضوعات الفصل الثالث إن شاء الله .

---

(١) التبصرة ١٤٠ ، الموضح في التجويد ١٠٧ .

(٢) نهاية القول المفيد ٩٣ .

(٣) النشر ٢١٥/١ .

(٤) الرعاية ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٥) النشر ٢١٥/١ .

القلقلة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « قلقل الشيء قلقلة وقِلقالاً وقَلقالاً فتقلقل وقُلقالاً ، عن كراع وهي نادرة ، أي حركه فتحرك واضطرب ، فإذا كسرته فهو مصدر ، وإذا فتحته فهو اسم .. وقال اللحياني : قلقل في الأرض قلقلة وقلقالاً ضرب فيها ، والاسم القلقال .. وقلقل : أي صوت وهو حكاية .. والقلقة : شدّة الصياح .. والقلقلة والتقلقل : قلة الثبوت في المكان »[١] .

المعنى الاصطلاحي : القلقلة صوت يشبه النّبرة عند الوقف على عدد من الأصوات وإرادة إتمام النطق بهن[٢] .

أصوات القلقلة : وهي خمسة (القاف ، والجيم ، والطاء ، والدال ، والباء)[٣] .

والقلقلة من مصطلحات سيبويه : ذكرها قائلاً : « إن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها ، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة[٤] » ، وقد استقر المصطلح والتعريف في كتب العلماء من بعده ، ذكره المبرد فعرفه قائلاً : « إن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة »[٥] ، وقد استبدل بالصّويت النبرة .

أما ابن جني فقد كان تعريفه أكثر إيضاحاً لمعنى القلقلة حين قال : « حفز الحرف في الوقف وضغطه عن موقعه »[٦] . وكلمة (حفز) أعطت لمعنى المصطلح وضوحاً

---

(١) اللسان ١١/٥٦٦ ، ٥٦٧ .

(٢) الرعاية ١٢٤ .

(٣) الكتاب ٤/١٧٤ .

(٤) الكتاب ٤/١٧٤ .

(٥) المقتضب ١/١٩٦ .

(٦) سر الصناعة ١/٦١ .

أكثر ، وفي حين ذكر المبرد وابن جني هذه الصفة في حديثهما عن الصفات فقد ذكرها سيبويه في باب الوقف ، ولم يذكرها في باب الإدغام ، وقد استعار مكي عبارة المبرد فعرف المصطلح حين عرف أصوات القلقلة قائلاً : « وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن ، وإرادة إتمام النّطق بهن »[1] .

فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن ، ومقارنته بين نطق الأصوات في حالة الوصل ونطقها في حالة الوقف يدل على استخدامه منهج المقارنة بين الأصوات ، وهو منهج علمي دقيق يستخدم في الدراسات الحديثة للوصول إلى فهم صحيح للظاهرة ، لم يعد مكي هذه الأصوات مع الأصوات المشربة ، كما عدها سيبويه[2] ، وتبعه ابن جني[3] ، بينما تبع الزمخشري مكياً فلم يعدها ، إلاّ أنه لم يستخدم عبارة مكي في التعريف وإنما قال : « والقلقلة ما تحس إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعّد من الصدر مع الحفز والضغط »[4] ، فهو قد استعان بعبارة ابن جني « الحفز والضغط » إلاّ أنه جعل القلقلة صوتاً شديداً يحس به الناطق ، وقد اختص تعريف الزمخشري بالإشارة إلى صفة الجهر التي تجمع أصوات القلقلة ، وكذلك إلى الشدة التي تجمعها أيضاً ، فهاتان الصفتان لا تجتمعان إلا في أصوات القلقلة ، ولذا فقد عنى الزمخشري بذكرهما في التعريف ، وليست عبارة « الصوت المتصعد من الصدر » إلا بديلاً عن صفة الجهر ، كما أن وصفه القلقلة « بشدة الصوت » إشارة إلى صفة الشدة ، وقد وافق الزمخشريَّ في ذلك علماء التجويد الذين اشترطوا : « لحصول القلقلة في الحرف اجتماع الشدة والجهر فيه »[5] .

وقد بين المرعشي اجتماع الصفتين بقوله : « فالشدة تحصر صوت الحرف لشدة

---

(١) الرعاية ١٢٤ .

(٢) الكتاب ١٧٤/٤ .

(٣) سر الصناعة ٦١/١ .

(٤) المفصل ٣٦٥ .

(٥) الدراسات الصوتية ٢٠٤ .

ضغطه في المخرج ، والجهر يمنع جري النفس عند انفتاح المخرج فيلتصق المخرج التصاقاً محكماً فيقوي الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة »[1] ، ولعل صفة الشدة هي الأكثر ظهوراً في إحداث هذه النبرة التي تسمى القلقلة ، حيث إن القلقلة لا تتم إلا عند الوقف ، مما يمنع معه إظهار صفة الشدة ، والتي تتم بانغلاق مخرج الصوت ثم انفتاحه فجأة ، وانطلاق الصوت ، فإن حالة الوقف تقتضي إبقاء المخرج مغلقاً ، فتنعدم صفة الشدة ، ولذا فقد روعي إظهار هذه الصفة في هذه الحروف بتكلف إظهار الشدة التي تظهر في صوت نبرة ، وهي القلقلة ، إلا أن صفة الجهر أيضاً يقل وضوحها عند هذا الانغلاق ، وقد ذكر ابن الحاجب ذلك في قوله : « وإنما حصل لها ذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة ، فالجهر يمنع النفس أن يجري معها ، والشدة تمنع أن يجري صوتها ، فلما اجتمع لها هذان الوصفان ، وهو امتناع النفس معها ، جرى صوتها فاحتاجت إلى التكلف في بيانها ، فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة ، حتى لا تكاد تخرج إلى شبه تحركها لقصد بيانها ، إذ لولا ذلك لم تتبين »[2] ، وهذا صحيح ، فالوقف على الصوت يمنع الجهر والشدة من الظهور مما يستدعي ذلك مدة صغيرة للصوت ، وهي التي سماها سيبويه صويت ، وسماها المبرد نبرة ، وقد رأى ابن الطحان تقارباً بين القلقلة والرَّوْم ، فعرف القلقلة قائلاً : « والقلقلة صوت حادث ـ عند خروج حروفها ـ[3] بالضغطة عند موضعها ، ولا يكون إلا في الوقف ، ولا يستطاع أن يوقف دونها ، مع طلب إظهار ذاته ، وهي ـ مع الرَّوم ـ أشد »[4] ، وهي إشارة ذكية إلى التشابه بين الحالين ، ولا سيما أن الرَّوم هو تضعيف الحركة[5] ، وقد نقل أبو شامة في (شرح الشاطبية) : « أن ذلك الصوت كالحركة »[6] .

(١) جهد المقل ١٢٢ .

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ٤٨٨/٢ .

(٣) يعني حروف القلقلة .

(٤) مخارج الحروف ٩٦ .

(٥) النشر ١٢١/٢ .

(٦) الدراسات الصوتية ٣٠٦ ، شرح الشافية ٢٦٢/٣ .

ولا شك أن القلقلة هي مدة صغيرة للصوت ، لذلك فهي بالحركة أشبه ، ولم يزد ابن يعيش في تعريفه شيئاً سوى وصفه أصوات القلقلة بأنها حروف تخفى في الوقف ، وعلى الرغم من تحديده الأصوات بالخمسة المذكورة إلا أنه أضاف في سياق الحديث صوت (الكاف) قائلاً : « ومنها الكاف إلا أنها دون القاف »[1] ، وهي عبارة المبرد[2] أعادها ، والمبرد يصرح بإلحاق صفة القلقلة بصوت (الكاف) بينما ابن يعيش ، يتردد في ذلك ولا يصرح ، وقد التفت المرعشي إلى هذه المسألة متسائلاً عن عدم إدخال المبرد صوت (التاء) أيضاً فقال : « كأنه لم يشترط قوة الصوت الزائد ، وإن شرط انحصار صوت الحرف قبله ، لكن يلزمه حينئذ أن يعد منها التاء المثناة الفوقية أيضاً »[3] ، وهذا الخلاف في فهم معنى المصطلح دليل على اختلاف في شرح عبارة سيبويه ، فإذا كان الضابط لمعرفة صوت القلقلة هو (الصويت) أو (النبرة) ، أو (الصوت الزائد) ، أو (الصوت)[4] فإن رأي المبرد صحيح ؛ لأن التجربة العملية تدخل الكاف بل التاء أيضاً ، أما إذا كان الضابط هو اجتماع صفتي الجهر والشدة ، فإن رأي علماء التجويد هو الأصح ، وبذلك تكون كل الأصوات الشديدة أصوات قلقلة ، وهذا ما يبدو من تعريف السيوطي حين قال : « والقلقلة شدة الصوت »[5] ، وقد ذكر صاحب (الإيضاح) أن بعض العلماء يعد اللام من أصوات القلقلة وذكر آخر الفاء أيضاً ، و « ذلك كله لحن »[6] ، وقد أورد سيبويه ذكر القلقلة في باب الوقف ، وهو يعني بالوقف حالة السكون ، وليس الوقف الذي هو ضد الوصل ، فهو يعني تأتي

---

(١) شرح المفصل ١٢٩/١٠ .

(٢) المقتضب ١٩٦/١ .

(٣) جهد المقل ١٢٢ .

(٤) المساعد ٢٤٧/٤ .

(٥) همع الهوامع ٢٣٠/٢ ، الدراسات اللهجية ٣١٩ ، ٣٢٢ .

(٦) الدراسات الصوتية ٣٠٦ .

متوسطة كما تأتي متطرفة ، وهو ما أكد عليه ابن الجزري في كتابه (النشر)[1] معرّضاً بجماعة من العلماء أخذوا بظاهر لفظ سيبويه .

أما المحدثون فيختلفون في عد الأصوات الخمسة أصوات قلقلة مع القدماء ، وذلك على أساس من عد شرط القلقلة هو اجتماع الجهر مع الشدة ؛ لأن هذه الأصوات ليست كلها مجهورة ، وليست كلها شديدة لديهم[2] .

الصفير :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الصّفير : من الصوت بالدواب إذا سقيت ، صفر يصفر صفيراً ، وصفر بالحمار وصفر : دعاه إلى الماء .

والصافر : كل ما لا يصيد من الطير ... وصفر الطائر يصفر صفيراً ، أي مكا ، ومنه قولهم في المثل : أجبن من صافر ، وأصفر من بلبل ... وقولهم ما في الدار صافر أي أحد يصفر »[3] .

المعنى الاصطلاحي : وهو صوت يسمع عند نطق ثلاثة أصوات حيث يضيق جداً مجرى الهواء عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيراً عالياً[4] .

أصوات الصّفير : وهي الصاد ، والسين ، والزاي[5] .

مصطلح الصفير : من مصطلحات سيبويه ، ذكره حين تحدث عن إدغام أصوات الصفير قائلاً : « وأما الصاد والسين والزاي ، فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت

---

(١) النشر ٢٠٣/١ .
(٢) علم اللغة العام - الأصوات ١١٦ ، ١١٧ .
(٣) اللسان ٤٦٤/٤ .
(٤) الأصوات اللغوية ٧٤ .
(٥) الكتاب ٤٦٤/٤ .

فيهن ، لأنهن حروف الصفير »[1] ، وقد أطلق الخليل على هذه الأصوات تسمية (أسلية)[2] وجعلها في حيز واحد[3] .

وقد استخدم المبرد مصطلح الصفير في كتابه[4] ، ولم يذكر ابن دريد المصطلح حين ذكر الأصوات الثلاثة[5] ، أما الأزهري[6] فقد استخدم مصطلح الخليل (الأسلية) ، وقد ذكر ابن جني هذا المصطلح[7] ، إلا أن المصطلح شاع استخدامه في كتب علماء النحو والقراءات والتجويد[8] ، ويندر استخدام صفة الأسلية التي وضعها الخليل ، وقد أخطأ ابن دريد[9] حين عد أصوات الصفير من وسط اللسان ، فقد وصف سيبويه مخرجها قائلاً : « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا »[10] أما سبب تسمية هذه الأصوات بالصفير فلأنها « أندى في السمع »[11] ، وهذا يعود إلى كثرة الرخاوة فيها عن بقية الأصوات الرخوة « لأن الرخاوة فيها تفوق كل الأصوات »[12] ، ولذلك يظهر

---

(١) الكتاب ٤/٤٦٤ ، « وقد نفى الدكتور غانم قدوري أن سيبويه ذكر هذه الصفة » ، الدراسات الصوتية ٣١٤ .

(٢) العين ٦٥ .

(٣) العين ٦٥ .

(٤) المقتضب ١/١٩٣ .

(٥) جمهرة اللغة ١/٧ .

(٦) تهذيب اللغة ١/٤٨ .

(٧) سر الصناعة ٢/٨١٧ .

(٨) الرعاية ١٢٤ ، المفصل ٢٩٥ ، مخارج الحروف ٩٠ ، أسرار العربية ٤٢١ ، شرح المفصل ١٠/١٢٩ ، شرح الشافية ٣/٢٦٦ ، المساعد ٤/٢٤٩ ، المبدع ٢٧١ ، التمهيد ١٠١ ، همع الهوامع ٢٣١ .

(٩) جمهرة اللغة ١/٧ .

(١٠) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(١١) الكتاب ٤/٤٦٤ .

(١٢) الأصوات اللغوية ١٠٨ .

صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن[1] ، كما يقول مكي ، أو لأنها يصفر بها[2] كما يرى الزمخشري ، أما ابن الطحان فقد شبه صوت الصفير بالصوت : « الخارج عن ضغط ثقب »[3] إلا أن ابن يعيش فصّل القول في عبارة الزمخشري قائلاً : « لأن صوتها كالصفير ، لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك فيصفر به »[4] ، وهذا التفسير للتسمية هو التفسير الأصوب ، ولا سيما أنه ينسجم مع المعنى اللغوي للفظة ، والقول أن الصفير هو اشتداد صفة الرخاوة قول فيه نقص لأن هذا لا يقتصر على هذه الأصوات الثلاثة فالرخاوة في الفاء وفي الأصوات الأسنانية الثلاثة الذال والظاء والثاء كثيرة ، بل إن الشين رخاوتها تزيد على أصوات الصفير ، وقول ابن يعيش (بانحصار الصوت) أدق في تحديد معنى الصفير الذي يقتصر على هذه الأصوات فقط .

وقد أشار إلى ذلك الدكتور أحمد مختار عمر قائلاً : « وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها ، والسبب في قوة الاحتكاك هو أن المقدار من الهواء مع الثاء نفسه يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق »[5] .

ومصطلح الصفير هو السائد في كتب المحدثين اليوم[6] ، ولم يزيدوا شيئاً على تعليل معنى الصفير عما قاله القدماء ، إذ يقول بعضهم : « ويوصف الصوتان س ـ ز غالباً بأنهما صفيريان ، لما يصحبهما من صفير وأزيز »[7] ، والملاحظة الجديرة بالذكر ، هي التي سجلها الدكتور بشر مشيراً إلى خطأ ترتيب القدماء لهذه الأصوات الثلاثة ، إذ

(1) الرعاية ١٢٤ .

(2) المفصل ٣٩٥ ، شرح المفصل ١٢٩/١٠ ، شرح الشافية ٢٥٨/٣ ، التمهيد ١٠١ .

(3) مخارج الحروف ٩٤ .

(4) شرح المفصل ١٣٠/١٠ .

(5) دراسة الصوت اللغوي

(6) المدخل إلى علم اللغة ٢١٥ ، العربية الفصحى ٤٠ ، نهاية القول المفيد ٥٣ .

(7) أسس علم اللغة ٨٥ .

وضعوها بعد الأصوات النطعية (الدال والتاء والطاء) ، والصحيح عكس المسألة ، فنطقنا للسين والزاي والصاد يجعلها قبل - لا بعد - التاء والدال والطاء من جهة الخلف »[1] ، وهذا الترتيب وجد عند سيبويه[2] وابن جني[3] ومن تبعهما حيث كان ترتيب أصوات الصفير بعد النطعية ، أما الخليل[4] فقد وضع أصوات الصفير وبعدها الأصوات النطعية ، وهو ما نشعر به الآن وما نلمسه من نطق قراء القرآن من المصريين[5] .

اللّين :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « اللّين : ضد الخشونة ، يقال في فعل الشيء اللين لان الشيء يلين ليناً وليانا وتلين ، وشيء لين ولين ، مخفف منه ، والجمع ألْيناء ، وفي الحديث : « يتلون كتاب الله ليّناً » . أي سهلاً على ألسنتهم .. وألانه هو ولينه وألينه : صيّره ليناً .. وتلين له : تملق ، والليان : نعمة العيش »[6] .

المعنى الاصطلاحي : هو اندفاع الهواء عند النطق بالصوت من الرئتين ماراً بالحنجرة فالحلق فالفم ، في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه »[7] .

أصوات اللين : وهي الياء والواو والألف .

مصطلح اللين : من مصطلحات الخليل ، وقد جاء في (العين) قوله : « في العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومخارج ،

---

(١) علم اللغة العام - الأصوات ١٢٠ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٦ .

(٣) سر الصناعة ١/٤٥ .

(٤) العين ٦٥ .

(٥) علم اللغة العام - الأصوات ١٢٠ .

(٦) اللسان ١٣/٣٩٤ .

(٧) الأصوات اللغوية ٢٦ .

وأربعة هوائية وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة[1] ، ونظراً لاتساع مخرج الألف أكثر من بقية الأصوات فقد خصه الخليل بهذه الصفة ، إلا أن سيبويه استخدم هذه الصفة خاصاً بها صوتي الواو والياء غير المديتين دون الألف ، فقال : « ومنها اللينة وهي الواو والياء »[2] ، وهذا يعني أن فهم المصطلح اختلف بين الاثنين ، فحيث عد الخليل اللين شدة اتساع المخرج ، عدّه سيبويه اتساع مخرج الصوت دون مخرج الألف ، ولذلك فقد أفرد الألف ملحقاً بها الواو المدّية ، والياء المدية ، بينما صارت لديه الواو التي قبلها فتحة والياء التي قبلها فتحة صوتاً ليناً[3] ، إلا أن صوتي اللين لديه هما صوتا مدّ ، ولذلك قال : « وإن شئت أجريت الصوت ومددت » ، وهذا ما لحظه مكي فقال : « وقد جعل سيبويه في الياء المفتوح ما قبلها مداً وليناً »[4] ، وقد علل سيبويه وصفه الصوتين باللين بقوله : « لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما »[5] ، وعلى الرغم من أن الألف لديه « اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو »[6] ، إلا أنه لا يدخله في فئة اللينة ، وكأن اللّين عند سيبويه هو اتساع مخرج الصوت دون اتساع مخرج الألف ، وأكثر من اتساع، مخارج الأصوات الأخرى ، ويبدو أن سيبويه فرق بين صوت الياء (الصامت) الذي يقبل الحركات الثلاث وبين صوت الياء (المصوّت) الذي هو امتداد للحركة ، فعدّ الأول ليناً ، والثاني مدّاً ، وكذلك الواو ، إلا أن هذا التفريق لم يطرد في (الكتاب) فقد وصف ياء المد في البيت التالي باللين قائلاً : « فلابد فيه من حرف لين للردف نحو :

وما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤتيك نصحه   وما كلُّ مؤت نصحه بلبيب»[7]

(١) العين ٦٤ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٥ .

(٣) الكتاب ٤/٤٤٢ .

(٤) التبصرة ٥٩ ، ٦٠ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٥ .

(٦) الكتاب ٤/٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٧) الكتاب ٤/٤٤١ .

وقد غلب على مصطلح اللين إطلاقه على الأصوات الثلاثة (الألف والواو والياء) في كتب العلماء بعد سيبويه ، أما المبرد فقد ذكر الثلاثة واصفاً إياها باللين مرة في قوله : « إن الألف التي هي أمكن حروف اللين »[1] ، وبالمد واللين معاً في عبارة جاءت بعد العبارة الأولى مباشرة قال : « وبعد هذا فإن حروف المد واللين .. »[2] ، وهذا يعني أن مصطلح اللين عنده هو مصطلح المد نفسه ، وهو بذلك يكون قد استخدم المصطلح في غير المعنى الذي خصصه له سيبويه لصوتي (الياء والواو) ، ولم يتبع الخليل الذي قصره على صوت الألف ، وهذا المعنى الذي استخدمه المبرد له ، هو الذي شاع في كتب العلماء بعد ذلك ، فقد ذكره ابن دريد في الجمهرة قائلاً : « وأما حروف المد واللين فثلاثة لا غير الواو والياء والألف »[3] ، كما ذكره الزجاجي في (الجمل)[4] ، وقد ذكر ابن جني الأصوات الثلاثة بقوله : « هن حروف المد والاستطالة »[5] ، إلا أنه فرق بينها قائلاً : « على أنه قد يمكن الفصل بين الياء والواو ، وبين الألف بأنها لا بد من أن تكون تابعة وأنها قد لا يتبعان ما قبلها »[6] وهو يريد هنا بقوله (تابعة) أنها (صوت مصوت) أو (حركة) ، وهي لذلك تكون تابعة (للحرف) ، لأن حركة الحرف في الرتبة بعده[7] ، بينما الياء والواو تأتيان صامتتين ، ولذلك تكونان متبوعتين بحركات ، وابن جني هنا يفرق بين الأصوات الثلاثة ، ولكنه لا يصف أياً من الأصوات بصفة اللين ، بل يجمع الثلاثة في صفة المد واللين[8] ، وهو

---

(1) المقتضب ١/٢١٠ .

(2) المقتضب ١/٢١٠ .

(3) جمهرة اللغة ١/٨ .

(4) شرح جمل الزجاجي ٤٤٩ .

(5) سر الصناعة ١/٦٢ .

(6) سر الصناعة ١/٥٦ .

(7) سر الصناعة ١/٢٨ .

(8) سر الصناعة ١/١٧ .

ما فعله مكي حين أطلق عليها حروف المد واللين[1] ، ولكنه خصّ صوتي الياء والواو باللين[2] ، وهو في التسمية الأولى تابع للمبرد ، وفي الثانية لسيبويه ، وقد علل مكي سبب التسمية قائلاً : « إنما سميتا بذلك ، لأنها يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان »[3] ، وهو تعليل روعي فيه ظاهر اللفظ ، ويبدو أن مكياً لا يقصد بصوتي اللين الصوتين الصامتين ، وإنما الحركتين المزدوجتين ، فهو يستمر في وصف الياء والواو قائلاً : « لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلها عن جنسهما ، فنقصتا المد الذي في الألف وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين[4] ، فوصفه إياهما بالسكون دلالة واضحة على عدم قصده بهما صوتين صامتين ، وليس هو أول من قال بذلك ، وإنما شاع ذلك في كتب القراءات ، فقد ذكر مكي قائلاً : « وقد سمى القراء الياء والواو الساكنتين ، إذا انفتح ما قبلهما بحرفي اللين[5] ، ولعل القراء ومنهم مكي قد أفادوا من حديث ابن جني في هذا فقد قال : « إن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح »[6] ، ولذلك فقد أخرج علماء القراءات كما يبدو الواو والياء المتحركتين وأبقوا الساكنتين مطلقين عليهما أصوات المد واللين ، وهذه مرحلة ثالثة لمعنى المصطلح ، وهو (الحركة المزدوجة) ويستخدم الزمخشري[7] المصطلح دون إشارة إلى معناه ، وهو يقصد به الأصوات الثلاثة . أما ابن الطحان فهو لا يفرق بين اللين والمد قائلاً : « والمد واللين في ثلاثة أحرف ، وهي الألف وهو هواء أبداً ، والياء بعد كسر ، والواو بعد ضمه »[8] ، ومع أنه حدد أصوات المد إلا أنه وصفها باللين أيضاً ، وهو خروج

(١) الرعاية ١٢٥ .

(٢) الرعاية ١٢٦ .

(٣) الرعاية ١٢٦ .

(٤) الرعاية ١٢٦ .

(٥) التبصرة ٥٩ .

(٦) سر الصناعة ٢٠/١ .

(٧) المفصل ٣٩٥ .

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ٩٠ .

عن فهم المصطلح ، أما ابن الأنباري[1] ، وابن يعيش[2] ، فيصفون الثلاثة دون تحديد بالمد واللين ، وهو الشائع بينما يصفها ابن عقيل[3] دون تحديد أيضاً باللينة ، أما ابن الجزري فهو يتبع مكياً وجميع علماء القراءات في اختصاص صفة اللين بصوتي الياء والواو الساكنتين المسبوقتين بفتحة[4] .

ومن كل ذلك يمكن أن نقول : إن مصطلح اللين اختلفت دلالته منذ أن وضعه الخليل وحتى يومنا هذا ، فهو عند الخليل يعني أقصى اتساع يكون للمخرج ، وعند سيبويه هو اتساع المخرج دون مخرج الألف ، وهو عند المبرد وأكثر العلماء شدة الاتساع يشترك في ذلك الألف والواو والياء دون تفريق ، وهو عند علماء القراءات نفسه عند سيبويه صوت صامت .

أما العلماء المحدثون[5] فاللين عندهم هو المصوت ، وأصوات اللين هي الأصوات (المصوتة) أو الحركات ، ويكون المخرج متسعاً بحيث يمر الهواء دون حوائل تعترضه[6] ، وهم يوافقون بذلك المبرد وأكثر العلماء علماً أن الخليل استخدمه للمعنى نفسه وكذلك سيبويه ، أما صوتا اللين بمفهوم القدماء وهما (الواو) و (الياء) فهما عندهم (أشباه أصوات اللين)[7] .

الغُنّة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : (الغُنّة) صوت في الخيشوم ، وقيل : صوت فيه

---

(١) أسرار العربية ٤٢٣ .
(٢) شرح المفصل ١٠/١٣٠ .
(٣) المساعد ٤/٢٤٧ .
(٤) التمهيد ١٠٢ .
(٥) الأصوات اللغوية ٢٦ ، مقدمة لدراسة فقه اللغة ٢٠ ، مدرسة الكوفة ١٧٦ .
(٦) الأصوات اللغوية ٢٦ .
(٧) الأصوات اللغوية ٤٢ .

ترخيم نحو الخياشيم تكون من الأنف نفسه ، وقيل : الغنّة أن يجري الكلام في اللّهاة ، وهي أقل من الخنّة ، المبرد : الغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخنّة أشد منها ، والترخيم حذف الكلام ، غنّ يغن ، وهو أغنّ ، وقيل : الأغَنُّ الذي يخرج كلامه من خياشيه وظبي أغن : « يخرج صوته من خيشومه »[1] .

المعنى الاصطلاحي : هو صوت يجري في الخيشوم[2] .

مصطلح الغنّة : من مصطلحات سيبويه ذكره قائلاً : « ومنها حرف شديد يجري معه الصوت ؛ لأن ذلك الصوت غنّة »[3] ، وقد شاع هذا المصطلح في كتب العلماء دون خلاف .

والغنّة الخالصة هي صوت النون الخفيفة[4] في مثل (عَنْك) و (مِنْك) الذي يخرج من الخياشيم ، أو التجويف الأنفي .

أما الغنّة غير الخالصة فهي التي تكون مع صوتي الميم والنون ، حيث يشترك في نطقهما الأنف بالغنّة والفم بالتصويت الناتج عن ابتعاد عضوي النطق ، فالغنّة صوت ، وهي النون الخفيفة ، وهي أيضاً صفة لأن هذا الصوت يسمع عند نطق الميم والنون ، ولذلك عدّ لهما صفة مميزة ، ولذا يقال عن الميم : إنها ميم بغنّة ، أو نون بغنّة ، وقد ذكر المبرد قائلاً : « والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنّة ، فلذلك تسمعها كالنون ؛ لأن النون المتحركة مشربة غنّة ، والغنّة من الخياشيم ، والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم ، وإنما سمّيتا باسم واحد لاشتباه الصوتين ، وإلا فإنهما ليسا من مخرج واحد »[5] ، وليس أصرح من قول المبرد هذا ، في عد الغنّة صوتاً غير صوت النون ، لاختلاف المخرجين ،

---

(1) اللسان ٢١٥/١٣ .

(2) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(3) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(4) الرعاية ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(5) المقتضب ١٩٤/١ .

وهو ماذكره ابن جني حين قال : « ويدلّك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم ، أنك لو أمسكت بأنفك ، ثم نطقت بها ، لوجدتها مختلة . وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا ، إلاّ أن فيها بعض الغنّة من الأنف »[1] ، فالغنّة صوت يخرج من الأنف ، ولهذا فقد رأى ابن جني اختلاله عند الإمساك بالأنف والنطق به ، وقد أفرد مكي في كتابه (الرعاية) مبحثاً خاصاً سماه (باب الغنّة) قال فيه : « والغنّة حرف مجهور شديد لا عمل للسان فيه »[2] ، وهو في هذا تابع لسيبويه ، والغنّة أقرب لأن تكون صوتاً رخواً لا شديداً ، لأن صوت الغنّة يكون حال انفتاح مجرى التجويف الأنفي[3] للهواء ، وصوت الغنّة يمكن استمراره ، ولا يمكن استمرار الأصوات الشديدة ، ومكي يقصد في عبارته هذه ، الغنّة عند الإدغام وهي تكون غير خالصة وتابعة لصوت الميم أو النون المدغمتين ، أما الغنّة حال الإخفاء[4] فهي خالصة ، ولذلك فهي صوت رخو ، وهو يؤكد ذلك قائلاً : « والغنّة تظهر عند إدغام النون الساكنة والتنوين في النون والميم ، ولا تدغم ، وتظهر أيضاً عند إدغام النون والتنوين في الياء والواو ، ويجوز أن تدغم فلا تظهر »[5] ، فقد حدد ظهور الغنّة في موضعين اثنين ، وهما موضعان تكون الغنّة فيها غير خالصة ، ولعل أهم ماذكره مكي هو تفريقه بين الغنّة والنون الساكنة ، فليست كل نون ساكنة غنّة ، قال : « الغنّة نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم ، وتكون تابعة للنون الساكنة الخالصة غير المخفاة ـ وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة ـ وللتنوين ـ لأنه نون ساكنة ـ وللميم الساكنة »[6] ، فالغنّة هي الصوت المتبقي من النون الساكنة في حالة الإخفاء[7] ، وقد تبع ابن

(١) سر الصناعة ٤٨/١ .
(٢) الرعاية ٢٤٠ .
(٣) علم اللغة ١٨٤ .
(٤) الأصوات اللغوية ٧٠ .
(٥) الرعاية ٢٤٠ .
(٦) الرعاية ٢٤٠ .
(٧) الأصوات اللغوية ٧٠ .

الطحان مكياً ، جاعلاً الغنّة صوتاً زائداً فقال : « والغنّـة الصوت الزائـد على جسم الميم منبعث من الخيشوم »[1] ، وربما اختـار صوت الميم حتى يسهل عليه التعريف ولا سيا أن الغنّة هي نون أيضاً ، وأما ابن يعيش فقد ذكر أن الغنّـة تكون مع النون الساكنـة المتبوعة بواحد من خمسة عشر صوتاً ، وهي أصوات الإخفاء المعروفة ، قال : « فهذه النون مخرجها من الخيشوم ، وإنما يكون مخرجهـا من الخيشوم مع خمسة عشر حرفـاً من حروف الفم ، وهي القاف ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والصـاد ، والضـاد ، والسين ، والزاي ، والطـاء ، والظـاء ، والـدال ، والتـاء ، والـذال ، والثـاء ، والفـاء ، فهي متى سكنت وكان بعدها حرف من هذه الحروف فخرجها من الخيشوم ، لا علاج على الفم في إخراجها .. وإن كانت ساكنة وبعدها حرف من حروف الحلق الستّة فخرجهـا من الفم من موضع الراء واللام »[2] فالغنّة نون سـاكنـة ، ولكنهـا تظهر عنـدمـا تتبعهـا أصوات الإخفاء ، أمـا مع أصوات الحلق فـإن خروج الصـوت من الفم يخفف صـوت الغنّـة كما ذكرنـا وقـد ذكر ابن عقيـل الغنّـة قـائـلاً : « الغنّـة ومخرجهـا الخيشوم وهي فرع النون »[3] ، وقد اهتم علماء التجويد كثيراً بالنون الساكنة ، وفصلوا في أحكامها ، فقد ذكر ابن الجزري قـال : « الخيشوم وهي للغنّـة وهي تكـون في النـون والميم السـاكنتين حالة الإخفاء ، أو ما في حكمه من الإدغـام بـالغنـة »[4] ، وهـذا الـذي ذكره ابن يعيش وابن الجزري أصله عند سيبويـه فقـد قـال : « وتكون النون مع سـائر حروف الفم حرفـاً خفيـاً مخرجـه من الخيـاشيم »[5] والغنّـة تكون خـالصـة مع أصوات الإخفـاء ،

---

(١) مخارج الحروف ١٦ .

(٢) شرح المفصل ١٠/١٢٦ .

(٣) المساعد ٤/٢٤٤ .

(٤) النشر ١/٢٠٦ .

(٥) الكتاب ٤/٤٥٤ .

مخالطة لأصوات الإدغام ، وهي (الراء واللام والياء والواو)[١] ، فهي إذا أدغمت بغنّة فليس مخرجها من الخياشيم ، ولكن صوت الفم أشرب بغنّة[٢] .

وقد رأى بعض المحدثين أن الغنّة ليست إلا إطالة للصوت لئلا يفنى في غيره[٣] ، والصحيح أن الغنّة هي فرع النون[٤] ، وهي مجرد خروج النفس المجهور من الأنف قليلاً كان ذلك النفس أم كثيراً[٥] وليست إطالة الصوت ، إلاّ إذا أريد الغنّة غير الخالصة .

ومما تقدم يتضح أن الغنّة صفة لصوتين اثنين هما الميم والنون ، هذه الصفة هي صوت يصاحبهما ويسمع عند نطقهما ، إما أن يكون هذا الصوت واضحاً جليّاً ، يتلاشى تماماً معه هذان الصوتان ، وذلك حين يتبع النون أصوات الإخفاء المذكورة سابقاً ، أو حين يتبع الميم صوت الباء[٦] ، أو يكون الصوت مصاحباً لهذين الصوتين في الحالات الأخرى .

ولما كان هذا الصوت يخلص حتى يخفى معه الصوتان المصاحب لهما ، فقد لقي من عناية القدماء ما جعل سيبويه يعده من الأصوات الفروع بل أولها ، ولعل الذي جعله يخصّه بهذه العناية هو أنه من دون جميع الأصوات الفروع تفرد بمخرج خاص هو آخر المخارج ، وقد تنبه الدكتور النعيمي لهذا حين قال : « وقد كان ينبغي على هذا ألا تورد النون الخفية في الفروع »[٧] ، فالغنّة أو النون الخفية ليست نوناً لهجية وإنما هي نون تعاملية[٨] كما تقدم .

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٤ .

(٢) الكتاب ٤/٤٥٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ٧٣ .

(٤) المساعد ٤/٢٤٤ .

(٥) الدراسات الصوتية ٣١٢ .

(٦) ينظر : النشر ١/٢٢٢ .

(٧) أصوات اللغة واقعها ومستقبلها ٢٦٢ .

(٨) أصوات اللغة واقعها ومستقبلها ٢٦٢ .

الخفاء :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « خفا البرق خفواً وخفواً : لمع ، وخفا الشيء خفواً : ظهر ، وخفي الشيء خفياً وخفياً ، أظهره واستخرجه .. وخفيت الشيء أخفيه : وخفيته أيضاً : أظهرته ، وهو من الأضداد وأخفيت الشيء : سترته وكتمته ، وشيء خفي : خاف ويجمع على خفايا »[1] .

المعنى الاصطلاحي : عدم وضوح الصوت لاتساع المخرج[2] .

الأصوات الخفية : الهاء ، والألف ، والواو المدّية ، والياء المدّية .

مصطلح الخفاء : من مصطلحات سيبويه ، وصف به أصواتاً أربعة ، وهي الهاء وأصوات المد ، وكذلك النون ، إلا أن وصفه للنون لا يفهم منه المعنى نفسه الذي وصف به الأصوات الأربعة الأخرى ، وإنما يقصد بها الغنّة ، أما الخفاء في بقية الأصوات فالأرجح أنه يقصد به عدم وضوح الصوت لاتساع المخرج ، وقد عرف مكي الأصوات الخفيفة قائلاً : « لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها ، وإنما لفظها في هذا خفي بين حرفين »[3] ، ومصطلح الخفاء لا يتضح في كتب العلماء فالزمخشري يصف التاء بالخفاء[4] وكذلك ابن يعيش[5] ، والرضي[6] الذي يصفه بأنه حرف ضعيف ، بينما يوافق ابن عصفور[7] وأبو حيان الرأي الشائع[8] . كما أن معنى الخفاء عند

---

(١) اللسان ٣٣٤/١٤ .

(٢) الرعاية ١٢٧ .

(٣) الرعاية ١٢٧ .

(٤) المفصل ٣٩٦ .

(٥) شرح المفصل ١٣١/١٠ .

(٦) شرح الشافية ٢٦٤/٣ .

(٧) الممتع في التصريف ٦٧٦/٢ .

(٨) المبدع في التصريف ٢٦٠ .

سيبويه لم يأت مفصلاً ، والذي يتجه لي أن وصف علماء العربية أصوات المد بالأصوات الساكنة ، أي غير المتحركة هو السبب في وصفهم إياها بالأصوات الخفية ، فهم لم يدركوا أن هذه الأصوات هي أعلى الأصوات إسماعاً [(١)] ، وليس وصفهم صوت الهاء بالخفاء ببعيد ، فالهاء صوت رخو مهموس [(٢)] ، بل إنها تختلف عن الأصوات الرخوة [(٣)] إلى الحد الذي وصفها بعض المحدثين بأنها (صائت مهموس) [(٤)] ، كما أن وصفهم صوت التاء بالخفاء أيضاً له وجه مقبول ، أما أصوات المد فهي أبعد عن الخفاء .

الضّعف :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الضُّعف والضَّعف : خلاف القوة ، وقيل : الضُّعف ، بالضم ، في الجسد ، والضَّعف ، بالفتح في الرأي والعقل ، وقيل هما معاً جائزان في كل وجه » [(٥)] .

المعنى الاصطلاحي : وهي الصفة السلبية للصوت مثل الهمس ، الرخاوة ...

أصوات الضعف : هي الأصوات المتصفة بإحدى هذه الصفات أو أكثر ، وهي الهمس ، الرخاوة ، الانفتاح ، الاستفال ، الخفاء ، اللين ..

مصطلح الضعف : لم يذكره الخليل تصريحاً ، كما لم يذكره سيبويه أيضاً وإنما أشار إلى أن بعض الأصوات أخف وأضعف من بعض [(٦)] ، إلا أن ابن جني أشار إلى هذه الصفة إشارة صريحة حين ذكر صفة القوة [(٧)] ، وقد عني علماء التجويد [(٨)] بهذه الصفة ،

---

(١) المنهج الصوتي ١٧٢ .

(٢) الأصوات اللغوية ٨٨ .

(٣) العين ٦١ .

(٤) علم اللغة ١٩٥ .

(٥) اللسان ٩/٢٠٢ .

(٦) العين ٦٠ ، الكتاب ٤/٤٥٠ .

(٧) سر الصناعة ٢/٨١٧ ـ ٨١٨ .

(٨) الرعاية ١١٦ ـ ١٣١ ، التمهيد ٩٨ .

لأنها الصفة النقيضة للقوة ، وعدوا صفات الضعف الهمس والرخاوة والانفتاح والاستفال والخفاء واللين ، واختلفوا في التفشي .

القوة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « القوة نقيض الضعف ، والجمع قوى وقُوى ... وقد قوي الرجل والضعيف يقوى قوة فهو قوي فقويته أنا تقوية وقاويته أي غلبته »[1] .

المعنى الاصطلاحي : هي الصفة الإيجابية للصوت مثل الجهر ، والشدة ..

أصوات القوة : هي الأصوات التي اتصفت بإحدى هذه الصفات أو أكثر وهي الجهر ، والشدة ، والإطباق ، والاستعلاء ، والتفخيم ، والصفير والتكرير والغنّة[2] .

مصطلح القوة : أشار الخليل إلى معنى القوة في الأصوات حين قال : « العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسّنتاه ، لأنها أطلق الحروف وأضخمها جرساً »[3] .

وكذلك أشار سيبويه إلى معنى القوة حين قال : « المهموس أخف من المجهور »[4] ، وفي مواضع أخرى أيضاً[5] ، إلا أنها لم يستعملا لفظ القوة صريحاً .

أما ابن جني فقد جاء في كتابه وصفه بعض الأصوات بالقوة ، من مثل قوله : « حتى بدؤوا بالشين التي هي أقوى »[6] ، وقوله : « فأما الراء واللام والنون فتى تقدمت الراء على كل واحدة منها جاز ذلك ... ولو قدمت واحدة منها على الراء لم يجز

(1) اللسان ١٩٦/٢ .
(2) الرعاية ١١٦ ـ ١٣١ .
(3) العين ٦٠ .
(4) الكتاب ٤٥٠/٤ .
(5) الكتاب ٤٤٨/٤ ، ٤٥٠ .
(6) سر الصناعة ٨١٧/٢ .

لأنها أقوى منها »[1] ، أما مكي فقد جعل القوة شاملة لعدد من الصفات منها : الجهر والإطباق والاستعلاء والشدة والصفير والتكرير والغنّة [2] ، إلاّ أنه لم يحدد تعريفاً لصفة القوة ولكن تصنيفه هذا يدل على أن معنى القوة هو صفة الصوت الإيجابية التي تميزه ، ويلزم المحافظة عليها عند نطقه ، وقد عني علماء التجويد[3] بهذه الصفة كثيراً مقسمين الصفات إلى صفات قوة وصفات ضعف ، وقد ذكر المرعشي[4] صفة التفشي من صفات القوة ، وهو تابع لابن جني كما جاء في كلامه الآن ، ولم يعن علماء النحو بهذه الصفة وإنما عني بها علماء التجويد لعنايتهم ببحث الصفات .

الطلاقة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « رجل طلق اليدين والوجه وطليقها : سمحها ووجه طلق وطلق وطلق ، الأخيرتان عن ابن الأعرابي ضاحك مشرق .. ورجل طلق اللسان وطلق وطلق وطليق : فصيح »[5] .

المعنى الاصطلاحي : وهو قوة وضوح الصوت[6] .

صوتا الطلاقة : وهما العين والقاف[7] .

الطلاقة : صفة ذكرها الخليل لصوتي العين والقاف قائلاً : « لا تدخلان في بناء إلا حسّنتاه ، لأنها أطلق الحروف وأضخمها جرساً »[8] ولم تشع ، فلم يذكرها سيبويه ،

---

(١) سر الصناعة ٨١٨/٢ .

(٢) الرعاية ١١٦ ، ١٣١ .

(٣) التمهيد ٩٨ .

(٤) جهد المقل ١٣١.

(٥) اللسان ٢٢٨/١٠ ، ٢٢٩ .

(٦) العين ٦٠ .

(٧) العين ٦٠ .

(٨) العين ٦٠ .

ولا ابن جني ، ولا مكي ، ولا ابن الجزري ، ولا غيرهم ، أما الأزهري[1] فقد ذكرها لأنه أعاد قول الخليل في العين وكذلك الرازي[2] ، وليست لهذه الصفة ميزة محددة ، ولا تمنع من إدغام العين ولا القاف في الحروف الأخرى .

النَّفث :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « النَّفث أقلُّ من التَّفْل ؛ لأن التَّفل لا يكون إلا معه شيء من الريق ، والنُّفث : شبيه بالنَّفخ »[3] .

المعنى الاصطلاحي : وهو انتشار الصوت عند النطق بالفاء والثاء .

صوتا النفث : وهما صوتا الفاء والثاء .

النفث : ذكره ابن جني واصفاً صوت الثاء قائلاً : « الثاء حرف مهموس ، وهو أحد حروف النفث »[4] ، ولم يذكر بقية حروف النفث ، ولم يذكر النفث مع صفات الحروف المذكورة في أول الكتاب ، وقد وصف مكي الفاء بالتفشي[5] ، بينما وصف الثاء ببعض الشدة[6] ، وذكر بعض العلماء أن الحروف النافثة الفاء والثاء[7] ، والذي يتجه لي أن النفث في الفاء هو التأفيف ، إلا أنه عم ليشمل صوتي الفاء والثاء وهو من الصفات التي لم تلق قبولاً في كتب العلماء . ويندر استعمالهم لها .

---

(١) تهذيب اللغة ٤٥/١ .

(٢) نهاية الإيجاز ١٢٠ .

(٣) اللسان ١٩٥/٢ .

(٤) سر الصناعة ١٧١/١ .

(٥) الرعاية ١٢٧ .

(٦) الرعاية ١٢٣ .

(٧) الدراسات الصوتية ٣٢٤ .

النفخ :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « نفخ بفمه نفخاً إذا أخرج منه الريح يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهو انتشار الصوت في الفم عند نطق عدد من الأصوات[2] .

أصوات النفخ : وهي أصوات الضاد والزاي والظاء والذال[3] .

النفخ : وهي صفة ذكرها سيبويه خاصاً بها أصواتاً أربعة عدها أصواتاً مشربه قائلاً : « إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة »[4] ، وقد تبعه ابن جني[5] في تغليب صفة الإشراب عليها ، إلا أن علماء التجويد[6] عدّوا صفة الإشراب خاصة بالأصوات الستة الفرعية ، وعدوا هذه الأصوات الأربعة أصوات النفخ ، وهي صفة يندر استعمالها عند أكثر العلماء[7] ، وتعد من الأبحاث الدقيقة التي يتطلب درسها الاستعانة بالجهزة الحديثة .

الهتّة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « هتّ الشيء يهتُّه هتّاً ، فهو مهتوت ، وهيت ، وهتهته : وطئه وطئاً شديداً ، فكسره وتركهم هتاً بتاً ، أي كسرهم ، وقيل : قطعهم ، والهت : كسر الشيء حتى يصير رفاتاً »[8] .

---

(١) اللسان ٦٢/٣ .

(٢) مخارج الحروف ٨٦ .

(٣) الكتاب ١٧٣/١ .

(٤) الكتاب ١٧٤/١ .

(٥) سر الصناعة ٦٣/١ .

(٦) مخارج الحروف ٨٦ .

(٧) ظاهرة النفخ ١٠٣ .

(٨) اللسان ١٠٢/٢ .

المعنى الاصطلاحي : هو ضعف الصوت وانخفاضه .

الأصوات المهتوته : الهمزة[1] ، والهاء[2] ، والتاء[3] .

مصطلح الهتّة : من مصطلحات الخليل ، وصف به صوت الهمزة والهاء ، إلا أن معنى الهتة اختلف في الموضعين فقد جاء وصفه للهمزة بمعنى الضغط فهي عنده « مهتوتة مضغوطة »[4] ، أما وصفه للهاء فقد جاء بمعنى صوت الهاء قال : « ولولا هتة في الهاء ، وقال مرة ههة لا شبهت الحاء »[5] ، وجاء في اللسان : « قال سيبويه : من الحروف المهتوت وهو الهاء »[6] ، كما أورد الجوهري[7] قول الخليل وذكر ابن جني صوت الهاء[8] ، معرفاً الهتّة بالضعف والخفاء ، إلا أن المصطلح اختلف عند مكي اسماً ومعنى ، فهو المهتوف و « الهتف الصوت الشديد »[9] ، أي إن المعنى هو الشدة أو القوة ، وليس الضعف ، كما أن الصوت المهتوف هو الهمزة سميت بذلك لشدة الصوت بها وقوته[10] ، وهذا المعنى مأخوذ من عبارة الخليل في وصفه للهمزة ، وحين وصف الخليل الصوتين معاً بهذه الصفة اختلف العلماء بين من يعد الهمزة ، ومن يعد الهاء[11] إلا أن الزمخشري

---

(١) العين ٥٨ .
(٢) العين ٦٤ .
(٣) المفصل ٣٩٦ .
(٤) العين ٥٨ .
(٥) العين ٦٤ .
(٦) اللسان ٧٦٧/٢ .
(٧) تهذيب اللغة ٤٤/١ ، ٤٨ .
(٨) سر الصناعة ٦٤/١ .
(٩) الرعاية ١٣٧ .
(١٠) الرعاية ١٣٧ .
(١١) الدراسات الصوتية ٣٢٤ ، الممتع في التصريف ٦٧٦/٢ .

ذكر صوتاً ثالثاً هو (التاء)[1] وتبعه في ذلك ابن يعيش[2] والرضي الأستراباذي[3] وابن الحاجب [4] ، ويصف الزمخشري المتة بالخفاء والضعف ، كما يصفها ابن جني ، وقد وصف الخليل التاء بالخفوت[5] والأرجح أن هذا منشأ قول الزمخشري في وصفه التاء بالصوت المهتوت ، والذي يخلص من هذه الأقوال أن الهتة هي ضعف يعتري أصواتاً ثلاثة وهي الهاء والهمزة والتاء يجعل أصواتها خافتة تتطلب جهداً من الناطق في إيضاحها .

---

(١) المفصل ٣٩٦ .

(٢) شرح المفصل ١٣١/١٠ .

(٣) شرح الشافية ٢٦٤/٢ .

(٤) الإيضاح في شرح المفصل ٤٩٠/٢ .

(٥) العين ٦٠ .

صفات الأصوات المفردة

الانحراف :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « حرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف واحْرَوْرف : عدل . الأزهري . وإذا مال الإنسان عن شيء يقال : تحرف وانحرف واحرورف ... وتحريف القلم : قطه محرفاً .. وقلم محرف : عدل بأحد حرفيه عن الآخر ... وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره »[(١)] .

المعنى الاصطلاحي : وهو صفة لصوت يتصل في إنتاجه طرف اللسان مع اللثة فينحرف مرور الهواء فيخرج من جانبي اللسان .

الصوت المنحرف : وهو صوت (اللام)[(٢)] .

مصطلح الانحراف : من مصطلحات سيبويه ذكره قائلاً : « ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت »[(٣)] ، وقد عدّه من أصوات بين الشديدة والرخوة ، وكذلك فعل المبرد مستعملاً هذا المصطلح صفة للام[(٤)] ، إلا أنه وصف العين بالانحراف[(٥)] ، ولكنه لم يعنِ به ما يفهم من المصطلح فقد خص هذا المصطلح باللام[(٦)] ، متبعاً سيبويه في ذلك وهو ما نجده عند العلماء بعده كابن جني الذي يذكر تعليل سيبويه نفسه لمعنى الانحراف موضحاً إياه بقوله : « ومن الحروف حرف منحرف لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت ، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان

(١) اللسان ٤٣/٩ .

(٢) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٣) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٤) المقتضب ٢١٢/١ .

(٥) المقتضب ١٩٦/١ .

(٦) المقتضب ١٩٦/١ .

عن اعتراضها على الصوت ، فيخرج الصوت من تَيْنك الناحيتين ومما فويقهما ، وهو اللام[1] ، ويتسع معنى الانحراف عند مكي ليشمل صوتاً آخر أيضاً ، فيكون للانحراف صوتان هما اللام والراء ، ويكون الانحراف هو الانحراف عن مخرج الصوت إلى مخرج صوت آخر ، وعن الصفة إلى صفة أخرى[2] وفي حين يرى سيبويه أن اللام صوت شديد اكتسب صفة الرخاوة ، يراه مكي رخواً اكتسب صفة الشدة[3] ، وهو أصوب في ذلك كما يتجه لي . إلا أن معنى الانحراف عند مكي يصح معه أن ندخل جميع الأصوات بين الشديدة والرخوة فيه ، وهو غير صحيح ، وقد تبع مكياً في فهمه لمعنى الانحراف كل من ابن الطحان[4] ، وابن الجزري[5] ، ولكن أكثر العلماء[6] على رأي سيبويه ، وقد ذكر ابن الجزري[7] في (النشر) ، والسيوطي في (الهمع)[8] ، نقلاً عن أبي حيان أن الكوفيين زادوا صوت الراء وجعلوا الانحراف للام والراء معاً ، ويكون مكي ومن تبعه قد ذهبوا في ذلك مذهب الكوفيين ، وهذا الرأي الذي يقول : بأن عدّ الراء منحرفاً هو مذهب الكوفيين نجد أصله عند سيبويه في عبارته التي وصف بها الراء قائلاً : « وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام »[9] ، فهل أخذ الكوفيون مذهبهم هذا من عبارة سيبويه ، فعدوا الانحراف انحرافاً من المخرج إلى مخرج صوت آخر ؟ الذي يتجه لي أن هذا هو الذي صار ، وهو ظاهر فهم مكي والداني[10] وابن

---

(١) سر الصناعة ٦٢/١ .

(٢) الرعاية ١٢١ ، ١٣٢ .

(٣) الرعاية ١٣٢ .

(٤) مخارج الحروف ٩٥ .

(٥) النشر ٢٠٤/١ .

(٦) المفصل ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، شرح المفصل ١٣٠/١٠ ، شرح الشافية ٢٥٨/٣ ، المبدع ٢٦١ ، المساعد ٢٤٧/٤ .

(٧) النشر ٢٠٤/١ .

(٨) همع الهوامع ٢٣٠/٢ .

(٩) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(١٠) الدراسات الصوتية ٣٢٢ .

الطحان وابن الجزري لمعنى الانحراف ، وهو ما ذهب إليه الكوفيون[1] ، إلا أن الانحراف عند أكثر العلماء ، بقي مخصوصاً به صوت اللام فقط . أما المحدثون فهم يستعملون مصطلحاً آخر هو الجانبي[2] .

التأفيف :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الأفف الضجر ، وقيل الأف والأفف : القلة ،... وأفٍ كلمة تضجر ، وفيها عشرة أوجه ،... وأففه وأفف به : قال له : أف ، وتأفف الرجل : قال أفه »[3] .

المعنى الاصطلاحي : هو انتشار صوت الفاء عند النطق به[4] .

صوته : هو (الفاء)[5] .

مصطلح التأفيف : وهو من مصطلحات علماء التجويد[6] ، ذكروه فرعاً لصفة التفشي حين ألحقوا الفاء بأصوات التفشي ، ولم يذكره مكي مع الصفات ولا وصف الفاء به في (الرعاية) ، وهذه الصفة هي التي تمنع صوت الفاء من الإدغام في الأصوات الأخرى ، ولعلهم لهذا السبب حرصوا على ذكر هذه الميزة بصفة مستقلة هي التأفيف التي ذكرها الرضي قائلاً : « وفضيلة الفاء التأفيف »[7] ، بينما ذكرها ابن الجزري « التأفُّف »[8] .

---

(١) مدرسة الكوفة ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٩ ، مناهج البحث ١٣٣ .

(٣) اللسان ٧٦/٩ .

(٤) الرعاية ٢٢٧ .

(٥) التمهيد ١٠٧ ، ١٤٨ .

(٦) الدراسات الصوتية ٣١٩ .

(٧) شرح الشافية ٢٥٠/٣ .

(٨) التمهيد ١٤٨ .

التفشي :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « فشا خبره يفشو فشواً وفشياً : انتشر وذاع ... وفشا الشيء يفشو فشواً إذا ظهر ، وهو عام في كل شيء ومنه إفشاء السّر »[1] .

المعنى الإصلاحي : وهو أن يشغل الصوت من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا الوشيش[2] .

صوت التفشي : وهو صوت الشّين[3] .

مصطلح التفشّي : من مصطلحات سيبويه وصف به صوت (الشين)[4] ، إلاّ أنه ذكر أصواتاً أخرى واصفاً إياها بصفة التفشي قال : « والراء لا تدغم في اللام ولا في النون ، لأنها مكررة ، وهي تفشى إذا كان معها غيرها ، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ماليس يتفشى في الفم »[5] ، وكذلك وصف الأصوات المطبقة بقوله : « والمطبق أفشى في السمع »[6] ، والواضح أنه يخص صوت الشين فقط بالتفشّي ، ولكنه يصف أصواتاً أخرى أيضاً بالتفشي لأسباب عارضة ، فالراء تفشي إذا كان معها غيرها ، وهو يعني التكرير المتصف بالزيادة في التصويت ، كما يعني بالتفشي الإطباق ، حين قال والمطبق أفشى في السمع ، وقد قال عن أصوات الصفير إنها : « أندى في السمع »[7] ، وأظن أن العبارتين لها عنده المعنى نفسه ، وهذا ما فهمه العلماء من بعده حين خصوا الشين بالتفشي ، وقد ذكر المبرد الشين وأضاف أيضاً الضاد[8] إليها ، إلا أن أصوات

(١) اللسان ١٥/١٥٥ .
(٢) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢١٠ .
(٣) الكتاب ٤/٤٤٨ .
(٤) الكتاب ٤/٤٤٨ .
(٥) الكتاب ٤/٤٤٨ .
(٦) الكتاب ٤/٤٦٠ .
(٧) الكتاب ٤/٤٦٤ .
(٨) المقتضب ١/٢١٤ .

التفشي عنده أكثر من صوتين ، وقد أوضح ذلك قائلاً : « لا تدغم الشين في الجيم ألبتة ؛ لأن الشين من حروف التفشي »[1] ، أي أنه يرى أن التفشي لأصوات عدة ، وبالنظر إلى قول المبرد يظهر أن صفة التفشي في عصر المبرد كانت تعني انتشار الصوت في الفم ، ولم تكن محددة بصوت معين ، وهذا يفسر وصف سيبويه عدة أصوات بالتفشي ، ولم يحدد سيبويه ولا المبرد معنى التفشي ، ولم يذكره ابن دريد في (الجمهرة) ، ولا الزجاجي في (الجمل) ، ولا السيرافي في ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، ولا الأزهري في (تهذيب اللغة) ، ولا ابن جني في (سر الصناعة) ، وقد ذكره مكي[2] خاصاً به صوت الشين إلاّ أنه ذكر عن آخرين إضافتهم صوتي الثاء والضاد ، بل إن علماء[3] التجويد يضيفون أيضاً أصواتاً أخرى ، بعضهم[4] يضيف الضاد والفاء والثاء إلى الشين ، وبعضهم[5] الميم والفاء والراء ، مما يدلل على أن صفة التفشي لم تكن صفة محددة عندهم ، ولعل إغفال ابن جني لها بسبب عدم شيوعها صفة متعارفاً عليها ، ويعرف مكي التفشي قائلاً : « هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك »[6] ، وهو تعريف غير محدد بصوت الشين ، وإن قصر هو التفشي على صوت الشين ، وقد تبعه في هذا التعريف ابن الطحان الذي اشترط في معنى التفشي الاستطالة ، وهو في هذا تابع للمبرد[7] ، وكذلك مكي الذي سمى الاستطالة مخالطة[8] ، ولا يذكره الخفاجي في (سر الفصاحة) ، ولا الزمخشري في (المفصل) ، ولا ابن الأنباري في (أسرار العربية) ، ولا الرازي في (نهاية الإيجاز) ، ولا السكاكي في (مفتاح العلوم) ، ولا ابن يعيش في

---

(١) المقتضب ٢١١/١ .

(٢) الرعاية ١٢٤ .

(٣) الدراسات الصوتية ٣١٩ .

(٤) الدراسات الصوتية ٣١٩ .

(٥) الدراسات الصوتية ٣١٩ .

(٦) الرعاية ١٣٥ .

(٧) المقتضب ٢١١/١ .

(٨) الرعاية ١٣٥ .

(شرح المفصل) ، أما ابن عصفور فقد ذكره في (الممتع)[1] ، كما ذكره الرضي في (شرح الشافية)[2] ، وابن عقيل في (شرح التسهيل) الذي قال : « التفشي الشين باتفاق والضاد باختلاف »[3] ، وهي عبارة تكشف الاختلاف على هذا المصطلح ، وقد أكد ذلك ابن الجزري قائلاً : « حرف التفشي هو الشين اتفاقاً »[4] ، وهذا يؤكد أن الخلاف ظل قائماً ، وإن كان أكثر العلماء على اختصاص التفشي ، ومما لا شك فيه أن صوت الشين يتميز بانتشار الهواء في الفم وزيادة في التصويت ، مما امتنع معه إدغامه في الأصوات المقاربة له ، حيث إن ذلك سيذهب منه هذه الميزة وهي التفشي .

والخلاصة أن صفة التفشي ، لم تستقر مصطلحاً محدداً إلا في وقت متأخر ، فقد كانت تستعمل في القرون الأولى بمعناها اللغوي ، وهو ما نجده عند سيبويه والمبرد وغيرهم ، أما المحدثون فقد استعملوه بعد أن استقر ، ولذلك نجده في كتبهم[5] صفة مخصوصة بصوت الشين فقط ، وهم يعرّفون التفشي بقولهم : « أن يشغل الصوت من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا الوشيش »[6] ، وهو تعريف مكي نفسه ولكنه بألفاظ أخرى .

التكرير :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الكرّ : الرجوع ... والكّر : مصدر كرّ عليه يكر كراً وكروراً وتكراراً : عطف . وكرّ عنه : رجع ، وكر على العدو ويكرّ ، ورجل كرار ومكرّ ... وكرر الشيء وكركره : أعاده مرة بعد أخرى . والكرة : المرة ، والجمع

(١) الممتع في التصريف ٦٨٨/٢ .

(٢) شرح الشافية ٢٧٠/٣ .

(٣) المساعد ٢٥٠/٤ .

(٤) النشر ٢٠٥/١ .

(٥) نهاية القول المفيد ٥٧ ، دروس في علم أصوات العربية ٣٨ ، دراسات في فقه اللغة ٢٢٨ ، تاريخ العلامة ابن خلدون ٥٢ .

(٦) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢١٠ .

الكرات ... والكر : الرجوع على الشيء ، ومنه التكرار ... الجوهري : كررت الشيء تكريراً وتكراراً »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة لصوت يتكون « بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً »[2] .

الصوت المكرر : وهو صوت الراء[3] .

مصطلح التكرير : من مصطلحات سيبويه ذكره قائلاً : « ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره »[4] ، وقد خص به صوت (الراء) وهذا المصطلح بهذا المعنى الذي وصفه سيبويه استعمله علماء العربية دون تغيير يذكر عدا إيضاحهم معنى التكرير . فقد وصفه المبرد بأنه « ترجيع »[5] ، كما فسره ابن جني بأنه تعثر اللسان[6] بما في الصوت من التكرير ، أما مكي فقد وصفه بقوله : « كأن طرف اللسان يرتعد به »[7] ، ووصفه ابن الطحان بأنه : « تضعيف يوجد في جسم الراء »[8] ، بينما قال ابن عقيل : « كأنك نطقت بأكثر من حرف »[9] ، وأردف قائلاً : « قال سيبويه : والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة »[10] ، ويبدو أن وصف

---

(١) اللسان ١٣٥/٥ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٩ .

(٣) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٤) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٥) المقتضب ١٩٦/١ .

(٦) سر الصناعة ٦٣/١ .

(٧) المفصل ٣٩٦ ، الرعاية ١٣١ .

(٨) مخارج الحروف ٩٥ .

(٩) المساعد ٢٤٨/٤ .

(١٠) المساعد ٢٤٨/٤ .

مكي اللسان في حالة نطق صوت الراء بالارتعاد مقرباً جداً لمعنى التكرير ، وكذلك قول ابن عقيل وهو مأخوذ من كلام سيبويه موافق لمعنى المحدثين للتكرير ، وقد شاع هذا المصطلح عند علماء العربية قديماً وحديثاً[1] بالاستعمال نفسه دون إضافة تذكر .

الجانبية :

وهي صفة مرادفة لصفة الانحراف يستعملها المحدثون[2] ، ينسبونها إلى جانبي اللسان حيث يمر الهواء عند النطق بصوت اللام ، إذ يتصل طرف اللسان باللثة مع ترك فراغ للهواء بين جانبيه .

الجرس :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الجرس : مصدر ، الصوت المجروس ، والجرس : الصوت نفسه ، والجرس : الأصل ، وقيل الجرس والجرس : الصوت الخفي . قال ابن سيدة : الجرس والجرس ... والجرس ... الحركة والصوت من كل ذي صوت »[3] .

المعنى الاصطلاحي : هو قوة وضوح الصوت وعلوه عند النطق[4] .

الصوت الجرمي : هو صوت الهمزة[5] .

---

(١) دروس في علم أصوات العربية ٢٨ ، علم اللغة ١٨٧ ، أسس علم اللغة ٨٦ ، المدخل إلى علم اللغة ٤٨ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٩ ، مناهج البحث في اللغة ١٣٢ ، كلام العرب ٢٢ ، علم اللغة ١٨٥ ، الأصوات اللغوية ١١٨ ، المدخل إلى علم اللغة ٤٧ .

(٣) اللسان ٣٥/٦ .

(٤) الرعاية ١٣٣ .

(٥) الرعاية ١٣٣ .

مصطلح الجرمي : ذكره ابن دريد واصفاً به صوت (الألف) قائلاً : « وأما الحرف التاسع والعشرين فجرس بلا صرف »[1] ، وقد نسب ذلك إلى الأخفش[2] ، وورد في (العين) وصفه صوت الحكاية بالجرس[3] ، كا ذكر الأزهري أن لكل حرف صرفاً وجرساً ، قائلاً : « أما الجرس فهو الصوت في سكون الحرف ، وأما الصرف فهو حركة الحرف[4] ، وهو معنى الخليل نفسه ، وهو يعني بالجرس التصويت . أما مكي فالجرس عنده هو علو الصوت عند النطق به وهي صفة للهمزة[5] ، وقد وصفها في موضع آخر بالخفاء[6] ، ولعله قصد أن الهمزة صوت خفي عسير في النطق يحتاج إخراجه إلى علو الصوت وارتفاعه ، ولذلك سمي خفياً كا سمي جرسياً ، أما ابن منظور فقد ذهب في معنى الجرس على خلاف مذهب مكي فأصوات العلة عنده جوف ، والبقية أصوات مجروسة[7] ، وظاهر هذا التقسيم تأثره بوصف علماء العربية الحركات الطويلة بالأصوات المعتلة أو الضعيفة ، وهما يلتقيان في استعمال الجرس بمعنى قوة الصوت ، ويختلفان في التصنيف ، وقد وافق ابن الجزري[8] مكياً في ما ذهب إليه ، أما المحدثون فيعرفون الجرس بأنه : « أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على الخشب أو الطبلة ، وكالاصطدام »[9] ، وهو غير الصوت الإنساني .

---

(١) جمهرة اللغة ٧/١ ، الدراسات الصوتية ٢٢٥ .

(٢) جمهرة اللغة ٧/١ .

(٣) العين ٦٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٥٠/١ .

(٥) الرعاية ١٣٣ .

(٦) الرعاية ١٢٨ .

(٧) اللسان ٣٥/٦ .

(٨) التمهيد ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٩) مناهج البحث ٦٧ .

الحافية : وهي صفة مرادفة لصفة الانحراف ، يستعملها المحدثون وينسبونها إلى حافتي اللسان حيث يمر منها الهواء عند النطق بصوت اللام ، إذ يتصل طرف اللسان باللثة مع ترك فراغ للهواء بين حافتيه[1] .

الرجوع :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « رجع يرجع رجعاً ورجوعاً ورجعى ورجعاناً ومرجعاً ومرجعة : انصرف ... الرجعة : المرة من الرجوع ... ورجّع الرجل وترجّع : « ردّد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به »[2] .

المعنى الاصطلاحي : هو أن يرجع مخرج الصوت إلى منطقة متأخرة ومخرج آخر[3] .

الصوت الراجع : وهو صوت (الميم)[4] .

مصطلح الرجوع : واضع هذا المصطلح هو المبرد حين قال : « والميم ترجع إلى الخياشم بما فيها من الغنّة »[5] ، وهو الاستعمال نفسه الذي جاء عند مكي فيما بعد ، ولم يذكر مكي واضع هذا اللفظ ، وقد ذكره قائلاً : « الحرف الراجع وهو الميم الساكنة ، سميت بذلك لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم لما فيها من الغنّة »[6] ، إلا أنه أضاف صوتاً آخر وهو (النون)[7] ، ولم يشع استعمال هذا المصطلح ، وقد ذكره ابن الجزري[8] .

---

(١) أثر الأصوات في القراءات والنحو العربي ٢١١ ، كلام العرب ٢٢ ، المحيط في أصوات العربية ١٦/١ .

(٢) اللسان ١١٤/٨ ، ١١٥ .

(٣) الرعاية ١٣٨ .

(٤) المقتضب ١٩٤/١ .

(٥) المقتضب ١٩٤/١ .

(٦) الرعاية ١٣٨ .

(٧) الرعاية ١٣٨ .

(٨) التمهيد ١٠٩ .

صفات الأصوات بحسب المخارج

الحنجرية :

المعنى اللغوي : الحنجرية نسبة إلى الْحَنْجرة وهي : « عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ، ومكونة من ثلاثة غضاريف ، الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من خلف وعريض بارز من الأمام ، ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم ، أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة ، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من خلف »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة يختص بها صوتان اثنان ، وهي منسوبة إلى موضع إخراج هذين الصوتين وهو الحنجرة .

الصوتان الحنجريان : وهما (الهمزة والهاء)[2] .

مصطلح الحنجرية : وهو مصطلح حديث لم يعرفه علماء العربية قديماً ، وإنما سموا هذا الموضع الذي ينتج فيه صوتا الهمزة والهاء بأقصى الحلق ، وقد أشار إلى ذلك بعض المحدثين قائلاً : « سموا هذا الموضع أقصى الحلق وسماه البحث الحديث بالحنجرة »[3] .

ولما كان صوت الهمزة يتكون بانطباق الوترين الصوتين وحجز الهواء ثم ابتعادهما فجأة وإحداث صوت هو صوت الهمزة[4] ، ولما كانت الفتحة التي بين الوترين تسمى فتحة المزمار ، فإن الهمزة توصف أحياناً بأنها صوت مزماري[5] ، والمزمار جزء من

(١) الأصوات اللغوية ١٧ .

(٢) علم اللغة العام - الأصوات ٩٠ .

(٣) دراسات في علم اللغة ١١٧ .

(٤) علم اللغة العام - الأصوات ١١٢ .

(٥) كلام العرب ٢٥ .

الحنجرة ، ولذلك فإن صفة مزماري تدخل في معنى حنجري ، ولعل الدقة تقتضي أن توصف الهمزة بأنها مزمارية ويسميها بعض الباحثين بالوقفة الحنجرية ، وقد ذكر بعضهم أصواتاً حنجرية ثلاثة زاعماً أن الصوت الثالث هو الهاء المجهورة[1] ، ولا أرى صحة في هذا الكلام ، ولا سيا أن الهاء المجهورة ليست (فونياً) في اللغة العربية ، ولذلك فهي فرع من الهاء المهموسة لا داعي للحديث عنه مستقلاً .

الحلقية :

المعنى اللغوي للحلق : جاء في اللسان : « الحلق : مساغ الطعام والشراب في المريء والجمع القليل أحلاق ... والكثير حلوق وحلق ... الأزهري : مخرج النفس من الحلقوم وموضع الذبح هو أيضاً من الحلق . وقال أبو زيد : الحلق موضع الغلصمة والمذبح . وحلقه يحلقه حلقاً : ضربه فأصاب حلقه وحلق حلقاً شكى حلقه »[2] .

المعنى الاصطلاحي : هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم[3] .

الأصوات الحلقية : وهما (العين والحاء)[4] .

مصطلح الحلقية : من مصطلحات الخليل ، اختص به خمسة أصوات مستثنياً الهمزة ، التي عدها مع أصوات المد واللين هوائية ، قائلاً : « فالعين والحاء والهاء ، والخاء والغين حلقية »[5] ، وقد زاد سيبويه صوتين فجعلها أصوات سبعة قائلاً : « فللحلق منها ... الهمزة والهاء والألف ... العين والحاء ... الغين والخاء »[6] ، وقد

---

(١) أصوات اللغة ٢١٧ .

(٢) اللسان ١٠/٥٨ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٨ .

(٤) علم اللغة العام - الأصوات ٩٠ .

(٥) العين ٦٥ ، « ذكر المخزومي أن حروف الحلق عند الخليل تبتدئ بالعين وتنتهي بالخاء ، ولم يأت في كتابه العين ولا في تهذيب اللغة للأزهري ذكر ذلك » . الخليل بن أحمد الفراهيدي ٩٩ .

(٦) الكتاب ٤/٤٣٣ .

وافقه في ذلك المبرد[1] ، أما ابن دريد فقد أخرج الألف قائلاً : « فمن المصمتة الصحاح حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين »[2] ، وهذا الرأي قال به علماء التجويد فكي في (الرعاية)[3] ، وابن الجزري في (النشر)[4] ، والمرعشي في (جهد المقل)[5] ، أما أكثر العلماء فعلى رأي سيبويه في عد أصوات الحلق سبعة ومنهم ابن جني[6] ، والخفاجي[7] ، والزمخشري[8] ، وابن الطحان[9] ، وابن الأنباري[10] ، والرازي[11] ، والسكاكي[12] ، وابن يعيش[13] ، والرضي[14] الأستراباذي ، وأبو حيان الأندلسي[15] ، وابن عقيل[16] ، وابن الجزري[17] في (التمهيد) والسيوطي[18] ، ويختلفون في ترتيب هذه الأصوات . قسم[19] يتبع سيبويه في وضع الهاء بعد الهمزة وقبل الألف ،

---

(1) المقتضب ١/١٩٢ ، ٢٠٧ .

(2) جمهرة اللغة ١/٦ .

(3) الرعاية ١٣٩ .

(4) النشر ١/٩٩ .

(5) جهد المقل ١٠٠ .

(6) سر الصناعة ١/٤٦ ، ٤٧ .

(7) سر الفصاحة ١٩ .

(8) المفصل ٣٩٣ .

(9) مخارج الحروف ٨٠ .

(10) أسرار العربية ٤٢٠ .

(11) نهاية الإيجاز ١١٨ .

(12) مفتاح العلوم ١١٠ .

(13) شرح المفصل ١٠/١٢٤ .

(14) شرح الشافية ٣/٢٥٠ .

(15) المبدع في التصريف ٢٥٧ .

(16) المساعد ٤/٢٤٠ .

(17) التمهيد ١١٣ .

(18) همع الهوامع ٢/٢٢٧ .

(19) شرح جمل الزجاجي ٤٤٥ ، المفصل ٣٩٣ ، نهاية الإيجاز ١١٨ ، شرح الشافية ٣/٢٥٠ ، المساعد ٤/٢٤٠ ، النشر ١/١٩٩ .

وقسم آخر[(١)] يضع الألف بعد الهمزة وقبل الهاء وهو الأكثر ، كما يختلفون في تقديم العين على الحاء أو تأخيرها ، أما مكي[(٢)] فيجعل العين قبل الحاء ، وهو ظاهر كلام سيبويه[(٣)] ، وقد ذكر ابن الجزري أيضاً أن بعض العلماء يجعل الحاء قبل العين وهو المهدوي[(٤)] ، والتجارب الحديثة تدل على أن لكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين ، يحلان فيه معاً ، دون ترتيب لأحدهما على الآخر[(٥)] ، وهذا يعني أن العين والحاء من مخرج واحد لا يتقدم أحدهما على الآخر ، والفرق بينهما أن أولها مجهور ، وثانيها مهموس ، وهذا يؤيد كلام سيبويه الذي لم ينص على تقديم أي الصوتين ومسألة الغين والخاء كمسألة العين والحاء سواء بسواء ، ومن الغريب أن مكياً الذي قدم العين على الحاء عكس القضية فقدم الخاء على العين[(٦)] ، وهو ما فعل عكسه شريح[(٧)] فقدم الحاء على العين والغين على الخاء .

أما المحدثون فالأصوات الحلقية عندهم اثنان فقط وهي الحاء والعين[(٨)] ، أما الهمزة والهاء فهما مزماريان[(٩)] ، وأما الغين والخاء فهما أقصى حنكيين ، وأما الألف فهي حركة طويلة ، وقد رأى بعض الباحثين المحدثين مسوغاً لعد القدماء هذه الأصوات حلقية دون الألف قائلاً : « وربما سوغ ما ذهب إليه هؤلاء الدارسون أمران ، أحدهما قرب هذه المخارج بعضها من بعض ، بل عدم إمكانية الفصل بينها فصلاً تاماً ، وإنما الفصل

---

(١) سر الصناعة ١/٤٦ ، ٤٧ .
(٢) الرعاية ١٦٢ .
(٣) النشر ١/١٩٩ ، سر الفصاحة ١٩ ، مخارج الحروف ٨٠ ، أسرار العربية ٤٢٠ ، مفتاح العلوم ١١٠ ، المبدع في التصريف ٢٥٧ ، التمهيد ١٣ ، همع الهوامع ٢/٢٢٧ .
(٤) النشر ١/١٩٩ .
(٥) الأصوات اللغوية ١١٢ .
(٦) الرعاية ١٦٢ - ١٦٩ .
(٧) الأصوات اللغوية ١١٤ .
(٨) علم اللغة العام - الأصوات ١٠١ ، كلام العرب ٢٥ .
(٩) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠ .

أمر تقديري مبني على الناحية الفسيولوجية ، ثانيهما اشتراك هذه الأصوات الستة في بعض الخواص الصوتية والصرفية في اللغة العربية ، منها أن الفعل على وزن (فَعَل يفعَل) بفتح العين في الماضي والمضارع لا يقع إلا إذا كان عين الفعل أو لامه حرف حلق ، وإنما التزموا فتح العين فيها ليقاوم خفة فتحة العين ثقالة حروف الحلق ، ومن هذه الخواص أيضاً جواز تحريك عين الكلمة الساكنة بالفتح إذا كانت هذه العين حرف حلق ، فيقال مثلاً : نهر وبحر بفتح الهاء والحاء[1] .

يبقى مشكل هام وهو أن الحلق عند القدماء كان يمتد مساحة حتى يشتمل على منطقة اللهاة ثم الحنك الرخو ، وقد جاء حديثهم صريحاً على معرفتهم بمنطقة اللهاة ، ولم يدخلوا القاف وهو لهوي في الأصوات الحلقية ، وهو ما يدلل على معرفتهم تلك ، وهو مشكل عالجه الدكتور حسام النعيمي ووصل فيه إلى أن الخاء والغين كانا ينطقان من موضع اللهاة بعيد القاف أو قبيلها ، مما يؤدي إلى الاشتباه في تعيين المخرج[2] .

الصّتم :

المعنى اللغوي : الصّتْم ، بالتسكين ، والصَّتَم ، بالفتح ، من كل شيء : ما عظم واشتد ... وصتم الشيء : أحكمه وأتمّه . أبو عمرو : صتمت الشيء فهو مصتم وصتم أي محكم تام ... والتصتيم : التكميل ، وألف مصتم : متمم . وألف صتم : أي تام[3] .

المعنى الاصطلاحي : وهي الأصوات غير الحلقية[4] .

مصطلح الصّتم : من مصطلحات الخليل إلا أنه لم يأت بهذا المعنى وإنما ذكره بمعنى الإصمات ، قال : « يجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل ومن

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠١ .

(٢) الدراسات اللهجية ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، التحول والثبات في أصوات العربية ٢٨١ ، ٢٨٤ .

(٣) اللسان ٣٣٢/١٢ .

(٤) التمهيد ١٠٩ .

الزلق والشفوية والصتم »[1] فقد قابل بين الصحيح والمعتل وبين الزلقية والصتم ، وكذلك جاء المعنى نفسه في موضع آخر[2] ، وهكذا فسر الجوهري العبارة حين قال : « المصمته وهي الصتم »[3] ، وقد استعمل مكي هذا المصطلح واصفاً به الأصوات غير الحلقية ، إلا أنه استعمل لفظ (الصم)[4] بدلاً من الصتم .

وقد جاء في اللسان قوله : « والحروف الصتم التي ليست من حروف الحلق »[5] بالاستعمال نفسه ، وتبعهما ابن الجزري[6] .

ومعنى الصتم عند مكي وابن الجزري هو تمكن الأصوات « في خروجها من الفم واستحكامها فيه »[7] ، ولم يشع استعمال هذا المصطلح في كتب العلماء ، ولعل السبب هو زهدهم في الإسراف في المصطلحات .

اللهوية :

المعنى اللغوي : اللهوي نسبة إلى اللهاة ، جاء في اللسان : « لحمة حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان ، والجمع لهيات ، غيره : اللهاة الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم ، ابن سيده : واللهاة من كل ذي حلق اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل هي ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ، والجمع لهوات ولهيات »[8] .

---

(١) العين ٦٢ .
(٢) العين ٦٠ .
(٣) تهذيب اللغة ٥١/١ .
(٤) الرعاية ١٣٧ .
(٥) اللسان ٣٣٣/١٢ .
(٦) التمهيد ١٠٩ .
(٧) الرعاية ١٣٧ ، التمهيد ١٠٩ .
(٨) اللسان ٢٦١/١٥ ، ٢٦٢ .

المعنى الاصطلاحي : صفة يختص بها صوتان اثنان ، وهي منسوبة إلى موضع إخراج هذين الصوتين ، وهذا الموضع هو اللهاة .

الصوت اللهوي : وهو (القاف)[1] .

مصطلح اللهوية : من مصطلحات الخليل ذكره قائلاً : « والقاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأهما من اللهاة »[2] ، ولم يخالفه سيبويه[3] في ذلك ، وقد ذكر الأزهري ذلك قائلاً : « والقاف والكاف لهويان »[4] بالتذكير كما ذكر مكي الصوتين قائلاً : « وسماهما الخليل بذلك ؛ لأنه نسبهما إلى الموضع الذي يخرجان منه وهو اللهاة »[5] .

ولم يشع هذا المصطلح في كتب علماء العربية ، بل لا نكاد نجد له وجوداً في مؤلفاتهم ، والسبب في ذلك يعود كما أظن إلى اهتمامهم بالصفات الحقيقية التي تميز صوتاً عن صوت كالجهر والهمس والشدة والرخاوة ، وغيرها ، وهي التي يكون لها أثر في الكلام وفي الإدغام بصفة خاصة ، أما الصفات التي تنسب إلى مواضع الأصوات وهي صفات زائدة ، لا تضيف شيئاً للصوت نفسه ، ولذلك فقد كان اهتمامهم بالصفات الأخرى شاغلاً عن هذه الصفات ، وقد ذكره ابن الجزري في النشر متحدثاً عن صوتي القاف والكاف قائلاً : « وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوي ، نسبة إلى اللهاة ، وهي بين الفم والحلق »[6] .

---

(١) علم اللغة العام - الأصوات ١٠٩ .

(٢) العين ٦٥ .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠١ .

(٤) تهذيب اللغة ١/٤٨ .

(٥) الرعاية ١٣٦ .

(٦) النشر ١/١٩٩ .

والمحدثون يقصرون هذه الصفة على (القاف)[1] فقط ، إذ ينتج هذا الصوت : « عن طريق اتصال مؤخر اللسان بمنطقة اللهاة مع الطبق اللين بصورة لا تسمح بمرور الهواء ، يعقبه تسريح فجائي له »[2] . فاللهاة هي « نهاية الحنك اللين »[3] وهو الصحيح أما عدد من المحدثين فيخلطون بين اللهاة ولسان المزمار ، إذ يجعل صاحب (معجم علم اللغة النظري) اللهاة مرادفة للسان المزمار[4] ، كما يعرفها آخر قائلاً : « وهي لحمة مشتبكة بآخر اللسان »[5] ، واللهاة موضعها قبل منطقة الحنك الرخو إذ إنها الجزء الأخير منه ، وقد ذكرها الدكتور أنيس بعده قائلاً : « ثم أقصى الحنك أو الجزء اللين منه ثم اللهاة »[6] ، ولعله جرى في ذلك على مذهب القدماء الذين جعلوا منطقة الحلق تنتهي بصوتي الخاء والغين ثم بعدهما القاف واللهوية .

الشجرية :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الشجر : مفرج الفم ، وقيل مؤخره وقيل : هو الصامغ ، وقيل هو ما انفتح من منطبق الفم ، وقيل : هو ملتقى اللهزمتين ، وقيل : هو ما بين اللَّحيين ،... قال ابن الأثير : الشجر مفتح الفم ، وقيل : هو الذقن »[7] .

المعنى الاصطلاحي : هي صفة لأصوات ثلاثة ، وتنسب إلى مخرج هذه الأصوات في الفم وهو الشجر .

الأصوات الشجرية : وهي الجيم ، والشين ، والضاد[8] .

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٧٢ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٢٧٢ .

(٣) علم اللغة ١٤٣ .

(٤) معجم علم اللغة النظري ٨٦ .

(٥) نهاية القول المفيد ٣٤ .

(٦) الأصوات اللغوية ١٨ .

(٧) اللسان ٣٩٦/٤ ، ٣٩٧ .

(٨) العين ٦٥ .

مصطلح الشجرية : من مصطلحات الخليل ، ذكره قائلاً : « والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم ، أي مفرج الفم »[1] ، وزيادة الضاد إلى الأصوات الشجرية من أوهام ما زيد في العين ، ولم يحدد الخليل هذا المخرج تحديداً دقيقاً ، ولهذا فإن سيبويه ذكر صوتي الجيم والشين مضيفاً لهما صوت الياء محدداً مخرجها ، من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى[2] ، ولم يدخل الضاد معها ، وإنما رأى لها مخرجاً منفرداً بها ، « وقد وافقه المحدثون على عزل صوت الضاد وعدها من مخرج مستقل »[3] ، ولم يستعمل مصطلح الشجرية في كتابه كما لم يذكر المبرد المصطلح أيضاً ، إلاّ أنه ذكر الأصوات الثلاثة متوالية قائلاً : « مخرج الشين ويليها مخرج الجيم ، ويعارضها الضاد ، ومخرجها من الشدق »[4] .

وقد ذكر الأزهري نص الخليل[5] ، أما ابن جني فقد حذا حذو سيبويه ، ولم يذكر المصطلح ، وهو ما نجده عند أكثر العلماء ، إذ إن هذه الصفات التي تصف الأصوات بنسبتها إلى مواضعها ومخارجها ، هي أشبه بألقاب لها وليست صفات تميزها ، ولهذا قل اهتمام علماء العربية بها ، وحين تذكر تذكر إضافية ، وقد ذكر مكي المصطلح قائلاً : « الحروف الشجرية وهي ثلاثة أحرف : الشين والضاد والجيم سماهن بذلك الخليل ؛ لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه ، وهو مفرج الفم »[6] ، ولم يذكرها الخفاجي في (سر الفصاحة) ولا ابن الطحان في (مخارج الحروف) ، ولا ابن الأنباري في (أسرار العربية) ، ولا الرازي في (نهاية الإيجاز) ، ولا السكاكي في (مفتاح العلوم) ، وقد ذكرها الزمخشري خاصاً بها صوتين اثنين هما الجيم والضاد[7] ، أما ابن يعيش فقد

---

(١) العين ٦٥ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٢ .

(٤) النشر ١/١٩٢ ، ١٩٣ .

(٥) تهذيب اللغة ١/٤٨ .

(٦) الرعاية ١٢٩ .

(٧) المفصل ٣٩٦ .

استعمل المصطلح لأصوات وسط اللسان ، وهو مالم يقل بـه أحـد من قبل فقـال : « ثم الجيم والشين والياء ، ولها حيز واحد ، وهو وسط اللسان بينه وبين وسـط الحنـك وهي شجريـة ، والشجر مفرج الفم ، لأن مبـدأهـا من شجر الفم »[1] ، وهو خـلاف تحـديـد الخليل وتحديد مكي للشجرية ، ولم يذكرها الرضي في (شرح الشافية) ، ولا أبو حيـان في (المبدع) ، ولا ابن عقيل في (شرح التسهيل) ، أما ابن الجزري فقد تبع ابن يعيش في تحديده للأصوات الشجرية ، فهي عنده الجيم والشين والياء[2] .

أما المحدثون فهم لا يستعملون هذا المصطلح ، وهم في ذلـك كأكثر القـدمـاء ، وقـد ذكره الدكتور أنيس مفصلاً إياه قائلاً : « وكذلـك الشـأن في مصطلحهم (الشجريـة) الذي يتضمن أصوات وسـط الحنـك كالجيم الفصيحـة أو الجيم الشـاميـة الكثيرة التعطيش وكالشين ، ولا داعي إذن أن تنهج منهـج هـؤلاء الـدارسين حين يطلقـون عليهـا لفـظ (الغارية) ، لأن الغـار في الحقيقـة يشمل كل أجزاء الحنـك الأعلى »[3] ، كما ذكره آخر قائلاً : « أصوات وسط الحنك ، وهذه الأصوات هي : الشين والجيم واليـاء ... وبعضهم يسمي هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الشجريـة »[4] ، ويميل عـدد من المحـدثين[5] إلى استعمال لفظ آخر هو ماذكره الدكتور أنيس آنفاً وهو (الغـاري) والأصح كما أوضح هو مصطلح الشجري ، ولا سيما أن الغار يشمل كل منطقـة الحنـك الأعلى ، الغـاريـة : أي الشجرية وهو مصطلح حديث ينسب إلى الغار وهو الحنك الصلب[6] .

---

(١) شرح المفصل ١٠/١٢٤ .

(٢) النشر ١/٢٠٠ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٠٧ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢١ .

(٥) مناهج البحث في اللغة ١٢١ ، دراسة الصوت اللغوي ١٠٣ .

(٦) المصطلحات الألسنية في اللغة العربية ٢٤٨ .

الأسلية :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الأسل : نبات له أغصان كثيرة رقاق بلا ورق ... والأسل : الرماح على التشبيه به في اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه والواحد كالواحد . والأسل : النبل . والأسلة : شوكة النخلة وجمعها أسل .. وأسلة اللسان طرف شباته إلى مستدقه »[1] .

المعنى الاصطلاحي : هي صفة لأصوات ثلاثة ، وهي تنسب إلى مخرج هذه الأصوات وهو أسلة اللسان .

الأصوات الأسلية :وهي (الصاد والسين والزاي)[2] .

مصطلح الأسلية : من مصطلحات الخليل ذكره قائلاً : « والصاد والسين والزاي أسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان »[3] ، ولم يحدد الخليل أين يكون موضع الأسلة من الحنك الأعلى[4] ، ولكن سيبويه حدده بأنه من بين طرف اللسان فويق الثنايا[5] ، ولم يستعمل سيبويه هذا المصطلح ، بل سماها أصوات الصفير ، وكذلك فعل المبرد[6] .

أما ابن دريد فقد قال عن هذه الأصوات إنها : « حروف وسط اللسان مما هو منخفض »[7] وهو مخطئ في ذلك ، أما الزجاجي[8] فقد ذكر الأصوات وحدد مخرجها

---

(١) اللسان ١١/١٤ ، ١٥ .

(٢) العين ٦٥ .

(٣) العين ٦٥ .

(٤) الدراسات اللهجية ١٠٢ ، « أشار الدكتور إبراهيم أنيس أن هذا المصطلح عرف بعد سيبويه كما ذكر في موضع آخر أنه ينسب إلى الخليل » ، الأصوات اللغوية ١٠٨ ، ١١٠ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٦) المقتضب ١/١٩٣ .

(٧) جمهرة اللغة ١/٧ .

(٨) شرح جمل الزجاجي ٤٤٦ .

دون ذكر المصطلح كما أعاد الأزهري نص الخليل ، وقد ذكر السيرافي[1] هذه الأصوات في رده على اعتراض ثعلب على سيبويه في عدم إدغام هذه الأصوات في غيرها ، دون أن يذكر هذا المصطلح وإنما وصفها بالصفير ، ولم يذكره ابن جني في (سر الصناعة) وإنما ذكر مصطلح الصفير[2] ، أما مكي فقد ذكرهن قائلاً : « الحروف الأسلية وهي ثلاثة : الصاد والسين والزاي ، سماهن الخليل بذلك ، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه ، فلما كن يخرجن من طرف اللسان ، وطرف اللسان أسلته نسبهن إلى ذلك »[3] ، ولم يشع هذا المصطلح في كتب العلماء ، فلم يذكره الخفاجي في (سر الفصاحة) ، ولا ابن الطحان في (مخارج الحروف) ، ولا ابن الأنباري في (أسرار العربية) ، وقد ذكره الزمخشري في (المفصل)[4] ، وابن يعيش في (الشرح)[5] ، وابن الجزري في (النشر)[6] .

والخلاصة أن هذا المصطلح كغيره من المصطلحات التي تنسب إلى مواضع الحروف يقل استعمالها في كتب القدماء ، بل يندر ، وذلك لأن هذه المصطلحات لا علاقة لها بدرس الإدغام بشكل خاص .

أما المحدثون فهم أيضاً لا يستعملون هذا المصطلح ، وعلى الرغم من أن الدكتور أنيس لا يرى بأساً في استعماله إلا أنه اعترض عليه قائلاً : « لأننا حين تنسب الأصوات إلى أول اللسان أو طرفه نجد مجموعة كبيرة يقوم فيها هذا الجزء الهام من اللسان بدور هام في صدورها أو النطق بها . فليس الأمر مقصوراً على هذه الأصوات الثلاثة ، بل

---

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ٦٤ .
(٢) سر الصناعة ٨١٧/٢ .
(٣) الرعاية ١٤٠ .
(٤) المفصل ٣٩٦ .
(٥) شرح المفصل ١٣١/١٠ .
(٦) النشر ٢٠١/١ .

معها أيضاً التاء والدال والطاء واللام والراء والنون ، بل والظاء والذال والثاء »[1] ولعل قوله هذا كان له أثر في قلة استعماله لدى المحدثين ، أما المصطلح المستعمل بدلاً عنه هو مصطلح (اللثوي)[2] ، أو الأسناني اللثوي[3] .

النطعية : (الأسنانية اللثوية)

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « النطْع والنَطَع والنِطْع والنطْعة : ما ظهر من غار الفم الأعلى ، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الحليقاء فيها آثار كالتحزيز ، وهناك موقع اللسان في الحنك ، والجمع نُطُوع »[4] .

المعنى الاصطلاحي : صفة لأصوات ثلاثة ، وهي تنسب إلى مخرج هذه الأصوات وهي النطْع .

الأصوات النطعية : وهي (الطاء والتاء والدال)[5] .

مصطلح النطعية : من مصطلحات الخليل ذكره قائلاً : « والطاء والتاء والدال نطعية »[6] ، وقد جعل سيبويه هذه الأصوات في مخرج واحد حدده بأنه بين طرف اللسان وأصول الثنايا[7] ، ولم يذكر المبرد المصطلح في (المقتضب) ، ولا ابن دريد في (الجمهرة) ، ولا الزجاجي في (الجمل) ، أما الأزهري فقد أعاد نص الخليل[8] ، أما مكي

---

(١) الأصوات اللغوية ١٠٨ ، « في موضع آخر يقول إننا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسلية » ٧٤ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٠ .

(٣) مناهج البحث ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٤) اللسان ٢٥٧/٨ .

((٥) العين ٦٥ .

(٦) العين ٦٥ .

(٧) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٨) تهذيب اللغة ٤٨/١ .

فقد ذكر المصطلح قائلاً : « الحروف النطعية وهي ثلاثة : الطاء والدال والتاء ، سماهن الخليل بذلك ، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه ، فلما كن يخرجن من نطع الغار الأعلى ، وهو سقفه ، نسبن إليه »[1] ، ولم يذكر المصطلح الخفاجي في (سر الفصاحة) ، ولا ابن الطحان في (مخارج الحروف) ، ولا ابن الأنباري في (أسرار العربية) ، ولا الرازي في (نهاية الإيجاز) ، ولا السكاكي في (مفتاح العلوم) ، أما الزمخشري[2] فقد ذكره دون إضافة ، وكذلك ابن يعيش[3] ، ولم يذكره الرضي في (شرح الشافية) ، ولا أبو حيان في (المبدع) ، ولا ابن عقيل في (شرح التسهيل) ، أما ابن الجزري فقد ذكره قائلاً : « الطاء والدال والتاء ... ويقال لهذه الثلاثة النطعية ، لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى وهو سقفه » .

ويغلب على علماء العربية قلة استعمال هذا المصطلح للسبب نفسه الذي ذكرناه وهو عنايتهم بالصفات التي تتغير بفعل تجاوز الحروف بعضها من بعض وتأثيرها على بعض ولا سيما في الإدغام .

والمصطلح أيضاً يقل استعماله لدى المحدثين[4] ، فهم يرون « أن هذا المصطلح جانبه التوفيق ؛ لأن النطع ـ كما شرحته المعاجم وكما يفهم من كلام هؤلاء العلماء ـ هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا »[5] ، بينما طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا ، بل ومعظم الثنايا من الداخل ، فهي أصوات أسنانية لثوية[6] ، ويرون أن مصطلح النطعية يصح إطلاقه على صوت اللام والراء[7] ،

---

(١) الرعاية ١٤٠ .

(٢) المفصل ٢٩٦ .

(٣) شرح المفصل ١٠/١٢١ .

(٤) كلام العرب ١٩ .

(٥) الأصوات اللغوية ١٠٧ .

(٦) الأصوات اللغوية ١٠٧ .

(٧) الأصوات اللغوية ١٠٨ .

وهذان الصوتان عند القدماء ذلقيان ، ومصطلح أسناني لثوي هو الذي يكثر استعماله في كتب المحدثين[1] ، وعدم استعمال المحدثين لمصطلح النطع يعود كما ذكر الدكتور أنيس إلى عدم توفر الدقة في دلالة هذا المصطلح على مخرج هذه الأصوات .

اللثوية :

المعنى اللغوي : نسبة إلى اللثة ، جاء في اللسان : « اللثة : واللثة من اللثاة لحم على أصول الأسنان ، قال الأزهري : والذي عرفته اللثات جمع اللثة ، واللثة عند النحويين أصلها لثية من لثي الشيء يلثي إذا ندي وابتل .. أبو زيد : اللثة مراكز الأسنان ، وفي اللثة الدردر ، وهي مخارج الأسنان ، وفيها العمور ، وهو ما تصعد بين الأسنان من اللثة ... واللثة مغرز الأسنان »[2] .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة لعدد من الأصوات وتنسب إلى مخرج هذه الأصوات وهي اللثة .

الأصوات اللثوية : وهي : (س ، ص ، ز ، د ، ت ، ط ، ل ، ن ، ر)[3] .

مصطلح اللثوية : من مصطلحات الخليل وضعه لأصوات ثلاثة فقط قائلاً : « والظاء والذال والثاء لثوية ؛ لأن مبدأها من اللثة »[4] ، وقد حدد سيبويه مخرج هذه الأصوات بأنها : « مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا »[5] وهو الصحيح ، إذ لا شأن لطرف اللسان باللثة عند النطق بهذه الأصوات الثلاثة ، ولعل هذا هو الذي دعا بعض المحدثين إلى القول : « ولكن الذي لا يحتمل النزاع أو الشك أن نسبة هذه

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠١ ، ١٠٢ ، مناهج البحث ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) اللسان ٢٤٢/٢ .

(٣) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، مناهج البحث ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤) العين ٦٥ .

(٥) الكتاب ٤٣٣/٤ .

المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة ، وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدى في كلام سيبويه »[1] ، كما وصفها آخر قائلاً : « وفي هذه التسمية غرابة ظاهرة ... ولو أطلق هذا المصطلح على حروف الصفير ، لكان قولاً ، لأن اللثة تسهم في إخراجها . أو لو أطلق على حروف النطع ، لكان أجمل به وأمثل »[2] ، وقد ذكر هذا المصطلح مكي في (الرعاية)[3] دون إشارة إلى صحة مخرج الأصوات ناسباً التسمية إلى الخليل كما ذكرها الزمخشري في (المفصل)[4] ، وابن يعيش في (الشرح)[5] دون إشارة أيضاً ، وكذلك فعل ابن الجزري[6] ، أما ابن يعيش فقد ذكر وصف سيبويه لمخرج هذه الأصوات ، وذكر عبارة الخليل قائلاً : « وهي لثوية لأن مبدأها من اللثة »[7] ، وهو أمر يدعو إلى التساؤل والحيرة أن يجمع هؤلاء العلماء على هذه التسمية التي « لا دليل عليها من وصف علماء العربية »[8] لمخارج هذه الأصوات ، وقد رأى بعض المحدثين في هذه التسمية تجوزاً[9] ، إلا أن هذا الرأي يعترض عليه بأنه أولى بعلماء العربية استعمالها حقيقة ، بوصف أصوات أخرى هي لثوية على التحقيق .

والمحدثون يستعملون هذا المصطلح للدلالة على أصوات تسمة هي النطعية والأسلية والذلقية[10]، ويضيف بعضهم[11] إليها صوت (الشين) وهم يقسمون هذه

(١) الأصوات اللغوية ١١١ .

(٢) أصوات اللغة واقعها ومستقبلها ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٣) الرعاية ١٤٠ .

(٤) المفصل ٣٩٦ .

(٥) شرح المفصل ١٢٥/١٠ .

(٦) النشر ٢٠١/١ .

(٧) شرح المفصل ١٢٥/١٠ .

(٨) أصوات اللغة واقعها ومستقبلها ٢٧٢ .

(٩) فقه اللغة وخصائص العربية ٤٨ .

(١٠) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ومناهج البحث ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، وأصوات اللغة ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٣٠ .

الأصوات فيجعلون الذلقية لثوية خالصة عدا النون الذي هو لثوي أنفي ، والنطعية لثوية أسنانية ، وبعضهم يعدها لثوية خالصة والأسلية كذلك لثوية أسنانية ، وبعضهم يعدها لثوية خالصة ، وبعضهم يعد اللام والنون أسنانية لثوية أيضاً[1] .

الذّلقية :

المعنى اللغوي : وهي منسوبة إلى الذّلق ، جاء في اللسان : « أبو عمرو : الذلق حدّة الشيء ، وحد كل شيء ذلقه ، وذلق كل شيء حده .. وذلق السنان : حد طرفه ... وذلق اللسان ، بالكسر ، يذلق ذلقاً أي ذرب ... الذليق الفصيح اللسان .. والحروف الذلق : حروف طرف اللسان »[2] .

المعنى الاصطلاحي : هي صفة لعدد من الأصوات متقاربة المخارج يشيع استعمالها في الكلام العربي[3] .

الأصوات الذلقية : وهي (الراء واللام والنون والفاء والباء والميم)[4] .

مصطلح الذلقية : من مصطلحات الخليل جعله شاملاً لأصوات ستة وخص به ثلاثة منها قائلاً : « وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة ، ومنها ثلاثة ذلقية (ر ، ل ، ن) »[5] ، فالخليل وصف الأصوات الستة جميعها بالذلاقة ، ولذا فإن ابن دريد ذكرها قائلاً : « الحروف سبعة يجمعهن لقبان المصمته والمذلقة ، فالمذلقة ستة أحرف »[6] ، وقد حدد هذه الأحرف الستة في موضع آخر قائلاً : « ولها جنسان جنس

---

(١) المصادر السابقة نفسها .

(٢) اللسان ١٠/١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ١١٠ .

(٤) العين ٥٧ .

(٥) العين ٥٧ ، وينظر : البحث اللغوي عند العرب ٧٢ .

(٦) جمهرة اللغة ١/٦ .

الشفة وهي الفاء والميم والباء .ـ والجنس الثاني من المذلقة بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى »[1] ، وهذا كان أيضاً صنيع ابن جني[2] حين عد المذلقة ستة أصوات ، وهو بذلك لاحق بصاحب الجمهرة[3] ، وقد شاع استعمال هذا المصطلح في كتب العلماء[4] ، إلا أن بعضهم[5] عدها صفة لثلاثة أصوات فقط تابعاً الخليل في ذلك حين خصصها .

أما المحدثون فيقل استعمالهم لهذا المصطلح كثيراً في بحوثهم وهو أكثر استعمالاً في كتب التجويد قديماً وحديثاً[6] .

الإصمات :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « المصمت : الذي لا جوف له ... وباب مصمت ، وقفل مصمت : مبهم ، قد أبهم إغلاقه .. وثوب مصمت : لونه لون واحد ، لا يخالطه لون آخر ... وفرس مصمت ، وخيل مصمتات إذا لم يكن فيها شية ، وكانت بهماً ، وأدهم مصمت . لا يخالطه لون غير الدهمة »[7] .

المعنى الاصطلاحي : وهي الأصوات التي أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان[8] .

الأصوات المصمتة : وهي غير الأصوات الذلقية .

مصطلح الإصمات : من مصطلحات الخليل ، ذكره ابن دريد حين قسم الأصوات

---

(١) جمهرة اللغة ٧/١ .

(٢) سر الصناعة ٦٤/١ .

(٣) الرعاية ١٢٥ .

(٤) سر الفصاحة ٢١ ، المفصل ٣٩٦ ، أسرار العربية ٤٢٢ .

(٥) المفصل ٣٩٦ .

(٦) حق التلاوة ٩٤ ، فن التجويد ٦٨ ، أحكام تجويد القرآن ٧١ .

(٧) اللسان ٥٦/٢ .

(٨) جمهرة اللغة ٧/١ .

إلى قسمين هي المذلقة أو الذلقية والمصمتة[١] ، ولم ينسبه إلى الخليل ، وإنما ذكر رواية منقولة عن الأخفش في تفسير معنى المذلقة والمصمتة ، كما ذكره بعده ابن جني[٢] ، إلا أن صاحب (تهذيب اللغة)[٣] نسب التسمية إلى الخليل ، ولم يأت في معجم (العين) شيء من ذلك ، والذي ذكر في العين هو قوله : « الحروف الصتم »[٤] ، وقد فسر الجوهري[٥] الصتم بالأصوات غير الذلقية ، وهو ما يتضح من سياق العبارة ، وقد أوضح ابن الجزري الفرق بين التسميتين قائلاً : « الحروف الصتم وهي الحروف التي ليست من الحلق »[٦] . كما ذكرها صاحب (الرعاية) ناسباً التسمية إلى ابن دريد فقال : « الحروف المذلقة ، والحروف المصمتة ، فبهذين اللقبين لقّب ابن دريد الحروف كلها »[٧] ، ومما تقدم يتضح أن هذا المصطلح من وضع الخليل كما أوضح الأزهري ، وقد شاع هذا المصطلح فاستعمله ابن جني ومكي والخفاجي[٨] ، وابن الأنباري[٩] ، وابن منظور، وابن عقيل[١٠] ، وابن الجزري[١١] ، والسيوطي[١٢] وغيرهم .. وهذا المصطلح يندر في استعمال المحدثين ، إلا أنه مستعمل في كتب التجويد القديمة والحديثة[١٣] .

---

(١) جمهرة اللغة ٦/١ .

(٢) سر الصناعة ٦٤/١ .

(٣) تهذيب اللغة ٥٠/١ .

(٤) العين ٦٠ .

(٥) تهذيب اللغة ٥١/١ .

(٦) التمهيد ١٠٩ .

(٧) الرعاية ١٣٥ .

(٨) سر الفصاحة ٢١ .

(٩) أسرار العربية ٤٢٢ .

(١٠) المساعد ٢٤٩/٤ .

(١١) التمهيد ٢٤٩/٤ .

(١٢) همع الهوامع ٢٢٠/٢ .

(١٣) نهاية القول المفيد ٥٢ ، وأحكام تجويد القرآن ٧١ ، والإيضاح في شرح المفصل ٩٤ ، والبرهان في تجويد القرآن ٣١ ، وفن التجويد ٦٦ .

الشفوية :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الشفتان من الإنسان طبقا الفم ، الواحدة شفة ، منقوصة لام الفعل ولامها هاء ، والشفة أصلها شفهة لأن تصغيرها شفيهة ، والجمع شفاه ، بالهاء ... وزعم قوم أن الناقص من الشفة واو لأنه يقال في الجمع شفوات .. ولامه هاء عند جميع البصريين ، ولهذا قالوا الحروف الشفهية ولم يقولوا الشفوية »[(١)] .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة للأصوات التي يكون مخرجها من الشفتين .

الأصوات الشفوية : وهي (الباء والميم) ، وقد تضاف لها الواو[(٢)] .

مصطلح الشفوية :من مصطلحات الخليل ، وصف بها ثلاثة أصوات ، جاء في العين قوله : « الفاء والباء والميم شفوية ، وقال مرة شفهية »[(٣)] ، وقد أخرج سيبويه[(٤)] صوت الفاء منها وأدخل بدلاً عنه صوت الواو ، وعمل سيبويه هنا أصوب من عمل الخليل[(٥)] ، وقد ذهب هذا المذهب أكثر العلماء[(٦)] بعد سيبويه ، كما تبع الخليل قلة منهم ابن دريد[(٧)] ، والأزهري[(٨)] ، وابن فارس[(٩)] ، والرضي[(١٠)] ، وقد جمع بعضهم[(١١)] بين

---

(١) اللسان ٥٠٦/١٣ .

(٢) الأصوات اللغوية ٤٥ ، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

(٣) العين ٦٥ .

(٤) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٥ .

(٦) المقتضب ١٩٤/١ ، سر الصناعة ٤٨/١ ، الرعاية ١٤١ ، ١٤٢ ، سر الفصاحة ٢٠ ، المفصل ٣٩٤ ، مخارج الحروف ٨٢ ، أسرار العربية ٤٢١ ، نهاية الإيجاز ١١٩ ، مفتاح العلوم ١١٠ ، النشر ٢٠١/١ ، المساعد ٢٤٣/٤ ، همع الهوامع ٢٢٧/٢ .

(٧) جمهرة اللغة ٧/١ .

(٨) تهذيب اللغة ٤٨/١ .

(٩) الصاحبي في فقه اللغة ١٠٤ .

(١٠) شرح الشافية ٢٥٤/٣ .

(١١) المبدع في التصريف ٢٥٨ .

القولين فعد الأصوات أربعة الميم والباء والفاء والواو ، وقد تبع الزجاجي[1] أيضاً سيبويه في تقسيمه ، فعد صوتي الباء والميم شفويين ولم يلحق بهن صوت الفاء ، والمحدثون يؤيدون سيبويه في صوت الباء والميم إلاّ أنهم لا يرون صوت الواو شفوياً خالصاً إذ تجتمع في إنتاجه الشفتان والحنك الرخو ، فعمل سيبويه ليس خطأ لأن للشفتين دخلاً كبيراً في نطق هذا الصوت[2] ، أما صوت الفاء فهو شفوي أسناني ، وقد حدد مخرجه سيبويه بدقة .

الأسنانية :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « السن : واحدة الأسنان . ابن سيدة : السن الضرس ... وروي عن الفراء : السن الأكل الشديد ... وقال أبو عبيدة في الأسنة أنها جمع الأسنان ، والأسنان جمع السن ، وهو الأكل والرعي »[3] .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة لأصوات مخرجها بين الأسنان .

الأصوات الأسنانية : وهي ثلاثة أصوات (الذال والثاء والظاء)[4] .

مصطلح الأسنانية : من المصطلحات الحديثة ، استعملها المحدثون[5] مع مصطلح آخر هو بين الأسناني[6] ، للدلالة على الأصوات الثلاثة التي حددها سيبويه بقوله : « مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا »[7] ، وقد أطلق الخليل على هذه الأصوات

---

(١) شرح جمل الزجاجي ٤٤٦ .

(٢) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

(٣) اللسان ١٣/٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٤) مناهج البحث ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) مناهج البحث ١٢٦ ، ١٢٧ ، علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٦ .

(٦) علم اللغة ١٩٩ .

(٧) الكتاب ٤/٤٤٣ .

مصطلح اللثوية[1] ، وتابعه على ذلك عدد من النحاة[2] وعلماء التجويد[3] ، والمحدثون يطلقون مصطلح الأسنانية على مجموعة كبيرة من الأصوات منها أصوات ذلقية وأسلية ونطعية ولثوية ويقسمونها على النحو الآتي :

١ ـ **أسناني** : وهو للأصوات التي تنتج بوضع اللسان بين الأسنان ولذا يسمى أحياناً (بين أسناني) والأصوات الأسنانية هي الذال والثاء والظاء .

٢ ـ **أسناني لثوي** : وهو للأصوات التي يلتقي فيها طرف اللسان بالأسنان واللثة معاً ، وهي (التاء والدال والطاء والضاد واللام والنون)[4] و (الزاي والسين والصاد)[5] وبعض الباحثين[6] لا يدخل صوتي اللام والنون فيها لأنها لثويان خالصان يتمان بالتقاء طرف اللسان باللثة فقط .

٣ ـ **أسناني شفوي**[7] : وهذه الصفة لصوت واحد هو (الفاء) الذي يخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى[8] .

الجوفية :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الجوف : المطمئن من الأرض . وجوف الإنسان بطنه ،... ابن سيدة : الجوف باطن البطن ، والجوف ما انطبقت عليه الكتفان والعضدان والأضلاع والصقلان ، وجمعها أجواف »[9] .

---

(١) العين ٦٥ .

(٢) المفصل ٣٩٦ .

(٣) شرح المفصل ١٠/١٢٥ ، الرعاية ١٤٠ ، النشر ١/٢٠١ .

(٤) علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٩ .

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٤٦ ، الألسنية العربية ٤٦ ، دروس في علم أصوات العربية ٢٣ .

(٦) دراسة الصوت اللغوي ٢٧٠ .

(٧) أصوات اللغة ٢٠٠ .

(٨) الكتاب ٣/٤٣٣ .

(٩) اللسان ٩/٣٤ .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة لأصوات المد التي تنسب مخارجها إلى الجوف وتنتج بمرور الهواء دون حوائل مع اهتزاز الوترين الصوتين .

الأصوات الجوفية : الألف والواو والياء[1] .

مصطلح الجوفية : من مصطلحات الخليل خص به أصواتاً أربعة قائلاً : « وأربعة أحرف يقال لها : جوف ، الواو أجوف ، ومثله الياء والألف اللينة والهمزة »[2] ، وقد ذكر سبب التسمية قائلاً : « سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج من مدرجه ، وهي في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف »[3] إلا أن المصطلح استقر وشاع[4] صفة لأصوات المد فقط ، ولم يذكر سيبويه الجوف مخرجاً ، وإنما عد أصوات المد ذات مخارج أخرى[5] ، وقد تبعه في ذلك أكثر العلماء فعدوا المخارج ستة عشر مخرجاً باستثناء الجوف ، وقد ذكر مكي هذه الصفة لأصوات المد قائلاً : « سماهن الخليل بذلك ، لأنه نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف وزاد غيره[6] معهن الهمزة لأن مخرجها من أقصى الحلق وهو يتصل بالجوف »[7] ، ومكي يحدد في مواضع أخرى من الكتاب مخارج أصوات الألف والياء والواو كما هي عند سيبويه ، إلاّ أن ابن الجزري كان أكثر دقة حين حدد للجوف أصوات المد قائلاً : « للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور قبلها »[8] ، بينما الياء والواو مخرجها كما هما عند

---

(١) تهذيب اللغة ٤٨/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٨/١ .

(٣) تهذيب اللغة ٤٨/١ .

(٤) الرعاية ١٤٢ .

(٥) النشر ١٩٩/١ ، الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٦) جاء في معجم العين ٦٤ ، قوله : « أما الهمزة فسميت حرفاً هوائياً لأنها تخرج من الجوف » .

(٧) الرعاية ١٤٢ .

(٨) النشر ١٩٩/١ .

(٩) شرح المفصل ١٢٥/١٠ .

سيبويه ، أما ابن يعيش[٩] فقد ذكر الواو دون الألف والياء من أصوات الجوف ، ولما كان أكثر العلماء على عد المخارج ستة عشر مخرجاً وعدم عد الجوف مخرجاً ، فإن مصطلح الجوفية يندر[١] في كتبهم ، وكذلك المحدثون لا يستعملونه ، فهم يفضلون وصف هذه الأصوات بالحركات ، وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين قائلاً : « إن تقدير الخليل إذ اعتبر مخرجها الجوف كله قريب من اعتبار المحدثين إياه »[٢] ، فقد عد المحدثون أن مخرج هذه الأصوات الجوف مع تدخل اللسان والشفتين في إنتاجها[٣] .

الهوائية : وهي صفة الجوفية نفسها استعملها الخليل وصفاً للأصوات الأربعة الهمزة وأصوات المد « لأنها لا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف »[٤] ، واستعماله في كتب العلماء[٥] أقل من مصطلح الجوفية .

---

(١) نهاية القول المفيد ٣٢ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٨ .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) العين ٦٤ .

(٥) شرح الشافية ٢٥٤/٣ .

الفصل الثالث

النطقيات

تمهيد

النطقيات ـ الفونولوجيا :

هو علم حديث يدرس العلاقة التأثيرية بين الأصوات ، وتاريخه يعود إلى مطلع هذا القرن[1] ، إلا أن كثيراً من موضوعات هذا العلم درسها علماء العربية قديماً في مؤلفاتهم ضمن مواد نحوية أو لغوية ، أو في كتب التجويد ، مثل الإدغام والإعلال والإبدال والقلب وغيرها من الموضوعات .

هذا العلم من العلوم التي لم يتفق الباحثون في العربية اليوم على مصطلح له ، فهو ينقل مرة كما هو في اللغة الإنجليزية فيسمى (الفونولوجيا)[2] ، ويترجم مرة أخرى إلى تسميات عدة ، منها (التشكيل الصوتي)[3] و (علم وظائف الأصوات)[4] ، و (علم الأصوات التنظيمي)[5] ، و (علم الأصوات)[6] ، و (دراسة اللفظ الوظيفي)[7] ، و (علم النظم الصوتية)[8] ، وترجمات أخرى مدرجة في الترجمات السابقة مثل (علم الأصوات التشكيلي)[9] الذي هو تحوير للترجمة السابقة (التشكيل الصوتي) ، وكذلك

---

(١) الأصوات اللغوية ٤ ، مدخل إلى علم اللغة ٤٠ ، الوجيز في فقه اللغة ١٤ ، فنون التقعيد وعلوم الألسنية ١٤١ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة ٤٠ ، الألسنية العربية ٢١ ، الوجيز في فقه اللغة ١٤ .

(٣) مناهج البحث ٥٧ .

(٤) مقدمة لدراسة فقه اللغة١٢٢ ، ودروس في علم أصوات العربية ٢١٤ .

(٥) علم اللغة العام ـ الأصوات ٢٩ .

(٦) منهج البحث في الأدب واللغة ٩٤ .

(٧) المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب ١٠٥ .

(٨) المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب ١٠٥ .

(٩) المنهج الصوتي للبنية العربية ٢٤ .

(علم الأصوات الوظيفي)[1] الذي هو تحوير للترجمة (علم وظائف الأصوات) ، وقد ترجمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة : (النطقيات)[2] .

ومن الغريب ألا تشيع هذه اللفظة على الرغم من دقتها وارتباطها الوثيق بموضوعات هذا العلم ، وبالنظر إلى بقية الترجمات فإنها تبدو أكثر الترجمات دلالة على المعنى المراد بالمصطلح ، ولا سيما موضوعات هذا العلم كما عرفت لدى علماء العربية القدماء مبينة في هذا الفصل ، أما بالنظر إلى اللفظ الأجنبي (Phonology) فقد رأى بعض المحدثين أن : « ليس هناك صلة بين علم الفونولوجيا والنطق أبداً ، فالفونيمات التي يدرسها هذا العلم (في إطار المدرسة البنيوية مثلاً) لا تنطق بل هي أشياء تجريدية رمزية »[3] وليست هذه حجة تدفع هذه الترجمة ، فالكلمة الأجنبية مكونة من لفظين اثنين وهما (Phon) وهو صوت كلامي[4] ، و (Logy) وهو علم[5] ، ولهذه الترجمة ميزة الإفراد الذي يسهل معه الاستعمال ، وهو السبب الذي من أجله رأى الباحث[6] رد الترجمات الأخرى حيث تألفت من كلمتين فأكثر .

ونظراً لهذا الاضطراب الواضح في استعمال هذا المصطلح ، ولما كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اقترح هذه الترجمة ، وهي يسيرة جيدة كما اتضح ، فإنها جديرة بالاستعمال والشيوع ، وقد رأينا استعمالها من بين بقية الترجمات الأخرى على الرغم من عدم شيوعها ، وهي أخف من غيرها بالاستعمال .

---

(١) فقه اللغة في الكتب العربية ٢٠ .
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٥٥/١٨ .
(٣) المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب ١٠٧ .
(٤) المورد ٦٨١ .
(٥) المورد ٥٢٨ .
(٦) المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب ١٠٦ .

يبحث علم النطقيات الأصوات اللغوية في تجردها[1] ، وفي تركيبها الصرفي ، وفي تركيبها النحوي أحياناً ، حيث يبدأ بدراسة الوحدة الصوتية التي تعرف عالمياً باسم (الفونيم)[2] ـ وتترجم إلى أكثر من لفظ فهي (الصوتيم)[3] وهي (الصويته)[4] وهي (المصوت)[5] ـ وسلوكها في الكلام وتغير مواضعها بتغير الأصوات التي تسبقها والأصوات التي تليها ، ودراسة الظواهر التي تؤثر فيها كالتنغيم والنبر .

فعلم النطقيات يختلف عن علم الأصوات حيث يعنى هذا الأخير بدراسة الأصوات التي تجري في الكلام من حيث هي حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية[6] ، دون النظر إلى وظائفها وقيمها التي هي من موضوعات النطقيات ، فهذا الأخير لا يعدو أن يكون منهجاً لتنظيم مادة الفوناتيك (علم الأصوات) أو تقعيدها ، أو هو الفوناتيك نفسه أصبح وظيفياً وعملياً[7] .

وقبل البدء بدراسة موضوعات ومصطلحات علم النطقيات يحسن الوقوف عند مصطلحين اثنين حيث يلتبس معناهما بمعنى (الفونيم) أو الوحدة الصوتية ، وهذان المصطلحان هما الحرف والصوت فقد استعمل الباحثون العرب هذين المصطلحين للدلالة على معنى الفونيم أحياناً .

الصوت : والصوت ـ إطلاقاً ـ هو الجرس[8] ، وقد جاء في (رسالة ابن سينا)

---

(١) نقد كتاب المنهج الصوتي ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٣٩ ، ٢٣٦ .

(٣) دروس في الألسنية العامة ٨٥ ، والبنيوية وعلم الإشارة ٥ ، ٦ .

(٤) الكتابة الصوتية ١٥ ، والألسنية العربية ١٥ .

(٥) البنية الإيقاعية في الشعر العربي ٢٠٠ .

(٦) مناهج البحث ٦٥ ، ٦٦ .

(٧) علم اللغة العام ـ الأصوات ٤٩ .

(٨) اللسان ٦/٢٥ .

أسباب حدوث الحروف ـ قوله : « الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعه بقوة وبسرعة من أي سبب كان »[1] ، والسبب كما ذكر إما أن يكون تقريب جسم إلى جسم ، وهو ما أطلق عليه (القرع) ، وإما تبعيد جسم عن جسم وهو (القلع)[2] .

وكذلك عني إخوان الصفا : في رسائلهم بدراسة الصوت وأسبابه فالصوت عندهم : « قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها بعضاً »[3] .

والصوت عند علماء العربية هو أثر سمعي يصدر عن أعضاء النطق غير محدد بمعنى معين في ذاته أو في غيره ، إذ إن « ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت »[4] ، فالفرق بين الحرف والصوت هو أن الأول يشتمل على معنى وهو أنه وحدة بنائية في الكلام وفي اللغة ، يقول ابن جني : « الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً »[5] ، ومن هذين النصين يتضح أن معنى الصوت عند علماء العربية مرادف للمعنى الذي ورد في (اللسان) وهو الجرس ، وهو المعنى اللغوي للفظ ، وهذا ما وجد عند سيبويه[6] والمبرد[7] ، وكل العلماء الذين أتوا فيما بعد ، ولم تستعمل الكلمة في المعنى المعروف اليوم ، وإنما استعملها القدماء استعمالاً عاماً ، فالحرف صوت ، وليس كل صوت حرفاً ، ولذا نرى السيرافي يقول : « إن الراء فيها تكرير وهو صوت تختص به الراء »[8] ، وقد جاء في موضع آخر قوله : « حروف

---

(١) أسباب حدوث الحروف ٦ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٦ .

(٣) رسائل إخوان الصفا ٩٥/٣ .

(٤) الأشباه والنظائر ٧/٢ .

(٥) سر الصناعة ٦/١ .

(٦) الكتاب ٤٣٤/٤ .

(٧) المقتضب ١٩٤/١ .

(٨) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ٦٢ .

الصفير ... وأصواتها فاشية »[1] ، ويؤخذ من هذه العبارة أن الصوت غير الحرف ، وكأنه أراد بالحرف الرمز الكتابي كما هو معروف اليوم .

وقد حدد الفارابي الفرق بين الصوت والحرف حين قال : « ومن فصول الأصوات الفصول التي بها تصير الأصوات حروفاً »[2] ، وهذا يعني أن الصوت لفظ يطلق على كل مسموع وأن الإنسان يخرج أصواتاً من فيه تتحول إلى حروف ، فكلمة (الصوت) في كتب علماء العربية قديماً لم تكن دالة على الصوت اللغوي كما هو معروف الآن ، بل إن كتب المحدثين حتى يومنا هذا لم تصطلح على لفظ (الصوت) للدلالة على الصوت اللغوي ، بل تستعمل الحرف .

وقبل البدء بعرض مصطلحات النطقيات عند علماء العربية نعرض لمصطلحين اثنين هما : الحرف والحركة ، وهما اللذان يندرج تحتها مصطلحا الصامت والمصوت في الدراسات الحديثة .

الحرف :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الحرف في الأصل : الطرف والجانب ... حرفا الرأس : شقّاه ، وحرف السفينة والجبل : جانبها ، والجمع أحرف وحروف وحرفه »[3] .

المعنى الاصطلاحي : رمز كتابي للصوت اللغوي ، ولفظ يدل على الصوت اللغوي أيضاً ، مثل حرف الراء بمعنى صوت الراء ، وحرف الميم بمعنى صوت الميم وهكذا .

مصطلح الحرف : مصطلح عرف قديماً قبل الخليل وسيبويه ، فقد جاء في الرواية

---

(١) ماذكره الكوفيون من الإدغام ٦٦ .

(٢) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٢ .

(٣) اللسان ٩/٤١ ، ٤٢ .

التي نسبت وضع النحو لأبي الأسود الدؤلي قوله : « إذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطه .. »[(١)] ، وهو هنا يستعمل الحرف بمعنى الصّوت ، وهو ما جاء بالمعنى نفسه في معجم (العين) للخليل ، فقد ورد فيه : « فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة »[(٢)] ، وقد استعمل سيبويه المصطلح بالمعنى نفسه .

ومن المعروف أن استعمال الحرف بمعنى الصوت في العربية متلازم مع استعماله بمعنى الرمز الكتابي ، وقد جاء المعنيان في (كتاب) سيبويه ، أما الحرف بمعنى الصوت فقد استعمله في قوله : « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ، ومهموسها ومجهورها .. »[(٣)] ، وفي قوله : « وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع .. وهي النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، وألف التفخيم »[(٤)] ، وأما الحرف بمعنى الرمز الكتابي فقد استعمله في قوله : « وإنما وصفت لك حروف المعجم »[(٥)] .

وقد عد المستشرق الألماني شاده هذا مما يؤخذ[(٦)] على سيبويه ، وهو يعني استعمال سيبويه للحرف للدلالة على الصوت واستعمال الحرف للدلالة على الصوت شائع جداً في كتب علماء العربية[(٧)] ، وهو موافق لاستعمالهم له بمعنى الرمز الكتابي . والمحدثون[(٨)] يرون أن ذلك مما يؤخذ على القدماء .

---

(١) الفهرست ٤٥ .

(٢) العين ٥٣ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣١ .

(٤) الكتاب ٤/٤٣٢ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٦ .

(٦) الأصوات اللغوية ١١١ .

(٧) المقتضب ١/١٩٢ ـ ٢٠٠ ، جمهرة اللغة ١/٨ ، شرح جمل الزجاجي ٤٤٧ ، ماذكره الكوفيون من الإدغام ٥٩ .

(٨) اللغة العربية معناها ومبناها ٥٧ .

فالحرف إذن مصطلح لدى علماء العربية للرمز الكتابي والصوت اللغوي ، ونظراً لأن اللغات جميعها لا تنطبق كتابتها على لفظها[(١)] ، بسبب التغير المستمر في أصوات هذه اللغات ، فإن (الحرف) في العربية هو رمز كتابي للصوت ، فإذا استعمل في معنى الصوت فإن السبب يعود إلى عدم التفريق بين الرمز الكتابي واللفظ أو الصوت ، وهو ما تشترك فيه جميع اللغات قديماً وحديثاً ، عدا أن الدرس اللغوي الحديث بسبب من تطور الدراسات الصوتية في العصر الحديث يفرق بين الرمز والصوت ، أي بين الحرف والصوت .

وقد فسر القدماء مصطلح الحرف بقولهم : « الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه »[(٢)] ، وهي إشارة إلى المعنى اللغوي للكلمة ، وقولهم : « سميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواح كحروف الشيء وجهاته »[(٣)] ، كما استعمل الحرف بمعنى الكلمة ، وهو استعمال مجازي ، كما عرف ابن يعيش الحرف بقوله : « الحرف إنما هو صوت مقروع من مخرج معلوم »[(٤)] ، وهو تعريف صحيح باتفاق معنى الحرف والصوت لديه ولدى القدماء .

والمسألة التي تستحق الإشارة هي أن علماء العربية أطلقوا مصطلح الحرف بمعنى الصوت على جميع الأصوات الصامتة والمصوتة الطويلة وهي (الألف وواو المد وياء المد) ، دون عد الأصوات المصّوته القصيرة معها بل أطلق عليها مصطلح الحركات على الرغم من تسليمهم بأن هذه القصيرة هي أبعاض تلك الطويلة . فقد ذكر ابن جني قوله : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو »[(٥)] .

---

(١) علم اللغة ٥٨ ، دراسات في علم اللغة ٤٦ .

(٢) سر الصناعة ١٤/١ .

(٣) سر الفصاحة ٢٢ .

(٤) شرح المفصل ١٢٤/١٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٥٤/١ .

(٥) سر الصناعة ١٧/١ .

والمحدثون في الدراسات الصوتية يخصون مصطلح الحرف بمعنى الرمز الكتابي ، وهو رمز الكلام الملفوظ الذي هو الصوت[1] ، ويصف بعض المحدثين الحروف بأنها : « حيل أو وسائل كتابية تستخدم لتمثيل النطق وتصويره »[2] ، ولعله لجأ إلى هذا الوصف لإيضاح البعد بين الرمز والصوت ، فقيمة الرموز أو الحروف إذن ليست قيمة ذاتية طبيعية بل هي مستمدة من الاتفاق العرفي[3] ، إذ إن الكتابة ليست من جوهر اللغة ، فاللغة أقدم من الكتابة ، والكتابة عرض واللغة مجموعة أصوات لغوية ، والكتابة رموز لهذه الأصوات[4] ، وهذا هو الفرق بين الحرف والصوت .

ومصطلح الحرف لدى علماء العربية قديماً هو ما يدل على الصوت اللغوي ، ولما كانوا قد خصصوا للأصوات المصوتة مصطلحاً هو الحركات ، فإن الحرف لديهم يدل على ما يسمى حديثاً الصوت الصامت .

وقد فضل بعض المحدثين[5] استعمال مصطلح علماء التجويد ، وهو مصطلح (الجامد) مقابلاً لمصطلح (الذائب) الذي يدل على الأصوات المصوتة .

أما الاستعمال الشائع لدى المحدثين فهو تسمية هذا المصطلح بمصطلحات أخرى غير (الحرف) فقد رأوا أن مصطلح (الحرف) تسمية غير صحيحة لما تقدم ذكره ، إلا أنهم لم يتفقوا على مصطلح واحد ، ولعل مصطلح (الصامت) أكثرها شيوعاً[6] ، إلا أن آخرين[7] فضلوا مصطلح (الساكن) والتسمية موضوعة بإيحاء من مصطلح الحركات المعروف قديماً .

---

(١) علم اللغة ٥٨ .

(٢) دراسات في علم اللغة ٧٦ .

(٣) اللغة العربية عبر القرون ٢ .

(٤) نظريات في اللغة ٥٣ .

(٥) الدراسات الصوتية ٥٧٨ .

(٦) علم اللغة العام ـ الأصوات ٧٣ ، والمنهج الصوتي في البنية العربية ٢٦ ، والألسنية العربية ٣٧ .

(٧) الأصوات اللغوية ٢٦ ، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة ٢٢ .

وإذا كان مصطلح الحرف أطلق على المصوتات الطويلة أيضاً ، فإن ابن سينا[1] في رسالته استعمل مصطلحاً هو الشائع اليوم في الدراسات الصوتية وهو مصطلح (الصامت) للدلالة على الأصوات غير المصوتة ولذلك فإن هذا الاستعمال يكتسب ميزتين ، استعماله الشائع اليوم وأصوله التي تمتد إلى الدراسات الصوتية العربية الأولى .

الحركة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الحركة : ضد السكون ، حرك يحرك حركة وحركاً ، وحركه فتحرك »[2] .

المعنى الاصطلاحي : هي صوت مصوت قصير مثل الفتحة أو الضمة أو الكسرة أو طويل مثل الألف ، وواو المد وياء المد .

مصطلح الحركة : عرف مصطلح الحركة قديماً قبل سيبويه ، فقد ورد في النص الذي يذكر وضع أبي الأسود للنحو قوله : « إذ رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه ، فإن ضممت فمي ، فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف »[3] ، وعلى الرغم من أن هذا النص لا يذكر مصطلح الحركة إلا أنه يشير إليها إشارة واضحة بذكره للضمة والكسرة والفتحة ، كما جاء في (العين) قوله : « قد تجيء أسماء لفظها على حرفين وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف ، مثل يد وفم ودم . وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن وخلفها السكون »[4] ، وهذا النص يشير إشارة صريحة إلى وجود مصطلح الحركة ، إلاّ أن هذا المصطلح ذكر بلفظ آخر هو

---

(١) أسباب حدوث الحروف ١٢ .

(٢) اللسان ١٠/٤١٠ .

(٣) الفهرست ٤٠ .

(٤) العين ٥٦ .

الإعراب فقد جاء قوله : « الإعراب الضمة والكسرة ... ألا ترى أنك تقول : رأيت يدك ، وهذه يدك ، وعجبت من يدك ، فتعرب الدال »[1] .

ومصطلح الحركة يتضح عند سيبويه وضوحاً تاماً فهو يستعمل الحركة للصوت القصير كقوله : « أحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين »[2] ، وقوله : « ما كانت عدته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة ، استثقالاً للمتحركات مع هذه العدة ولا بد من ساكن »[3] كما يستعمل السكون بمعنى انعدام الحركة .

وقد شاع هذا المصطلح في كتب علماء[4] العربية بهذا المعنى ، الذي ورد عند سيبويه ، إلاّ أنهم جعلوا الحركة بعد الأصوات الصامتة في الأهمية فرأى الخليل أنها : « زوائدوهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به »[5] ، ووصفها ابن جني بقوله : « الأصوات الناقصة حركات »[6] ، وقد عني القدماء كثيراً برتبة الحركة قبل الحرف أم بعده .

والمسألة التي وقف القدماء دون أن يصلوا فيها إلى حل هي أصوات المد ، حيث لم تحسب من الحركات ، وإن رأوا صلتها الوثيقة بها ، بل إن ابن جني أعلن قائلاً : « إن الحركات أبعاض حروف المد واللين »[7] ، إلا أن ذلك لم يكن أكثر من رأي نافذ بصير لم يعترف به علمياً من أتوا بعده كما دللت على ذلك مؤلفات العلماء حتى يومنا هذا ، فقد بقيت أصوات المد أصواتاً صامتة توصف بالسكون وهو تناقض كبير .

---

(١) العين ٥٧ .

(٢) الكتاب ٤٣٧/٤ .

(٣) الكتاب ٤٣٧/٤ .

(٤) الخصائص ٣٢١/٢ ، وشرح جمل الزجاجي ٩٢ .

(٥) الكتاب ٤٤١/٤ ، ٤٤٢ .

(٦) سر الصناعة ٢٦/١ .

(٧) سر الصناعة ١٧/١ .

وكما أوضح ابن جني في النص السابق فهمة الشامل للحركات ، فإن الفارابي تجاوزه حين قسم أصوات العربية إلى قسمين قائلاً : « الحروف منها مصوت ومنها غير مصوت ، والمصوتات منها قصيرة ، ومنها طويلة ، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات »[1] ، والفارابي هنا يجعل الحركات من فصيلة الحروف ، ولما كان معنى الحرف عند علماء العربية ـ كما أسلف القول ـ يعني الصوت ، فهو يعد أول من أدرك إدراكاً واعياً القيمة الصوتية للحركات ، ولما كان مصطلح الحركة مصطلحاً قلقاً حيث توصف الصوامت بأنها متحركة ، كما توصف الحركات بأنها ساكنة ، فقد فضل استعمال مصطلح آخر وهو (الصوت) .

وقد استعمل علماء التجويد[2] مصطلحاً هو (الذائب) مقابلاً للأصوات غير المصوتة التي سموها الأصوات الجامدة ، وهي تسمية لم تشع كثيراً ، إلا أن من[3] علماء التجويد من استعمل مصطلح الفارابي (الصوت) .

أما المحدثون فهم مختلفون في استعمال المصطلح ، فقد أبقى بعضهم[4] على هذا المصطلح ليدل على الأصوات المصوتة ، بينما مال أكثر[5] الباحثين المحدثين إلى استعمال مصطلح الصوائت بينما استعمل بعضهم[6] مصطلح (أصوات اللين) وبعضهم[7] (أصوات العلة) .

---

(١) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٢ .

(٢) الدراسات الصوتية ٥٧٨ .

(٣) الموضح ٩٧ .

(٤) مدخل إلى علم اللغة ٤٣ ، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ٧٣ .

(٥) علم اللغة ١٦٣ ، والتطور اللغوي مظاهره وعلله ١١ ، واللغة ٤٧ ، ومنهج البحث في الأدب واللغة ٩٦ ، واللغة والنقد الأدبي ٧٩ .

(٦) الأصوات اللغوية ٣٦ ، ودراسات في لهجات شرقي الجزيرة ٢٢ .

(٧) مناهج البحث ١١٩ .

ولعل الرجوع إلى استعمال لفظ (مصوت) الذي استعمله المبرد والفارابي وابن سينا[1] أصوب ، إذ إنه أولاً رجوع إلى الأصل في استعمال مصطلح استعمل قديماً بالمعنى نفسه المعروف اليوم ، وثانياً أن مصطلح مصوت أقوى في الدلالة من المصطلح الشائع الصائت (فالصائت) من حيث صيغته يعني المتصف بالتصويت في ذاته ، أما المصوت فيعني من هذه الوجهة ذلك أولاً ، كما يعني أنه يمنح التصويت لغيره[2] وهذا سبب كاف للتمسك بهذا المصطلح الذي عرف قديماً .

الوحدة الصوتية[3] (الفونيم) :

وهو مصطلح حديث ، يطلق على أصغر وحدة صوتية لها وظيفة في بناء الكلمة ، وقد شهدت الاختلافات الكثيرة التي نشأت بصدد هذا المصطلح تعريفاً واستعمالاً على بقائه متصدراً أكثر القضايا اللغوية في العصر الحديث ، حتى إن علم النطقيات يحبذ بعض علماء الغرب وضع اسم له هو (علم الفونيات)[4] .

والاختلافات الكثيرة جداً بصدد هذا المصطلح جاءت من النظرة الموحدة إلى جميع الأصوات في كل اللغات ، ولذلك فقد جاءت تعريفاته غامضة ومتناقضة أيضاً ، مثل تعريف تروبتسكوي للفونيم بقوله : « الصورة العقلية للصوت »[5] ، وتعريف دانيال جونز : « أسرة من الأصوات ـ في لغة معينة ـ متشابهة الخصائص ـ مستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة ، في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر »[6] .

---

(١) أسباب حدوث الحروف ١٢ .

(٢) العربية الفصحى ٢٠ .

(٣) مدخل إلى علم اللغة ٤٠ ، وفي صوتيات العربية ١٧٥ .

(٤) أسس علم اللغة ٤٨ .

(٥) دراسة الصوت اللغوي ١٤٧ .

(٦) دراسة الصوت اللغوي ١٤٩ .

وتعريف مدرسة لننجراد للفونيمات بأنها : « النماذج الصوتية التي لها قدرة على تمييز الكلمات وأشكالها »[1] أو « الأنماط الصوتية المستقلة التي تميز الحدث الكلامي المعين من غيره من الأحداث الأخرى »[2] ، وغيرها من التعريفات ، ولعل أنسب التعريفات للغة العربية ، هو تعريف ترنكا بأنه : « كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي »[3] ، وكذلك التعريف القائل : « أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني »[4] .

هذا المصطلح ، مصطلح غربي انتقل من اللغات الأخرى ، ولكن لأهميته في دراسة النطقيات ، فقد فضل وضعه ضمن مصطلحات هذا الفصل ومباحثه ، ولما كان مصطلح الصوت الذي عرف في الدراسات العربية قديماً باسم الحرف لا يفي بمقتضيات الدرس الصوتي ، سواء بهذه التسمية أو تلك ، فقد كان لزاماً علي استعمال هذا المصطلح في حدود ضيقة تفي بالدرس .

فالوحدة الصوتية (الفونيم) غير الصوت ، فالأصوات في العربية الفصحى أكثر من الوحدات الصوتية ، بمعنى أن الحروف التسعة والعشرين صوتاً التي ذكرها سيبويه[5] كلها وحدات صوتية وكذلك الحركات ، فالوحدة الصوتية هي أساس في بناء الكلمة ، ينجم عن تغيير أحدها تغيير في المعنى ، ولذلك فإن الأصوات الستة التي أضافها سيبويه وهي الأصوات المستحسنة ، وكذلك السبعة غير المستحسنة ليست وحدات صوتية أو (فونيمات) ، وقد سماها بالفروع وهي تقابل التسمية الأوربية (ألوفونات) أو (صويتيات)[6] حيث إن (الألوفون) يترجم (صويتي) وهي ترجمة أستاذنا الدكتور

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٥٢ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي ١٥١ .

(٤) دراسة الصوت اللغوي ١٥١ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٢ .

(٦) الكتابة الصوتية ١٥ .

التميمي ، فالنون وهو وحدة صوتية له نطق آخر فرع له أو تنوع أو (صويتي) وهو النون الخفيفة ، وكذلك الهمزة لها صويتي وهو الهمزة التي بين بين ، وكذلك الألف والشين والصاد ، لها فروع من الأصوات الستة المستحسنة .

فالوحدات الصوتية التسعة والعشرون صوتاً مضافاً إليها الحركات القصيرة الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة) والحركتان الطويلتان الواو والياء اللتان تشتركان مع صوتي اللين في الرمز الكتابي . ويكون عددها أربعاً وثلاثين وحدة صوتية أو (فونيما) فقط .

فإذا تأثر صوت ما بسبب من وضعه في الكلمة فاكتسب صفة غير صفته ، كأن تتحول الباء المجهورة إلى باء مهموسة في الكلمة دون أن يتأثر المعنى فإن هذا الصوت لا يكون وحدة صوتية وإنما تنوعاً صوتياً أو (ألوفونا) ، مثل كلمة (كبت) فالباء هنا مهموسة بسبب من موضعها بين صوتين مهموسين ، وهي تنوع للباء أما كلمتا (كتب وكاتب) فإن الحركة هي الفارق بين الكلمتين ، وهي السبب في تغير المعنى بين الكلمتين ، ولذلك فإن الحركة هنا وحدة صوتية أو فونيم)[1] . أما التفخيم فيكون وحدة صوتية في العربية الفصحى في أصوات أربعة فقط وهي أصوات الإطباق الأربعة ، أما الراء واللام فالتفخيم فيهما تنوع وليس وحدة صوتية . يقول دانيال جونز : « أنا أعتبر صوت (S) الذي يشبه ؟ عضواً في فونيم الـ (S) »[2] . فمعرفة الوحدة الصوتية يكون بأن يجرب الصوتان بأن يوضع كل منهما مكان الآخر في كلمة ما ، مع الاحتفاظ بباقي حروفها ، فإذا حدث ووجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان ، وإذا لم يحدث أي اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيير فهما الفونان لفونيم واحد[3] .

تعريب الفونيم : عنى علماء العربية المحدثون بإيجاد لفظ عربي ، لمصطلح الفونيم ،

---

(١) علم اللغة ٢١٥ ، وأسرار العربية ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٧٤ .

(٣) أسس علم اللغة ٨٩ ، ٩٠ .

ولما كان هذا المصطلح من أكثر المصطلحات استعمالاً في الدرس الصوتي عامة ، فإن الحاجة إلى توحيد تعريبه أكبر من الحاجة إلى تعريب غيره من المصطلحات ، إلاّ أن كثيراً[1] من الباحثين المحدثين آثروا إبقاء المصطلح على حالة من اللفظ الأجنبي (فونيم) .

وقد عرب المصطلح إلى صيغ كثيرة لم يكتب لواحدة منها الشيوع والانتشار وهو ما شجع بقاء اللفظ الأجنبي ، فقد عربه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بقوله : « الصوت اللغوي »[2] وعربه مترجمو[3] كتاب دي سوسير بـ (الصوتم) وعربه النعيمي[4] بـ (الصويته) ، وعربه كال أبو ديب[5] بـ (المصوت) وعربه الخناش[6] بـ (صوته) . وعربه آخر[7] بـ (الوحدة الصوتية) .

هذه المعربات المتعددة لم يستقر واحد منها مصطلحاً مقابلاً للفونيم ، ولعل السبب غموض معنى الفونيم ، وشيوع اللفظ في اللغات الأخرى ، وهو ما يجعل استعماله في العربية سائراً .

مصطلحات الفصل الثالث

الإبدال :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « أبدل الشيء من الشيء وبدله : اتخذه منه بدلاً . وأبدلت الشيء بغيره ، وبدله الله من الخوف أمنا ، وتبديل الشيء : تغييره ، وإن لم تأت ببدل ، واستبدل الشيء بغيره وتبدله به إذا أخذه مكانه ، والمبادلة

(١) مناهج البحث ١٥٧ ، دراسة الصوت اللغوي ١٣٩ ، علم اللغة العام-الأصوات ١٥٥ ، علم اللغة العام ٥٦ ، نظريات في اللغة ٨ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٥٥/١٨ .

(٣) دروس في الألسنية العامة ٨٥ .

(٤) الكتابة الصوتية ١٥ .

(٥) البنية الإيقاعية في الشعر العربي ٢٠٠ .

(٦) البنيوية ١٠٤ .

(٧) فصول في علم اللغة العام ٧٧ .

التبادل ، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حالة والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر »[1] .

المعنى الاصطلاحي : هو جعل صوت مكان صوت غيره[2] ، في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى[3] .

أصوات الإبدال : وهي اثنا عشر صوتاً : يجمعها هجاء قولك : طال يوم أنجدته[4] على رأي مكي ، تنقص قليلاً عند جماعة[5] وتزيد عند أخرى[6] وتبلغ اثنين وعشرين عند ابن مالك[7] .

مصطلح الإبدال : من مصطلحات الخليل ، فهو أول من أشار إليه ، ومثل له[8] كا ذكره سيبويه أثناء حديثه عن الأصوات التي يبدل منها غيرها كحديثه عن الهمزة قائلاً : « اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء ، التحقيق والتخفيف والبدل »[9] ، وقد رأى علماء العربية في الإبدال ظاهرة لغوية شائعة فمنوا بها وألفوا عنها المؤلفات ، ولعل أكثر المؤلفات شهرة كتاب (الإبدال) لابن السكيت الذي يعرف أيضاً بالقلب والإبدال وكتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي .

والإبدال ظاهرة لغوية ، لم يتفق علماء العربية القدامى على عدها ظاهرة صوتية

---

(١) اللسان ٤٨/١١ .

(٢) شرح الشافية ١٩٧/٣ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ٦٦ .

(٤) الرعاية ١٢٢ .

(٥) الكتاب ٢٣٧/٤ ، والمقتضب ٦١/١ ، واللسان ١٧٦/١ .

(٦) المفصل ٣٦٠ ، والمناهل الصافية ٢٩٧/٢ .

(٧) من أسرار اللغة ٧٢ .

(٨) الدراسات اللغوية عند العرب ٤٠٨ .

(٩) الكتاب ٥٤١/٣ .

كما هو الحال لدى المحدثين ، إذ لم يروا اشتراطاً أن يكون الصوتان المبدلان على قرب من المخرج ، إلا أن منهم من رأى ذلك .

والإبدال عند علماء العربية هو أن تتفق الكلمتان في المعنى وفي جميع الأصوات عدا صوت واحد له موضع الترتيب نفسه في الكلمتين مثل (آجم وآجن)[1] اللتين تختلفان في صوت الميم والنون وكذلك (أصيلان وأصيلال)[2] ، وهما تختلفان في النون واللام ، والملاحظ أن صوتي النون والميم يشتركان في الصفة وكذلك اللام والنون يشتركان في المخرج ، والغالب على الإبدال أن يكون بين صوتين مشتركين في المخرج أو في الصفة .

أما تعليل الظاهرة ، فقد ورد عن الخليل قوله : « الذُّعاق كالزُّعاق سمعنا ذلك من بعضهم ، وما ندري ألغة أم لثغة »[3] ، أما قوله لغة فهو تفسير لا يستشف منه اشتراط قرب المخرج ، فلربما جاءت الكلمتان متفقتين في جميع الأصوات عدا صوت واحد ، دون أن يكون بينهما إبدالاً ، مثل صوتي التاء والباء في قول الشاعر :

صفقة ذي ذعالت سمول بيع امرئ ليس بمستقيل[4]

بل إن عبارة ابن جني تعقيباً على هذا البيت تدلل على أن معنى لغة هو عدم وجود إبدال الصوتين ، وهذا ما يستنتج من عبارة الخليل ، أما قوله لثغة ، فاللثغة كما ذكر صاحب اللسان هي : « أن تعدل الحرف إلى حرف غيره »[5] ، فهي إذن تغير صوتي ، والإبدال الذي وجد في العربية : إما بين أصوات متقاربة المخارج ، وهي تدخل في تفسير الخليل بأنها لثغة ، أو متباعدة المخارج وهي (اللغة) ، وهذا القول هو الذي

---

(١) كتاب الإبدال ٧٨ .
(٢) كتاب الإبدال ٦٤ .
(٣) المزهر في علوم اللغة ٥٥٦/١ .
(٤) سر الصناعة ١٥٧/١ .
(٥) اللسان ٤٤٨/٨ .

اعتمده ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي ، حين اشترطا تقارب المخارج أو اتفاق الصفة بين الصوتين المبدلين ، ولذا فإن الرأي الذي عرف عنهما أصله عند الخليل .

ويعد ابن جني في كتابه (سر الصناعة) أول عالم عربي استعمل نظرية المخارج في تعليل ظاهرة الإبدال ، حين اشترط أن يكون الصوتان المبدلان قريبين أو متفقين في المخرج ، وقد درس الإبدال عند ابن جني الدكتور النعيمي في كتاب (الدراسات اللهجية)(١) . وقد رد ابن جني الأمثلة التي لم تتفق مع شرطه هذا ، كرده الإبدال بين صوتي الحاء والثاء(٢) .

والخليل في عبارته السابقة التي بدا أنه يرى الإبدال قد يكون سببه لثغة أو انحرافاً بالنطق من صوت إلى آخر ، ذكر أنه لم يشترط تقارب المخارج في الإبدال حين رأى إبدالاً بين صوتين متباعدي المخارج(٣) ، في قوله تعالى : ﴿ فجاسُوا خلال الديار ﴾ [الإسراء : ٥/١٧] ، إلا أن ابن فارس رد ذلك قائلاً : « وما أحسب الخليل قال هذا ، وما أحققه عنه »(٤) ، وقول ابن فارس يدل على أنه يؤيد الرأي القائل بقرب المخرج في الإبدال ، إلا أن الأصمعي لم يجد قرب المخرج شرطاً(٥) ، وكذلك الكسائي وابن السكيت وابن الأعرابي(٦) .

والإبدال مصطلح صوتي ، وهو أدخل في مباحث التطور الصوتي منه في مباحث التعامل الصوتي ، إلا أن علاقته بالجانب التعاملي يمكن أن تكون ذات صلة بمنشئه ، فلعل الأسباب الداعية إلى انحراف نطق المتكلمين بصوت ما إلى صوت آخر ، هو تأثير

---

(١) الدراسات اللهجية ٩٧ ـ ١٦٩ .
(٢) سر الصناعة ١/١٨٠ .
(٣) الصاحبي في فقه اللغة ٢٠٤ .
(٤) الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٤ .
(٥) الدراسات اللغوية عند العرب ٤٠٨ .
(٦) الدراسات اللغوية عند العرب ٤٠٨ .

هذا الصوت بالأصوات الأخرى التي تليه أو تسبقه فيتحول إلى الصوت النظير المجهور أو النظير القريب من المخرج وهكذا .

وقد درس الدكتور إبراهيم أنيس الإبدال ، ورأى أن الإبدال نتيجة التطور الصوتي[1] ، كما أنه رأى الكلمة الشائعة في الاستعمال هي الأصل ، والأخرى هي التي حدث فيها التغيير[2] ، ورأى أيضاً أن الاختلاف الطفيف في المعنى مع صعوبة الربط الصوتي يدل على أن الكلمتين تنتميان إلى أصلين مختلفين ، كما رأى أن الإبدال تصحيف[3] .

الإجهار :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « أجهر الرجل جاء ببنين ذوي جهارة وهم الحسنو القدود الحسنو المنظر ، وأجهر : جاء بابن أحول ، أبو عمر : الأجهر الحسن المنظر ، الحسن الجسم التامة ، والأجهر الذي لا يبصر في النهار »[4] .

المعنى الاصطلاحي : والإجهار هو طروء صفة الجهر للصوت المهموس[5] .

مصطلح الإجهار : من المصطلحات الطارئة حديثاً ، وقد عني بهذه الظاهرة علماء التجويد في تحذيرهم من تأثر بعض الأصوات بصفات غيرها ، فقد سماه مكي المخالطة في حديثه عن صوت (الصاد) قائلاً : « وإذا سكنت الصاد وأتت بعدها دال ، وجبت المحافظة على تصفية لفظ الصاد لئلا يخالطها لفظ الزاي »[6] ، إلا أن مصطلح

---

(١) من أسرار اللغة ٧٥ .

(٢) من أسرار اللغة ٧٩ .

(٣) من أسرار اللغة ٨٤ .

(٤) اللسان ١٥١/٤ .

(٥) من قضايا اللغة والنحو ٢٧٣ ، ومناهج البحث ١٨٢ .

(٦) الرعاية ٢١٨ .

المخالطة عند مكي مرادف لمصطلح الإشراب[1] ، كما سماه الداني الإشمام قائلاً : « وذلك مذهب الجماعة ما خلا حمزة والكسائي فإنهما يلفظان بالصاد مشمومة زاياً »[2] ، والإشمام مصطلح معروف ذكره في موضع آخر من الكتاب[3] .

أما القرطبي فقد استعمل مصطلحاً انفرد به كما ذكر الدكتور قدوري[4] ، وهو (الشائبة) قائلاً : « فأما حسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب له »[5] ، وقد تحدث عن صفة الإجهاز في قوله : « فالدال تجذب الصاد إليها »[6] والدال ، مجهورة فحين تجذب الصاد إليها تكتسب الصاد صفة الجهر فتنطق مثل الزاي .

وقد كان حديث علماء التجويد عن تأثر الأصوات بصفات غيرها عاماً لكل حالات التأثر لا لصفة الإجهار وحدها .

أما المحدثون[7] فيستعملون الإجهار ، وهو الأصوب ، إلا أن بعض[8] المحدثين يستعمل الجهر في معنى الإجهار ، والفرق كبير بين المعنيين ، أما استعمال لفظ التجهير فهو صحيح أيضاً إذ إن الثلاثي المزيد فعل وأفعل[9] كليهما يؤديان معنى اكتساب الصفة ، إلا أن الإجهار أخف في الاستعمال .

---

(١) الرعاية ١٣٠ .

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد ١٤٩ .

(٣) التحديد في الإتقان والتجويد ١٧١ .

(٤) الدراسات الصوتية ٤٠٢ .

(٥) الموضح ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٦) الموضح ١٨٠ .

(٧) من قضايا اللغة والنحو ٢٧٢ ، ومناهج البحث ١٨٣ .

(٨) محاضرات في اللغة ١١٨ .

(٩) أوزان الفعل ومعانيها ٥٧ ، ٨١ .

الاختلاس :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « خلست الشيء واختلسته وتخلسته إذا استلبته . والتخالس : التسالب . والاختلاس كالخلس ، وقيل الاختلاس أوحى من الخلس وأخص ،... والخلس : الأخذ في نهزة ومخاتلة »[(١)] .

المعنى الاصطلاحي : وهو عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت ، وهي كاملة في الوزن[(٢)] .

مصطلح الاختلاس : من مصطلحات سيبويه ذكره في « باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي »[(٣)] ، فالصوت إما أن يكون متبوعاً بحركته كما هي ، أو بحركته مع مطّها ، وهو الإشباع أو بالإسراع في الحركة حتى تكاد أن تذهب وهو الاختلاس ، ولا يكون الاختلاس في النصب « لأن الفتح أخف عليهم »[(٤)] ، والاختلاس لا يعني انعدام الحركة ، وإنما هو خفوتها فهو يشبه الرّوم إلا أن الرّوم يكون في الوقف والاختلاس في درج الكلام وفي الوقف[(٥)] ، « فالمخفى بزنة المحقق إلا أنك تختلس »[(٦)] ، وقد وصف ابن جني الاختلاس بالحركة الضعيفة[(٧)] ، وهو وصف دقيق إلى حد بعيد ، وقد عدّ هذه الحركة الضعيفة كالحركة التامة إذ إنها « كغيرها من سائر المتحركات في ميزان العروض الذي هو حاكم وعيار على الساكن والمتحرك »[(٨)] ، وكما وصف ابن جني الاختلاس بالحركة الضعيفة ، أطلق عليها أيضاً الإخفاء[(٩)] .

---

(١) اللسان ٦/٦٥ .

(٢) التمهيد ٧٢ .

(٣) الكتاب ٤/٢٠٢ .

(٤) الكتاب ٤/٢٠٢ .

(٥) المقتضب ١/٢٤٢ .

(٦) المقتضب ١/٢٤٢ .

(٧) سر الصناعة ١/٥٦ .

(٨) سر الصناعة ١/٥٦ .

(٩) سر الصناعة ٥٧ .

وقد عني علماء التجويد بهذا المصطلح فذكره الداني في (التحديد) قائلاً : « إن الناطق يسرع اللفظ به إسراعاً يظن السامع أن حركته قد ذهبت »[1] ، وهي باقية ولكن خفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها[2] .

أما القرطبي في (الموضح) فقد فصل الحديث في الاختلاس في الباب الثالث ، وهو في الكلام على الحركات والسكون[3] ، قائلاً : « فإذا سمعت حضّ أئمة القراءة وأصحاب الأداء على اختلاس الحركة في موضع ما فإن ذلك لأن الحركة تظهر على ذلك الحرف ، وفي ذلك المكان ، وينطاع بها اللسان أكثر من انطياعه بها على حرف آخر[4] ، فالاختلاس يكون بسبب حذر من الوقوع في إشباع غير لازم ، وقد ذكرها ابن الجزري في (التمهيد)[5] أيضاً .

وقد استقر مصطلح الاختلاس في كتب التجويد بهذا المعنى ، وهو المعنى نفسه الذي ذكره سيبويه له .

الإخفاء :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « أخفيت الشيء أي سترته ، ولقيته خفياً أي سراً ... الخفاء : الكساء وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء ، وفي الحديث : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » ، هو المعتزل على الناس الذي يخفي عليهم مكانه »[6] .

المعنى الاصطلاحي : هو حالة من حالات النون الساكنة والتنوين حين يكون بعدهما أحد أصوات الفم البعيدة المخرج .

---

(١) التحديد ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) التحديد ٩٨ .

(٣) الموضح ١٩١ .

(٤) الموضح ١٩٢ .

(٥) التمهيد ٧٣ .

(٦) اللسان ١٤/٢٢٥ ، ٢٢٦ .

أصوات الإخفاء : (القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، السين ، الصاد ، الزاي ، الضاد ، الدال ، التاء ، الطاء ، الذال ، الثاء ، الظاء ، الفاء)[1] .

مصطلح الإخفاء : من مصطلحات سيبويه ذكره حين تحدث عن إدغام النون قائلاً : « وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً »[2] ، وهو يعني أصوات الإخفاء المذكورة ، والإخفاء صفة للنون حين تدغم في هذه الأصوات .

وهذا المصطلح ظل متداولاً بالمعنى نفسه في كتب العلماء[3] بعد سيبويه ، والمعروف أن النون الساكنة لها حالات أربع ، إما أن تكون مدغمة ، أو مظهره ، أو مقلوبة إلى صوت الميم ، أو مخفية (تسمع غنتها فقط) ويكون ذلك بحسب قرب مخارج الأصوات من مخرجها ، فالأصوات بعيدة المخرج تظهر معها ، والأصوات قريبة المخرج تدغم فيها ، أما أصوات الإخفاء فتكون وسطاً بين الإدغام والظهور ، وهي الحالة التي تبقى معها بقية من النون وهي الغنة .

الإدغام (الإدغام الأكبر) :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها إذا غشيها وقهرها . والدغم : كسر الأنف إلى باطنه هشماً .. والدغمة والدغم من ألوان الخيل : أن يضرب وجهه وجحافله إلى السواد مخالفاً للون سائر جسده ... والدغماء من النعاج التي اسودت نخرتها ، وهي الأرنبة ، وحكتها وهي الذقن ... وقالوا في المثل : الذئب أدغم ، لأن الذئب ولغ أو لم يلغ فالدغمه لازمة له »[4] .

---

(١) الأصوات اللغوية ٧١ .

(٢) الكتاب ٤/٤٥٤ .

(٣) المقتضب ١/٢١٦ ، الرعاية ٢٤٠ ، الموضح ١٥٧ ، المفصل ٤٠٠ ، الممتع ٢/٧٠٠ ، المساعد ٤/٢٧٥ .

(٤) اللسان ١٢/٢٠٢ ، ٢٠٣ .

المعنى الاصطلاحي : هو أن يتماثل صوتان في الكلام بحسب وضعهما أو بتأثير أحدهما على الآخر فيتماثل معه ، فتعتمد لهما في اللسان اعتمادة واحدة[1] .

مصطلح الإدغام : من مصطلحات الخليل ذكره قائلاً : « اعلم أن الراء في (اقشعرّ واسبكرّ) هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى والتشديد علامة الإدغام »[2] ، وقد فصل سيبويه في الإدغام تفصيلاً ، والإدغام عنده في الصوتين يكون بأن يدخل الأول في الآخر ، والآخر على حالة ، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد نحو : قد تركتك ، ويكون الآخر على حالة[3] ، فالإدغام عنده إما أن يكون لصوتين متماثلين يدغم الأول في الثاني أو متقاربين في المخرج أو الصفة ، وقد تناول الإدغام في جميع الأصوات واستدرك عليه المبرد[4] إدغام العين والحاء في الغين والخاء قائلاً : « ولم يذكر ذلك سيبويه ، ولكنه مستقيم في اللغة ، معروف جائز في القياس »[5] .

وقد ذكر السيرافي في (رسالته) ماذكره الكوفيون من الإدغام ، آراء للفراء والكسائي يخالفان فيها سيبويه وقد رد هذه الآراء جميعاً .

وقد قسم سيبويه الإدغام إلى قسمين بحسب نوع الأصوات .

الأول سماه إدغام المتماثلين[6] ويكون بين صوتين هما صوت واحد مكرر مثل شدّ ومدّ .

والثاني سماه ، إدغام المتقاربين وهو يكون بين الأصوات المشتركة في المخرج أو

---

(١) المقتضب ١/١٩٧ .

(٢) العين ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) الكتاب ٤/١٠٤ .

(٤) المقتضب ١/٢٠٨ .

(٥) المقتضب ١/٢٠٨ .

(٦) الكتاب ٤/٤٣٧ .

المتقاربة في الخارج كما قسم الإدغام بحسب وجود الصوتين في كلمة واحدة ، أو في كلمتين منفصلتين إلى إدغام منفصل وإدغام متصل[1] .

المنفصل والمتصل : وقد قسم سيبويه الإدغام إلى قسمين رئيسين هما ، الإدغام في كلمة واحدة ، والثاني الإدغام في كلمتين ، أما الأول فلم يفصل فيه ، وأما الثاني فقد فصل فيه تفصيلاً وعليه قام فصل الإدغام في الكتاب .

إدغام المتماثلين : فالإدغام في الصوتين المنفصلين يكون إما بين متماثلين أو متقاربين في المخرج ، فأما المتماثلان ، أي اللذان هما صوت واحد ، فقد لاحظ عليهما ملاحظات هي :

١ ـ أحسن ما يكون الإدغام فيهما أن تتوالى خمسة أصوات متحركة بهما فصاعداً[2] .

٢ ـ يكون الإدغام حسناً بأن يكونا متحركين وقبل الأول صوت مد[3] .

٣ ـ لا يصح الإدغام إذا كان قبل الأول صوت متبوع بالسكون[4] .

٤ ـ إذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فإن واحدة منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها[5] .

٥ ـ الهمزتان ليس فيهما إدغام[6] ، أما الذين يحققونهما يدغمونهما في بعض ولكنه رديء كما ذكر سيبويه .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٧ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٧ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٧ .

(٤) الكتاب ٤/٤٣٨ .

(٥) الكتاب ٤/٤٤٢ .

(٦) الكتاب ٤/٤٤٣ .

هذه الملاحظات حتى تكتمل صورتها يجدر أن نذكر معها قواعد أخرى صاغها أثناء حديثه وهي تسد بعض الثغرات التي ربما بدت في هذه الملاحظات وهي :

١ ـ أصوات الحلق ليست أصلاً للإدغام[١] .

٢ ـ ما كان أقرب إلى الفم كان أقوى على الإدغام[٢] .

٣ ـ الصوت الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن سيبويه ذكر إدغام الجيم في الشين ، ولم يذكر الجيم حين يكون مدغماً فيها أصوات أخرى ، وكذلك فعل المبرد[٤] ، في حين أن الأصوات النطقية والأسنانية تدغم كلها في الجيم[٥] .

إدغام المتقاربين : أما المتقاربان ، اللذان من مخرج واحد ، فلا يكون بينهما إدغام إلا بأن يقلب الأول إلى صوت الثاني ، ولما كان بعض الأصوات يمتاز بميزات عن غيره تمنعه من الذوبان فيه ، فقد رأى سيبويه أن الأصوات تدغم في غيرها على النحو الآتي :

١ ـ أصوات لا تدغم ولا يدغم غيرها فيها[٦] : وهي الهمزة والألف والياء والواو .

أصوات يدغم غيرها فيها فقط[٧] : وهي : م ، و ، ف ، ش ، ض

٣ ـ أصوات تدغم في غيرها فقط[٨] : وهي ج ، ن ، ل ، ويستثنى إدغام (ن) في (ل) .

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٠ .

(٢) الكتاب ٤/٤٤٩ .

(٣) الكتاب ٤/٤٤٩ .

(٤) المقتضب ١/٢١١ .

(٥) الممتع ٢/٦٨٧ .

(٦) الكتاب ٤/٤٤٦ .

(٧) الكتاب ٤/٤٤٧ .

(٨) الكتاب ٤/٤٥٢ ، ٤٥٣ .

٤ ـ أصوات تدغم في غيرها ويدغم غيرها فيها : وهي على النحو الآتي :

أ ـ الحلقية تدغم في الحلقية[١] عدا (ح) لا تدغم في (ع) ولا في (هـ) .

ب ـ اللهوية تدغم في اللهوية [٢] .

ج ـ النطعية[٣] تدغم في (النطعية) و (الأسنانية) و (الصفيرية) وكذلك ض ، ش .

د ـ الصفيرية[٤] تدغم في الصفيرية .

هـ ـ الأسنانية[٥] تدغم في « الأسنانية » و « النطعية » و « الصفيرية » وأيضاً ض ، ش .

و ـ اللام الشمسية تدغم في النطعية والصفيرية والأسنانية وأيضاً ض ، ش ، ن ، ر[٦] .

مااستدرك على سيبويه : هذه القواعد لها بعض الاستثناءات التي تشذ عنها من ذلك إدغام الهمزة عند من يحققونها[٧] . وإدغام الراء في اللام على قراءة أبي عمرو[٨] وإدغام الضاد في الطاء ، وهي لغة شاذة[٩] .

---

(١) الكتاب ٤٥١/٤ ، « ذكر الداني إدغام الحاء في العين » التيسير ٢٣ .
(٢) الكتاب ٤٥٢/٤ .
(٣) الكتاب ٤٦٠/٤ .
(٤) الكتاب ٤٦١/٤ .
(٥) الكتاب ٤٦٢/٤ .
(٦) الكتاب ٤٥٧/٤ .
(٧) المقتضب ١٩٨/١ .
(٨) سر الصناعة ١٩٣/١ .
(٩) سر الصناعة ٢١٤/١ .

وقد فصل المبرد في الإدغام ، فذكر إدغام المثلين أولاً[1] ، ولما كان سيبويه[2] قد بحث في هذا الكلام شاملاً فيه الأسماء والأفعال والحروف فقد خص المبرد الفعل ببحث خاص هو (إدغام المثلين في الفعل)[3] إلا أن القواعد التي ذكرها في إدغام المثلين في الفعل لم تختلف عن القواعد التي ذكرها سيبويه في إدغام الكلام اسماً وفعلاً وحرفاً ، ولذلك قال المبرد في ختام حديثه : « كل ما كان من هذه الأفعال كأسمائها مدغمة مثلها »[4] ثم تحدث عن الإدغام في المقاربة [5] ، وقد استدرك فيه على سيبويه إدغام الحاء والعين في الخاء والغين .

جهود آخرين : وقد خطا ابن جني خطوة في دراسة تأثير الأصوات بعضها في بعض حين قسم التأثير ، على نوعين ، وهما الإدغام الأكبر والإدغام الأصغر ، جاعلاً الأول للظاهرة التي يذوب فيها أحد الصوتين في الآخر والثاني للظاهرة التي يحدث فيها تأثير بين صوتين ويصل حد الإدغام والذوبان [6] .

التشديد : أما مكي والقرطبي فيستعملان لفظ « التشديد »[7] بدلاً من الإدغام ، بل يعدان الإدغام مرحلة قبل التشديد حيث يدغم الصوت في غيره فينشأ عن ذلك التشديد ، يقول مكي : « ومنه ما أصله حرفان منفصلان في الوزن ، وإنما يشدد للإدغام ، نحو (ميت) و (هين) و (لين) و (سيد) ، وشبهه وهو كثير أيضاً ، ومن هذا الأصل ما هو من كلمتين وقع أيضاً فيه التشديد لأجل الإدغام نحو « بل ران »

---

(١) المقتضب ١٩٧/١ .
(٢) الكتاب ٤٣٧/٤ ، ٤٤٥ .
(٣) المقتضب ١٩٨/١ .
(٤) المقتضب ٢٠٧/١ .
(٥) المقتضب ٢٠٧/١ .
(٦) الخصائص ١٤١/٢ .
(٧) الرعاية ٢٤٥ ، وينظر : الموضح ١٢٩ .

و « من لدنه »[1] ، وهما في هذا تابعان للخليل حيث يقول : « والتشديد علامة الإدغام »[2] . إلا أن الجديد في الأمر هو أن مكياً فرق بين التشديد بسبب الإدغام والتشديد أصلاً في الكلمة ، وهو يستعمل مصطلح الإدغام في حديثه عن القراءات[3] ، وكذلك الداني[4] .

التام والناقص : وقد لاحظ المرعشي أن الإدغام بين صوتين يكون بذوبان الأول في الثاني ذوباناً لا يبقي له أثراً ، فسماه إدغاماً تاماً ، وذوبانٍ يترك أثراً من غنّة أو إطباق أو استعلاء فسمى الإدغام إدغاماً ناقصاً[5] .

الكبير والصغير : وقد ذكر مكي في (التبصرة) والداني في (التيسير) تقسيماً للإدغام إلى كبير وصغير ، ويتضح المعنى في قولها ، فقد ذكر مكي قوله : « وإذا كانا مثلين من كلمتين ، والأول متحرك ، فكلهم أظهروا إلا ما جاء عن أبي عمرو في الإدغام الكبير »[6] .

كما ذكر الداني باباً سماه « باب ذكر مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير »[7] فالإدغام الكبير هو ما كان الأول فيه متحركاً والصغير ما كان ساكناً ، « وسمي كبيراً لكثرة وقوعه »[8] ، وهذا التقسيم أكثر التقسيمات شيوعاً في المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع [9] .

---

(١) الرعاية ٢٤٦ .

(٢) العين ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) التبصرة ١٠٩ .

(٤) التيسير ٤١ .

(٥) الدراسات الصوتية ٣٩٥ .

(٦) التبصرة ١١٠ ، والأصوات اللغوية ١٩٠ .

(٧) التيسير ١٩ .

(٨) النشر ٢٧٤/١ .

(٩) النشر ٢٧٤/١ ، ونهاية القول المفيد ١٠٤ ، والسبعة في القراءات ١١٦ .

الإدغام بغنة : وهو أن تدغم النون الساكنة أو التنوين في النون أو الميم أو في الواو أو الياء ، فتبقى الغنة ، وسبب ظهورها في الواو والياء كونهما صوتي لين فلا بد من إبقاء الغنة دليلاً على إدغام النون .

الإدغام الأصغر : وهو ما ليس إدغاماً ، ولكنه « تقريب الحرف ، من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام »[1] ، أي أنه مصطلح أطلق على كافة أنواع التأثيرات بين الأصوات عدا ما شاع في العربية باسم الإدغام وهو ما عينه ابن جني بعنوان الإدغام الأكبر ، وعدا المخالفة .

واضع هذا المصطلح هو ابن جني ، فحين رأى أن الظواهر الصوتية التي تقع تحت هذا العنوان هي قريبة الصلة مما عرف بالإدغام في كتب المتقدمين فقد أطلق على هذه الظاهرة مصطلح الإدغام الأصغر ، ولولا سبق الأول واشتهاره في كتب العلماء لكان الأجدر أن يكون الإدغام الأصغر هو الأكبر لاتساع موضوعاته وتعددها ، ولعله نظر إلى مقدار التأثير الذي يلحق الأصوات ، وهو في الإدغام الأكبر يصل حد الذوبان .

وقد أحصى الظواهر التي تقع تحت هذا الباب ، منها الإمالة[2] ، ووقوع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاءاً أو ظاءاً[3] ووقوع فاء افتعل زاياً أو دالاً أو ذالاً[4] ، ووقوع السين قبل الحرف المستعلي[5] ، وتقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق[6] وغيره .

---

(١) الخصائص ٢/١٤١ .

(٢) الخصائص ٢/١٤١ .

(٣) الخصائص ٢/١٤١ .

(٤) الخصائص ٢/١٤١ .

(٥) الخصائص ٢/١٤٢ .

(٦) الخصائص ٢/١٤٣ .

وقد عرفت هذه الظواهر عند الخليل وسيبويه ، ومن تقدم ابن جني فقد « تحدث الخليل وسيبويه عما يسمى بالانسجام الصوتي[١] وذكر سيبويه أن ذلك أخف على الناس « ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة [٢] فاختاروا الخفة إذا لم يكن لبس »[٣] . وإذا كانت هذه الظواهر قد ذكرت في كتب المتقدمين فإن ابن جني له فضل إيجاد الصلة بينها وجمعها في مصطلح واحد ، وقد رأى أن « المعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت »[٤] ولما كانت الدراسة الصوتية في كتب علماء العربية لم تستثمر كثيراً عند المتأخرين فقد بقيت التسمية دون شيوع .

فالإدغام الأصغر هو انسجام بين صوتين ، يكون في كلمة واحدة أو في كلمتين اثنتين ، وهو يحدث في الكلام كثيراً ، لأن الإنسان في كلامه يميل إلى التخفف ، ولذا تنحو الأصوات المتقاربة في المخرج أو في الصفة إلى التوحد في صفة واحدة أو في مخرج واحد يميل أحدها إلى الآخر ، وعادة يكون التأثير من الأقوى على الأضعف ، والإدغام الأصغر هو ما يعرف بالمماثلة أو ظاهرة المناسبة الصوتية[٥] .

ولما كان الإدغام الأصغر هو تقريب صوت من صوت ، فإن ذلك يكون بتأثير الصوت المتقدم في الكلام في المتأخر ، بتأثير الصوت المتأخر في المتقدم ، ويسمى التأثير الأول تأثيراً تقدمياً ، والثاني تأثيراً رجعياً .

تأثير تقدمي : وهو أن يتجاور في الكلام صورتان مختلفان ، فيتغير الصوت الثاني ليتقارب في الصفة مع الصوت الأول ، فيكون التأثير من المتقدم على المتأخر فيسمى تأثيراً تقدمياً ، وتأثيراً رجعياً[٦] .

---

(١) البحث اللغوي عند العرب ٨٣ .

(٢) الكتاب ٤/٤٥٤ .

(٣) الكتاب ٤/٤٥٤ .

(٤) الخصائص ٢/١٤٠ .

(٥) اللغة والنقد الأدبي ١٩ .

(٦) المصطلحات الألسنية في اللغة العربية ٢٥٥ .

وهذه الظاهرة قليلة الشيوع في العربية إذا قورنت بالظاهرة الأخرى التي يكون التأثير فيها رجعياً ، وقد ذكر سيبويه في باب « ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات »[١] ، قوله « فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء في مصطبر والدال في مزدجر »[٢] فهذا الإبدال بفعل تقريب صوت التاء في الأولى (مصتبر) إلى صوت الصاد ، ولذلك قلبت إلى نظيرها المطبق (الطاء) وكذلك في (مزتجر) حيث قلبت التاء إلى نظيرها المجهور (الدال) .

وقد ذكره ابن جني في (الخصائص) مفصلاً بقوله : « ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء ، فتقلب لها تاؤه طاء ، وذلك نحو اصطبر ، واضطرب ، واطرد ، واظطلم فهذا تقريب من غير إدغام ، فأما اطرد فمن ذا الباب أيضاً ، ولكن إدغامه ورد هاهنا التقاطاً لا قصداً وذلك أن فاءه طاء[٣] .

ومن ذلك أن تقع فاء « افتعل » زاياً أو دالاً أو ذالاً ، فتقلب تاؤه لها دالاً ، كقولهم : ازدان ، وادعى (واذكر واذدكر) فيما حكاه أبو عمرو ، ومن ذلك أيضاً ما ذكر ابن جني التقريب في جملة « الحمد لله » ، حيث غيرت الكسرة في اللام إلى الضمة لتناسب الضمة على صوت الدال ، وليس منه « الحمد لله » بالكسر .

وقد أطلق المستشرق الألماني برجشتراسر[٤] على هذه الظاهرة اسم « التشابه المقبل » ، كما سمى التأثير الرجعي ، « تشابهاً مدبراً » ، إلا أن الشائع اليوم تسميتها بالتأثير التقدمي[٥] .

---

(١) الكتاب ٤٧٩/١ .

(٢) الكتاب ٤٨٠/١ .

(٣) الخصائص ١٤١/٢ .

(٤) التطور النحوي ٢٩ .

(٥) دراسة الصوت اللغوي ٣٢٥ .

ومن التأثير التقدمي أيضاً إدغام الحاء في العين كما ذكر سيبويه في مثل « امدح عرفه » تصير « امد حعرفه »[1] .

تأثير رجعي : وهو أن يؤثر الصوت الثاني في الصوت الأول ، فيكون التأثير رجعياً ، وقد ذكر ابن جني مثالاً لهذه الظاهرة هو « قولهم في سقت : صقت وفي السوق : الصوق ، وفي سبقت : صبقت ، وفي سملق وسويق : صملق وصويق ، وفي سالخ وساخط صالخ وصاخط ، وفي سقر : صقر ، وفي مساليخ : مصاليخ »[2] .

والتأثير الرجعي من أكثر ظواهر التأثيرات بين الأصوات شيوعاً في العربية ، وهو أوضح ما يكون في الإدغام الأكبر .

والإدغام الأصغر عني به اللغويون ، ولم يعن النحويون إلا بالإدغام الأكبر ، فقد كان « اللغويون يجعلون الإدغام شاملاً لقلب الصوت إلى نظيره لإدخاله فيه ، على حين يقصره النحويون على مجرد النطق بمثلين ساكن فتحرك ، فعملية القلب منفصلة عن عملية الإدغام عندهم[3] إلا أن « تصور سيبويه للإدغام كان أوسع من تصور متأخري النحاة »[4] .

الإشراب :

المعنى اللغوي : الإشراب المخالطة جاء في اللسان : « الإشراب لون قد أشرب من لون ، يقال : أشرب الأبيض حمرة ، أي علاه ذلك ، وفيه شربة من حمرة أي أشرب ... الإشراب : خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقي اللون الآخر ، يقال : بياض مشرب حمرة مخففاً ، وإذا شدد كان للتكثير والمبالغة[5] .

---

(1) الكتاب ٤٥١/٤ .

(2) الخصائص ١٤٣/٢ .

(3) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٢٣ .

(4) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٢٣ .

(5) اللسان ٤٩١/١ .

المعنى الاصطلاحي : هو أن يختلط صوت بصوت آخر فينجم صوت مزيج من صوتين[1] .

الأصوات المشربة : وهي : « الهمزة التي بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي ، وألف التفخيم »[2] .

مصطلح الإشراب : من مصطلحات سيبويه استعمله في معنى آخر ، الأرجح أنه مرادف للجهر[3] ، حيث قال : « واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ... وهي حروف القلقلة ... ومن المشربة حروف ... وهي الزاي والظاء والذال والضاد .. وأما الحروف المهموسة ... ومنها حروف مشربة .. اللام والنون .. وكذلك الميم .. وكذلك العين والغين والهمزة »[4] وقد استعمله المبرد قائلاً : « النون المتحركة مشربة غنة » وهو المعنى الذي استعمله علماء التجويد فيما بعد ، ولم يذكر هذا المصطلح ابن دريد في (الجمهرة) ولا الزجاجي في (الجمل) ولا الأزهري في (التهذيب) ، وقد أعاد ابن جني عبارة سيبويه إلا أنه استثنى الهمزة والعين ، والغين ، واللام ، والنون والميم[5] ولكن صنعه هذا يوحي بأنه فهم الإشراب بأنه إتباع الصوت بنبرة أو نفخ ، وهو ما ينطبق على أصوات القلقلة ، وعلى الأصوات (الزاي والظاء والذال والضاد والراء)[6] . ولم يذكر صوت الراء . وأول من نجد لديه هذا الاستعمال هو مكي في (الرعاية) ، حيث يقول : « الحروف المشربة ويقال لها : المخالطة ـ بكسر اللام وفتحها ـ وهي الحروف الستة التي ذكرنا أن العرب اتسمت فيها فزادتها على التسعة والعشرين » وهو يعني الأصوات

---

(١) الرعاية ١٣٠ .

(٢) الرعاية ١٣٠ .

(٣) الكتاب ١٧٤/٤ ، كذلك : في التطور اللغوي ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٤) الكتاب ١٧٥/٤ .

(٥) الكتاب ١٧٤/٤ ، كذلك : سر الصناعة ٦٣/١ .

(٦) الكتاب ٤/ ١٧٤ ، ١٧٥ .

المستحسنة التي يصير بها عدد الأصوات خمسة وثلاثين صوتاً ، ولم يشر مكي إلى المعنى الذي استعمله سيبويه وابن جني لهذا المصطلح ، وهو يباين تماماً استعماله .

أما ابن عصفور[1] فقد رأى الإشراب صفة للأصوات التي يخرج عند الوقف عليها نحو النفخ ، وهي عنده الزاي والفاء والذال والضاد والراء ، ولم يعد أصوات القلقلة منها وهو بذلك يخالف من سبقوه وقد ذهب الرضي[2] مذهب مكي في الإشراب وكذلك ابن الجزري[3] ويمكن القول : إن معنى الإشراب مر بمراحل المرحلة الأولى التي تمثلت لدى سيبويه واضع المصطلح وهو بمعنى الجهر ثم مرحلة تمثلت عند ابن جني ثم ابن عصفور في استعمالهم له بمعنى مخالطة الصوت نبرة أو نفخ ثم المرحلة الثالثة وهي التي استقر فيها المصطلح على معنى الأصوات المركبة من صوتين اثنين كما وجد عند مكي .

الإشمام :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « شامت فلاناً إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف ، وهي مفاعلة من الشمّ .. وشامت العدو إذا دنوت منهم حتى يروك وتراهم ، والشّم : الدنو ، اسم منه »[4] .

المعنى الاصطلاحي : هو حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المرفوعة وهي أن تقف على الصوت دون إتباعه حركة الضم ، وإنما تضم شفتيك فقط[5] ، أو هو الإشارة إلى حركة الرفع من غير تصويت[6] .

مصطلح الإشمام : من مصطلحات سيبويه ذكره في حديثه عن « الوقف في آخر

---

(١) الممتع ٦٧٥/٢ ، ٦٧٦ .
(٢) شرح المفصل ٢٥٦/٣ .
(٣) التمهيد ١٠٥ .
(٤) اللسان ٣٢٦/١٢ .
(٥) الكتاب ١٦٨/٤ .
(٦) النشر ١٢١/٢ .

الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف »[1] ، ولما كان الإشمام هو حركة ضم الشفتين في حالة الوقف على الكلمة المرفوعة إعراباً ، فإن الإشمام لا يكون في النصب ولا في الجر[2] .

والإشمام ليس صوتاً ، إلا أنه حالة من حالات الشفتين في الوقف ، والشفتان عضوان بارزان من أعضاء الجهاز الصوتي ، كما أن هذه الحالة هي حالة صوتية ، وهي حالة انتهاء الصوت .

وقد شاع هذا المصطلح ، ذكره علماء اللغة والنحو[3] في مباحثهم الصوتية وعني به علماء التجويد[4] عناية خاصة .

والإشمام هو إشارة إلى أن الصوت في الأصل متحرك بالرفع إلا أن واقع الحال لا يفيد حركة ، ولذا فقد شبه ابن جني الإشمام بالإطباق والغنة في الأصوات التي تدغم في غيرها حيث يذهبان معاً ، ولذلك فإن الاعتداد بها مثل الاعتداد بالإشمام الذي تزول معه الحركة[5] .

وعلى الرغم من أن الإشمام مصطلح معروف إلا أن المعنى اللغوي له يستعمل أيضاً في الدراسات الصوتية كقول ابن جني « وأما الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين ... فليست حركة مشمة شيئاً من غيرها »[6] ، وكذلك استعملها الداني[7] وابن الجزري[8] .

---

(١) الكتاب ٤/١٦٨ .

(٢) الكتاب ٤/١٧١ .

(٣) شرح جمل الزجاجي ٣٧٤ ؛ المفصل ٢٢٨ .

(٤) الرعاية ٢٦٠ ؛ التحديد ١٧١ ؛ الموضح ٢٠٩ ؛ التمهيد ٢٢٠ .

(٥) سر الصناعة ١/٥٦ .

(٦) سر الصناعة ١/٥٦ .

(٧) التحديد ١٤٩ .

(٨) النشر ١/٢٠٢ .

الإظهار :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الظَّهر من كل شيء خلاف البطن والظهر عند الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره ... والظاهر خلاف الباطن ، ظهر يظهر ظهوراً ، فهو ظاهر وظهير »[(١)] .

المعنى الاصطلاحي : هو حالة من حالات النون الساكنة والتنوين حين يليهما صوت من أصوات الحلق ، وكذلك حالة من حالات الميم حين يليهما صوت غير الميم والباء[(٢)] .

أصوات الإظهار : : وهي (ء ، هـ ، ع ، ح ، غ ، خ) .

مصطلح الإظهار : استعمل سيبويه هذا المصطلح في معنى آخر لا علاقة له بالدرس الصوتي ، حين تحدث عن الإضمار فجعل مقابله الإظهار قائلاً : « لأنك قد استغنيت عن إظهاره ، وإنما ينبغي لك أن تضمره »[(٣)] .

أما هذا المعنى فقد أطلق عليه التبيين ، قائلاً في حديثه عن النون الساكنة : « وتكون مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بيِّنة »[(٤)] .

ولعل هذا المصطلح من وضع المبرد ، فقد كان أقدم من استعمله ، إلا أنه جعله مجاوراً لمصطلح سيبويه « التبيين » ، قائلاً : « ولا تقول : من قال ، ومن جاء ؟ فتبين ، ... وذلك قولك : « من هو ؟ فتظهر مع الهاء ، وكذلك من حاتم ؟ »[(٥)] .

---

(١) اللسان ٥٢٠/٤ ، ٥٢٢ .

(٢) النشر ٢٢٢/١ ، كذلك : النشر ٢٦/٢ .

(٣) الكتاب ٦٢/١ .

(٤) الكتاب ٤٥٤/٤ .

(٥) المقتضب ٢١٥/١ ، ٢١٦ .

أما السيرافي[1] فيستعمل مصطلح سيبويه ، وقد استعمل مصطلح الإظهار ابن جني مقابلاً لمصطلح الإدغام حين قال : « قد علموا أن إدغام الحرف في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين »[2] .

وقد استقر هذا المصطلح عند علماء التجويد[3] حكماً من أحكام النون الساكنة والتنوين حين يأتي بعدها صوت من أصوات الحلق . كما شاع أيضاً في كتب علماء النحو[4] والقراءات[5] ، إلا أن بعض[6] علماء العربية يستعمل مصطلح سيبويه نفسه فيسميه البيان .

الإعلال :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « العلُّ والعلَلُ : الشربة الثانية ، وقيل : الشرب بعد الشرب تباعاً ، يقال : علل بعد نهل .. ابن الأعرابي : علَّ الرجل يعلّ من المرض ، وعل يعل ويعل من علل الشراب »[7] .

المعنى الاصطلاحي : هو « تغيير حرف العلة : أي الألف والواو والياء بالقلب أو الحذف ، أو الإسكان »[8] .

مصطلح الإعلال : من مصطلحات سيبويه ، وقد استعمله بمعنى الإبدال بين أصوات العلة (وهي أصوات المد) ، ولما كان الإبدال من صوتي الواو والياء كثيراً ، فهما

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ٦٧ .

(٢) الخصائص ٢٢٧/٢ .

(٣) الرعاية ٢٦٢ ، التحديد ١١٣ ، الموضح ١٥٧ ، التمهيد ١٦٥ .

(٤) الممتع ٦٩٥/٢ ، المساعد ٢٧٥/٤ .

(٥) التبصرة ١١٦ ، والتيسير ٤٥ .

(٦) المفصل ٤٠٠ .

(٧) اللسان ٤٦٧/١١ .

(٨) شرح الشافية ٦٧/٣ .

« أكثر الفونيات عرضة للتغير »[1] ، لذلك سمي إعلالاً ، تشبيهاً له بالعلة التي تصيب الجسم الصحيح ، كا سمي صوتي الواو والياء معتلين ، وبقية الأصوات الصامتة بالصحاح ، وقد ورد عن سيبويه قوله : « إذا أردت فعل قلت : دار وناب ، وساق ، فيعتل كا يعتل في الفعل ، ... وربما جاء على الأصل كا يجيء فعل من المضاعف على الأصل إذا كان اسماً ، وذلك قولهم : القود ، والحوكه ، والخونه ، والجورة . فأما الأكثر فالإسكان والاعتلال »[2] وهو يسميه الاعتلال لا الإعلال ، وقد علل المبرد الإعلال في مثل هذه الكلمات بقوله : « فإذا كانت واحدة منها عيناً وهي ثانية فحكمها أن تنقلب الفاء في قولك فعل وذلك نحو قولك : « قال وباع . وإنما انقلبت لأنها في موضع حركة ، وقد انفتح ما قبلها »[3] فهو هنا يشير إلى قاعدة من قواعد الإعلال وهي أن « حكم الياء والواو متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفاً »[4] ، ويكون ذلك طلباً للخفة ، كا هو الحال في الإعلال في قولهم : « ييأس (يائس) وفي يوجل (ياجل) ، فإنما قلبوا الياء والواو فيهما ... تخفيفاً ، ذلك أنهم رأوا أن جمع الياء والألف أسهل عليهم من جمع الياءين ، والياء والواو »[5] .

والإعلال ، من المصطلحات الشائعة في الدراسات الصرفية وقد تبع الزمخشري[6] سيبويه في التسمية فهو عنده الاعتلال ، وهي لفظ شائع عند عدد من العلماء[7] .

وكا فسر ابن جني الإعلال بأن سببه طلب الخفة ، فقد فسر ابن الغياث الإعلال

---

(1) المجلة العربية للدراسات اللغوية مج ٢ ، ع ١٠١/٢ .

(2) الكتاب ٣٥٨/٤ .

(3) المقتضب ٩٦/١ .

(4) سر الصناعة ٦٦٧/٢ .

(5) سر الصناعة ٦٦٨/٢ .

(6) المفصل ٣٧٤ .

(7) الممتع ٤٣٦/٢ .

بقوله : « يحتمل أن يكون من أفعل الذي للسلب ، وكأن معنى أعلّ الكلمة أزال علتها أي ثقلها ، لأن العلة ثقل ، فعلى هذا يكون معناه لغة إزاء العلة »[1] .

والإعلال يكون بالقلب ، أو بالحذف أو بالنقل .

أما الإعلال بالقلب فهو تابع للإبدال ، إذ إنه إبدال ، ولكن من صوتي اللين مثل « عجائز » والأصل « عجاوز » .

وأما الإعلال بالنقل فهو تابع للقلب المكاني ، إذ إنه قلب مكاني ، إلا أنه قلب لمكان الصوت فقط ، مثل (يقول) والأصل (يقول) .

أما الإعلال بالحذف فيكون في « صورتين قياسية وسماعية »[2] ، أما السماعية فلا دخل لها بالتعامل الصوتي ، وأماالقياسية فإن السبب فيها هو طلب الخفة للثقل[3] .

ولما كان الإعلال مصطلحاً يتصل بأصوات اللين ، فإن دراسة المحدثين له واجهت صعوبة كبيرة ، وهذه الصعوبة جاءت من جانبين :

الجانب الأول خلط القدماء بين أصوات المد وأصوات اللين ، ودمجهم النوعين برمزين اثنين .

والجانب الثاني خلط المحدثين[4] بين الأصوات الانزلاقية وأصوات اللين (الصامتة) .

وعلى ذلك يمكن القول : إن العربية تحتوي على ثلاثة أنواع من الأصوات تتفق جميعها في الرمز ، النوع الأول صوتا اللين الصامتين وهما الواو والياء في مثل (وعد ،

---

(١) المناهل الصافية ٢/٢١٥ .

(٢) المنهج الصوتي ٢٠١ .

(٣) الممتع ٢/٤٢٦ .

(٤) المنهج الصوتي ٣٠ .

يعد) ، والنوع الثاني صوت المصوتين وهما الواو والياء في مثل (ثوم) (وعيد) ، والنوع الثالث حركات مزدوجة وهما الواو والياء في مثل (يوم ، وبيت) ولذلك فإن الإعلال يتناول الواو والياء في هذه الأنواع الثلاثة .

وقد ظل الإعلال موضوعاً من موضوعات علم الصرف لم يحسب من موضوعات الدراسة الصوتية ، غير أن المحدثين عنوا بدراسته صوتياً إلا أن موضوع الإعلال لاتساعه ظل شائكاً ينتظر الدراسة الواعية المدركة .

الإقلاب :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « القلب : تحويل الشيء عن وجهه ... وأقلبت الخبزة : حان لها أن تقلب ، وأقلب العنب : يبس ظاهره فحول »[١] .

المعنى الاصطلاحي : وهو أن تقلب النون الساكنة أو التنوين إلى ميم في الكلام إذا جاء بعدها صوت الباء[٢] .

مصطلح الإقلاب : من مصطلحات سيبويه ذكره قائلاً : « وتقلب النون مع الباء ميماً »[٣] ، وقد شاع المصطلح في مؤلفات العلماء[٤] بعد سيبويه بالاستعمال نفسه ، إلا أن الاستعمال الأكثر شيوعاً هو لفظ « القلب » ، غير أن الأجدر استعمالها « إقلاباً » ؛ لأن القلب يشترك مع معنى القلب في الكلمات وهو أيضاً ظاهرة صوتية كما

---

(١) اللسان ٦٨٥/١ .

(٢) الأصوات اللغوية ٧٣ .

(٣) الكتاب ٤٥٢/٤ .

(٤) المقتضب ٢١٦/١ ، والصاحبي ١١٧ ، والرعاية ٢٦٥ ، التحديد ١١٧ ، والموضح ١٧٤ ، والمفصل ٤٠٠ ، والمساعد ٢٧٥/٤ ، والممتع ٦٩٨/٢ ، والمناهل الصافية ٣٦١/٢ .

سيتضح ، وقد استعمل المصطلح بهذا المعنى ابن الجزري في (التمهيد)[1] ، بينما استعمل في (النشر)[2] لفظ القلب ، والشائع في كتب التجويد[3] اليوم هو الإقلاب .

الإمالة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الميل : العدول إلى الشيء والإقبال عليه ، وكذلك الميلان . ومال الشيء يميل ميلاً ومالاً ومميلاً وتميالاً »[4] .

المعنى الاصطلاحي : هي : « جنوح بالألف إلى صوت الياء ، وبالفتحة إلى صوت الكسرة »[5] ، أو « هي نطق الفتحة نطقاً أمامياً »[6] .

مصطلح الإمالة : من مصطلحات الخليل ، ذكره سيبويه قائلاً : « فزعم الخليل أن اجناح الألف أخف عليهم ، يعني الإمالة »[7] ، وذكر في موضع آخر : « وقال الخليل : لو سميت رجلاً بها وامرأة جازت فيها الإمالة »[8] ، أما سيبويه فقد فصّل في باب : « ما تمال فيه الألفات »[9] قائلاً : « فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عابد ، وعالم ، ومساجد ، ومفاتيح ، وعذافر ، وهابيل »[10] ، وقد فسر الإمالة بقوله : « وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها ، كما قربوا

---

(1) التمهيد ١٦٨ .

(2) النشر ٢٦/٢ .

(3) قواعد التجويد ٧٢ ، وفن التجويد ٣٠ ، وأحكام تجويد القرآن ٣٧ ، وحق التلاوة ١٠٠ .

(4) اللسان ٦٣٦/١١ .

(5) دروس في علم أصوات العربية ١٥٦ .

(6) دروس في علم أصوات العربية ١٥٦ .

(7) الكتاب ٢٧٨/٣ .

(8) الكتاب ١٣٥/٤ .

(9) الكتاب ١١٧/٤ .

(10) الكتاب ١١٧/٤ .

في الإدغام الصاد من الزاي »[1] ، فالإمالة عنده هي تقريب صوت من صوت كما رأى ابن جني[2] فيما بعد وهي مضارعه بين الأصوات[3] .

فالإمالة ظاهرة صوتية ، تعليلها عند سيبويه هو الاقتصاد في الجهد العضلي ، وهو ما عبر عنه بقوله : « إنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة »[4] ولا يختلف هذا التعليل عن تعليل المحدثين إطلاقاً ، وقوله مشابهاً بين الإمالة والإدغام أن المتكلم « يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد ، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك »[5] في الإمالة ، هو تعليل المحدثين نفسه[6] .

وقد رأى سيبويه أن الإمالة تكون في الحالات الآتية :

١ ـ « إذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف متحرك والأول مكسور نحو : « عماد »[7] .

٢ ـ « إذا كان بينه وبين الألف حرفان ، الأول ساكن ، لأن الساكن ليس بحاجز قوى »[8] ، وذلك مثل سربال ، وشمال وكلاب .

٣ ـ كل شيء من بنات الياء والواو ، كانت عينه مفتوحة »[9] .

---

(١) الكتاب ١١٧/٤ .
(٢) الخصائص ١٤١/٢ .
(٣) الكتاب ٤٧٧/٤ .
(٤) الكتاب ١١٧/٤ .
(٥) الكتاب ١١٧/٤ .
(٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٣٩ .
(٧) الكتاب ١١٧/٤ .
(٨) الكتاب ١١٧/٤ .
(٩) الكتاب ١١٨/٤ .

٤ ـ إذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو »[١] .

وهناك حالات لا تصح فيها الإمالة ، منها إذا جاورت الألف أحد أصوات الاستعلاء[٢] ، أو حالات أخرى منها :

١ ـ « إذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً »[٣] ، وذلك نحو آجر ، وتابل ، وخاتم .

٢ ـ « إذا كان الحرف الذي قبل الألف مفتوحاً أو مضموماً نحو رباب ، جماد ، البلبال والجماع ، الخطاف »[٤] .

٣ ـ « ما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو ، نحو قفا وعصا ، والقنا ، والقطا »[٥] .

٤ ـ إذا كان بعد الألف راءٌ على ألا تكون الراء مكسورة[٦] .

والإمالة تختص بصوتي الفتحة القصيرة والطويلة ، وتقريبها إلى صوتي الكسرة القصيرة أو الطويلة ، فهي تختص بالحركات ، ولكن لما كانت الحركات تابعة للصوامت عند علماء العربية ، فقد وصفوا الصوامت بالإمالة كما وصفوا الحركات وهو الأصل ، فقال المبرد : « الإمالة أن تقرب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء »[٧] ، كما وضع مكي الإمالة مع الصفات العديدة للأصوات التي ذكرها في (الرعاية) قائلاً : « حروف

---

(١) الكتاب ١٢٠/٤ .

(٢) الكتاب ١٢٨/٤ .

(٣) الكتاب ١١٨/٤ .

(٤) الكتاب ١١٨/٤ .

(٥) الكتاب ١١٩/٤ .

(٦) الكتاب ١٣٦/٤ .

(٧) المقتضب ٤٦/٣ .

الإمالة وهي ثلاثة أحرف الألف والراء وهاء التأنيث »[1]. ويمكن القول : إن المماثلة وهي الإدغام الأصغر شاملة لكافة أنواع التأثيرات بين الأصوات ، ومنها الإدغام الأكبر وهو المعروف غالباً بالإدغام ، ويكون بين الصوامت فقط ، كما أن الإمالة تكون بين الحركات فقط .

وقد درس الزمخشري مواضع الإمالة في الكلام في الأسماء والأفعال حين تكون الألف أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، مستخلصاً بعض النتائج نوردها على النحو الآتي :

١ ـ « تؤثر الكسرة قبل الألف إذا تقدمته بحرف كـ (عماد) ، أو بحرفين أولهما ساكن كـ (شملال)»[2].

٢ ـ إذا تقدمت الكسرة بحرفين متحركين أو بثلاثة لا تؤثر ولا تكون الإمالة[3].

٣ ـ الألف حين يكون آخر الكلمة إذا كان في الفعل تمال كيف كانت[4].

٤ ـ وإذا كان في الاسم إن لم يعرف انقلابها عن الياء لم تمل ثالثة وتمال رابعة[5].

٥ ـ « الألف المتوسطة إن كانت في فعل يقال فيه فعلت كطاب وخاف أميلت ولم ينظر إلى ما انقلبت عنه ، وإن كانت في اسم نظر إلى ذلك »[6].

٦ ـ تمال الألف لألف ممالة قبلها مثل عماد أو معزانا[7].

---

(١) الرعاية ١٢٩ .

(٢) المفصل ٣٣٥ .

(٣) المفصل ٣٣٦ .

(٤) المفصل ٣٣٦ .

(٥) المفصل ٣٣٦ .

(٦) المفصل ٣٣٦ .

(٧) المفصل ٣٣٦ .

٧ ـ وكما أن لكل قاعدة شواذ فإن هناك كلمات سمعت ممالة ، ولم تخضع لهذه المقاييس مثل الحجاج والناس[١] .

أما ابن يعيش فقد رأى أن الإمالة طارئة ، وأن الأصل هو التفخيم ، وقد دلل على ذلك بقوله : « والذي يدل أن التفخيم هو الأصل أنه يجوز تفخيم كل ممال ، ولا يجوز إمالة كل مفخم ، وأيضاً فإن التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب »[٢] ، ولعل ابن يعيش يقصد بالتفخيم في هذا النص حالة الفتح ، وإلا فإن التفخيم مثل الإمالة يحتاج إلى سبب ، فليس كل ألف في كلمة ألفاً مفخمة ، وعبارة سيبويه[٣] صريحة في عده ألف التفخيم وألف الإمالة فرعين للألف الأصلية التي يقول عنها ابن يعيش هنا : إنها ألف التفخيم .

وقد حصر أسباب الإمالة في ستة[٤] أحوال هي :

١ ، ٢ ـ « أن يقع بقرب الألف كسرة أو ياء قبله أو بعده »[٥] .

٣ ، ٤ ـ أن « تكون الألف منقلبة عن ياء أو كسرة[٦] » .

٥ ـ أن تكون الألف مشبهة بالمنقلبة[٧] .

٦ ـ « أن يكون الحرف الذي قبل الألف يكسر في حال وإمالته لإمالته »[٨] .

---

(١) المفصل ٣٣٦ .

(٢) شرح المفصل ٥٤/٩ ، وأسرار العربية ٤٠٦ .

(٣) الكتاب ٤٣٢/٤ ، والنشر ٢٩/٢ .

(٤) مجلة اللسان العربي عدد (٢١) ٤٠٦ .

(٥) شرح المفصل ٥٥/٩ .

(٦) شرح المفصل ٥٥/٩ .

(٧) شرح المفصل ٥٥/٩ .

(٨) شرح المفصل ٥٥/٩ .

حروف الإمالة : ذكر مكي القيسي ثلاثة أصوات للإمالة وهي (الألف) و (هاء التأنيث) و (الراء) ، ومن الغريب أن (الراء) ذكر أيضاً مع أصوات التفخيم ، وتفسير ذلك أن صوت الراء كما ذكر سيبويه من الأصوات التي تمنع الإمالة إذا كانت بعد الألف وغير مكسورة ، ولهذا عدت مفخمة لأن الأصوات المانعة للإمالة هي : أصوات التفخيم ، كما أن الراء إذا كانت مكسورة تستوجب الإمالة لأنها « كأنها حرفان مكسوران »[(١)] .

وهاء التأنيث قد يمال ما قبلها في الوقف لمشابهتها « الألف في المخرج والخفاء »[(٢)] ، ولأن « ألف التأنيث مطرد جواز إمالته لا يمنعه شيء لا المستعلي كما في الوسطى ، ولا الراء مفتوحة كالذكرى ، والألف في الوقف أقبل للإمالة لقصد البيان »[(٣)] .

وقد أضاف بعضهم الهمزة قائلاً : « وإمالة فتحة قبل الهمزة »[(٤)] .

والإمالة كما جاءت عند سيبويه هي ضد التفخيم ، وألف الإمالة هو فرع الأصلية مثل ألف التفخيم تماماً ، إلا أن بعض العلماء[(٥)] ـ كما تقدم ـ يجعلون ألف التفخيم هي الأصل ، ويرونها مرادفة للفتح ، ولذلك تسمى الإمالة ، الإضجاع والبطح والكسر .

موانع الإمالة : ذكر سيبويه[(٦)] أن الأصوات التي تمنع الإمالة هي أصوات الاستعلاء السبعة ، وكذلك صوت الراء إذا كان بعد الألف أو قبلها وغير مكسورة ، وقد لخص ابن الأنباري المواضع التي تمنع فيها الأصوات المستعلية الإمالة بقوله : « إذا وقعت بعد الألف مكسورة منعت الإمالة ، فإذا وقعت مكسورة قبلها لم تمنع »[(٧)] ،

---

(١) الكتاب ١٣٦/٤ .

(٢) شرح الشافية ٢٤/٣ .

(٣) شرح الشافية ٢٤/٣ .

(٤) المناهل الصافية ١٧٠/٢ .

(٥) النشر ٢٩/٢ .

(٦) الكتاب ١٣٦/٤ .

(٧) أسرار العربية ٤٠٨ .

أما إذا وقعت مفتوحة قبلها امتنعت الإمالة لأن « الحرف المستعلي إذا كان مفتوحاً زاد الاستعلاء فامتنعت الإمالة »[1] .

والإمالة ليست إلا ظاهرة محدودة لدى بعض القبائل ، وليس ظاهرة مطردة في اللغة العربية ، ولذا فإن المواضع التي ذكرت فيها الإمالة ، لا تكون فيها الإمالة واجبة ، وإنما هي جائزة عند من يميلون[2] وهذه المواضع التي ذكرت هي استقصاء حاول العلماء فيه أن يحددوا الظاهرة ، وأن يجدوا لها الأسباب ، وهي تبقى ظاهرة محصورة في قبائل معينة ، ولم تأخذ شكل القاعدة الملزمة ، وهي أثر من آثار التطور الصوتي يلحق الألسنة ، ولذا نجد أن الإمالة شائعة كثيرة في اللهجات العربية ، تكون أحياناً كثيرة الشيوع في لهجة ما ويقل شيوعها في أخرى .

وقد درس بعض المحدثين الإمالة دراسة تفصيلية دقيقة في كتب النحاة والقراء وعلى ألسنة القراء المحدثين ، فرأى أن القراء أكثر دقة في تناولهم الإمالة ودرجاتها ، فهي عندهم ذات أسماء متعددة « فالشديدة تسمى أحياناً التكثير والبطح ، والإضجاع والكسر ... والمتوسطة .. بين بين ، وبين اللفظين والتقليل والتلطيف والإشارة إلى الكسر »[3] .

الإهماس :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان « الهمس والهميس : حس الصوت في الفم مما لا اشراب له من صوت الصدر ، ولا جهارة في المنطق ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر »[4] .

---

(١) أسرار العربية ٤٠٨ .

(٢) المناهل الصافية ١٧١/٢ .

(٣) الإمالة في القراءات واللهجات ٤٠٠ .

(٤) اللسان ٢٥١/٦ .

المعنى الاصطلاحي : الإهماس طروء صفة الهمس للصوت المجهور[1] .

مصطلح الإهماس : مصطلح عرف حديثاً ، ولم يشع استعماله بهذا اللفظ ، ولذا فقد استعمل بعض[2] المحدثين لفظ « الهمس » ليؤدي معنى الإهماس إلا أن الفارق بين المعنيين يجعل استعمال لفظ واحد قصوراً يؤدي إلى لبس في الدلالة ، وقد استعمل بعض[3] المحدثين « التهميس » بدل « الإهماس » والمعروف أن وزن الثلاثي المزيد « أفعل » من معانيه الصيرورة[4] ، بينما وزن « فعل » من معانيه « نسبة المفعول إلى أصل الفعل »[5] ودلالة المعنى الأول أقوى من دلالة المعنى الثاني .

وظاهرة الإهماس عرفت قديماً ، إلا أن علماء التجويد حرصوا على بيانها حين تحدثوا عن تأثير الأصوات بعضها ببعض ، وانتقال الصفات من صوت إلى آخر فقد تحدث مكي قائلاً : « وإذا أتى بعد الزاي الساكنة دال أو تاء ، وجب أن تبين لفظ الزاي ، لئلا يقرب لفظها من لفظ السين ؛ لأن السين مؤاخية للتاء في الهمس ، ومؤاخية للزاي في المخرج والصفير »[6] ، فالسين هي مهموس الزاي ، فهو يحذر من إهماس الزاي ، وهذا ما صرح به أيضاً الداني في حديثه عن صوت الزاي قائلاً : « فإذا أتى ساكناً خلص مما بعده ، وأشبع اللفظ به ، وسواء لقي حرفاً مهموساً أو مجهوراً »[7] ، أما إذا لقي صوتاً مهموساً فإن تأثره به يسمى إهماساً ، وأما إذا لقي صوتاً مجهوراً فإن ذلك ما يسميه عبد الوهاب القرطبي بالشائبة ، وقد دعا إلى تخليص الأصوات وحذر أن تتحول إلى غيرها ومن ذلك صوت الذال « مع العين لئلا تصير ثاء في نحو ﴿ مذعنين ﴾

(١) من قضايا اللغة والنحو ٢٧٢ .

(٢) محاضرات في اللغة ١١٨ .

(٣) المجلة العربية للدراسات اللغوية مج ٢ ، ع ٢ ، ٩٣ .

(٤) أوزان الفعل ومعانيها ٥٧ .

(٥) أوزان الفعل ومعانيها ٧٦ .

(٦) الرعاية ٢١٠ .

(٧) التحديد ١٥١ .

[النور : ٢٤/٤٩] »[1] ، وقد ذكر ابن الجزري أمثلة كثيرة منها حديثه عن صوت الدال قائلاً : « وإن كان سلوكها عارضاً فلا بد من بيانها وقلقلتها ، وإلا عادت حاء »[2] والتاء هي مهموس الدال . ومنها تنبيهه من همس الغين[3] وغيره .

التأنيف :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « التأنيف » : تحديد طرف الشيء ، وأنفا القوس : الحدان اللذان في بواطن السيتين ، وأنف النعل : أسلتها ، وأنف كل شيء طرفه وأوله[4] .

المعنى الاصطلاحي : وهي صفة الغنة يكتسبه أحد الأصوات غير الأنفية من مجاورتها لصوتي الميم أو النون .

مصطلح التأنيف : هذا المصطلح استعمل حديثاً بندرة أيضاً ، ونذكره لأن أحد الباحثين[5] المعاصرين نبه إلى الخلط الذي يصير بينه وبين مصطلح الأنفية التي هي صفة أساسية في صوتي الميم والنون وهي صوت الغنة التي تسمع معها ، أما التأنيف فهي صفة مكتسبة تلحق الأصوات مثل : (يأمن ، يضمن ، أضنى)[6] في الهمزة والضاد ، وقد اكتسبت هذه الصفة لمجاورة هذين الصوتين صوت الميم والنون ، وهي غير الأنفية التي يستعملها بعض المحدثين[7] .

---

(١) الموضح ١٨٢ .
(٢) التمهيد ١٣٠ .
(٣) التمهيد ١٤٧ .
(٤) اللسان ٩/١٣ .
(٥) مناهج البحث ١٨١ .
(٦) مناهج البحث ١٨١ .
(٧) العربية ولهجاتها ١٥ .

التنغيم :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان قوله : « النغمة : جرس الكلمة ، وحسن الصوت في القراءة وغيرها ـ النغم : الكلام الخفي . والنغمة : الكلام الحسن .. وسكت فلان فما نغم بحرف وما تنغّم بمثله »[1] .

المعنى الاصطلاحي : هو : « تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة ، أو أجزاء متتابعة . وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل ، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة »[2] .

مصطلح التنغيم : وهو مصطلح حديث ، ولا تخلو لغة منه[3] ، فهو « جملة العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة من تعجب واستفهام وسخرية وتأكيد وتحذير »[4] ، إلا أنه يختلف في قيمته الدلالية من لغة لأخرى[5] .

وهو مصطلح نقل عن اللغات الأخرى ، وعلى الرغم من الإجماع على هذه الترجمة إلا أن هناك ترجمات أخرى غيرها فقد ترجمه الدكتور أنيس[6] ، بموسيقى الكلام والدكتور شاهين[7] بالنبر الموسيقي ، وسماه الدكتور فاضل السامرائي النغمة الصوتية[8] .

وقد جاء في كتاب (الخصائص) لابن جني ما يشير إلى التفاته إلى التنغيم قوله : « وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه ، فتقول : كان والله رجلاً ـ فتزيد في

---

(١) اللسان ١٢/٥٩٠ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٩٤ ، كذلك علم اللغة العام ـ الأصوات ١٦٣ .

(٣) مدخل إلى علم اللغة ٤٨ .

(٤) علم الأصوات ٢٠٩ .

(٥) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٦٣ .

(٦) الأصوات اللغوية ١٧٥ .

(٧) علم الأصوات ٢٠٩ .

(٨) محاضرة له يوم ٨٦/١٢/٧ م .

قوة اللفظ بالله هذه الكلمة ، وتتمكن من تمطيط اللام ، وإطالة الصوت بها وعليها ، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك »[1] ، إلا أن القدماء لم يدرسوه ، ولم يكن هذا إلا إشارة لم تجد لها متلقياً ولا مستجيباً .

والتنغيم موجود في الاستعمال اللغوي في النثر والشعر ، ومن الغريب ألا يلقى من الدراسة اهتماماً عند القدماء ، فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى : ﴿ وتلكَ نعمةٌ تمنّها ﴾ [الشعراء : ٢٢/٢٦] بحذف الهمزة ، وهو قول الأخفش[2] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فلما جنّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربي ﴾ [الأنعام : ٧٦/٦] ، جملة ﴿ هذا ربي ﴾[3] ، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة ﴾ [الممتحنة : ١/٦٠] جملة ﴿ تلقون إليهم بالمودة ﴾ [الممتحنة : ١/٦٠] ، حيث حذفت الهمزة ، واكتفى بالتنغيم لإظهار الاستفهام .

وقد ورد التنغيم في الشعر أيضاً فقد ذكر ابن هشام بيتين لعمر بن أبي ربيعة هما :

فوالله ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

قائلاً : « أراد أبسبع »[4] ، وبيته الآخر :

ثم قالوا تحبُّها ؟ قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

مضيفاً : « فقيل أراد أتحبها ؟. وقيل : إنه خبر ، أي أنت تحبها »[5] ، وأورد أيضاً بيتين آخرين أحدهما للكميت وهو :

---

(١) الخصائص ٣٧١/٢ .

(٢) مغني اللبيب ١٥/١ .

(٣) إعراب القرآن ٢٥٢/١ .

(٤) مغني اللبيب ١٤/١ .

(٥) نفسه ١٥/١ .

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعبـــاً مني وذو الشيب يلعب

قائلاً : « أراد أو ذو الشيب يلعب ؟ »[1] .

والآخر للمتنبي :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

مشيراً إلى معنى الاستفهام في جملة (أحيا) .

وقد نبهنا على التنغيم في هذه الأمثلة أستاذانا حسام النعيمي وفاضل السامرائي في محاضراتها .

وهذه الأمثلة القرآنية والشعرية تؤكد وجود التنغيم في الاستعمال اللغوي الأدبي وهو يحمل وظيفة دلالية كما يتضح من الأمثلة السابقة ، وكما هو معروف في الكلام الجاري على الألسن .

فالكلمة الواحدة « تدل على أكثر من معنى دون تغيير يلحق بفونيماتها ، ولكن بسبب الاختلاف في التنغيم »[2] ، حيث تختلف الطرق التي يسلكها الإنسان في إخراج هذه الكلمة أو تلك في درجات الحدة ارتفاعاً وانخفاضاً[3] .

الروم :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « رام الشيء ، يرومه روماً ومراماً : طلبه ، .. والروم : شحمة الأذن »[4] .

---

(١) مغني اللبيب ١٤/١ .

(٢) علم اللغة ١٢٤ .

(٣) الوجيز في فقه اللغة ٢٥٢ .

(٤) اللسان ٢٥٨/١٢ .

المعنى الاصطلاحي : وهو « النطق بالحركة بصوت خفي »[1] ، أو « النطق ببعض الحركة »[2] ، أو هو ما « يكاد الحرف يكون به متحركاً »[3] .

مصطلح الروم : من مصطلحات سيبويه ، ذكره في « باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف »[4] ، وقد جعله حالة من حالات الوقف ، وقد أوضح معنى الروم في قوله : « وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال ، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حالة ، وذلك أراد الذين أشموا ، إلا أن هؤلاء أشد توكيداً »[5] ، وهي عنده في المرفوع[6] وكذلك « ما كان في موضع نصب أو جر »[7] ، فالروم هو قصد الحركة وعدم النطق بها واضحة تامة وإنما بصوت خفي ، وقد ذكر سيبويه علامات توضع على الأصوات تدلل على حالات الوقف إذا كان إشماماً أو روماً أو إسكاناً أو تضعيفاً فللأول نقطة ، وللثاني خط ، وللثالث رمز خاء على الصوت وللرابع رمز (ش) عليه[8] .

وقد ذكر سيبويه أن الروم يكون في الحركات الثلاث[9] ، بينما ذكر الزجاجي أن « الإشمام وروم الحركة أنما يكونان في المرفوع »[10] ، أما الإشمام فالراجح أنه يكون في الرفع فقط لأنه ضم الشفتين ولا يكون ذلك إلا في الرفع وأما الروم فيكون في الحركات

---

(1) النشر ١٢١/٢ .

(2) النشر ١٢١/٢ .

(3) الخصائص ٣٢٨/٢ .

(4) الكتاب ١٦٨/٤ .

(5) الكتاب ١٦٨/٤ .

(6) الكتاب ١٦٨/٤ .

(7) الكتاب ١٧١/٤ .

(8) الكتاب ١٦٩/٤ .

(9) الكتاب ١٦٨/٤ ، ١٧١ .

(10) شرح جمل الزجاجي ٣٧٤ .

الثلاث لأن الروم هو نطق الحركة بصوت خفي وهذا يكون فيها جيماً وقد ذكره ابن جني حين قال : « تفصل بـه بين المذكر والمؤنث في قولك في الوقف أنت وأنت »[(١)] فذكر النصب والجر ، وذكر ذلك مكي[(٢)] ، وكذلك الداني قائلاً : « ويستعمل في الحركات الثلاث »[(٣)] ، أما القرطبي فقد رأى الروم في « المضموم والمكسور إعراباً كان أم بناءً دون المفتوح »[(٤)] ، معللاً ذلك بقوله : إن المفتوح تكون الحركة فيه أسرع ظهوراً لخفته ، وعلى ذلك صاحب (اللسان)[(٥)] ، وصاحب (النشر)[(٦)] .

القلب المكاني :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان قوله : « القلب : تحويل الشيء عن وجهه ، قلبه يقلبه قلباً ، .. وقد انقلب وقلب الشيء ، وقلبه : حوله ظهراً لبطن . وتقلب الشيء ظهراً لبطن ، كالحية تتقلب على الرمضاء »[(٧)] .

المعنى الاصطلاحي : وهو : « تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية »[(٨)] ، مثل جذب وجبذ .

مصطلح القلب المكاني : وهو قاعدة صوتية[(٩)] ، إلا أن علماء العربية تحدثوا عنه دون أن يعرضوا إلى الجانب الصوتي فيه ، فقد عدوه من الظواهر اللغوية في العربية

---

(١) الخصائص ٢/٣٢٨ .
(٢) الرعاية ٢٦٠ .
(٣) التحديد ٩٨ .
(٤) الموضح ٢٠٩ .
(٥) اللسان ١/١٢٦ .
(٦) النشر ٢/١٢٣ .
(٧) اللسان ١/٦٨٥ .
(٨) دراسة الصوت اللغوي ٣٢٥ .
(٩) المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد ٢٣ ، ١٤٦ .

ومن « سنن العرب »[1] ، ووقفوا عند حدود الظاهرة وقد عللوا ظاهرة القلب المكاني في المصوتات ، مشيرين إليها بقولهم : « نقل الحركة إلى الحرف السابق »[2] ، إلا أنهم أغفلوا تفسيرها صوتياً .

والقلب المكاني ، هو تغير في مواقع الأصوات في الكلمة ، ويكون ذلك نتيجة لسهو المتكلم ، وهو ماسماه فندريس : « الخطأ وتقص الالتفات »[3] ، حيث يميل المتكلم إلى نطق الكلمة دون إدراك إلى تغير الأصوات فيها بفعل قانون السهولة والتيسير وهو قانون صوتي[4] .

والقلب المكاني يكون في الصوامت كما يكون في المصوتات ، وقد ذكر السيوطي للقلب المكاني في الصوامت أمثلة كثيرة جداً ، أخذها عن ابن فارس ، وابن السكيت ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وابن دريد وغيرهم ، فقد ذكر عن ابن دريد قوله : جبذ وجذب ، وما أطيبه ، وأيطبه ، وربض ورضب ، وأنبض القوس وأنضب ، وصاعقه وصاقعه ، ولعمري ورعملي واضمحل وامضحل ، وعميق ومعيق ، ولبكت الشيء وبكلته إذا خلطته »[5] .

أما القلب المكاني في الأصوات المصوتة فأمثلته كثيرة منها اشتقاق اسم التفضيل من الفعل (عز) كما يوضحه بعض المحدثين قائلاً « لكي يشتق أعز فإنه يحصل أولاً على اعزز ، بتطبيق قاعدة أفعل التفضيل .. ثم يطبق عليها قاعدة صوتية هي قاعدة القلب المكاني بين الصحيح الأول من الصحيحين المثلين (الزاي الأولى في المثال السابق)[6] والعلة القصيرة الواقعة بعدها (الفتحة في المثال السابق) » .

(١) الصاحبي ٢٠٢ .
(٢) المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد ٢٣ ، ١٤٦ .
(٣) اللغة ٩٤ .
(٤) التطور اللغوي ، مظاهره وعلله ٥٧ .
(٥) المزهر ٤٧٦/١ ، والممتع ٦١٦/٢ .
(٦) المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد ٢٣ ، ١٤٦ .

ويستعمل بعض المحدثين [1] مصطلح القلب للدلالة على معنى الإعلال ، والفرق بين المصطلحين كبير ، وهو خلط بين المصطلحين ، ولعله يقصد الإعلال بالقلب وهو غير القلب الذي كثيراً ما يستعمل بديلاً عن القلب المكاني .

المخالفة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « الخلاف : المضادة ، وقد خالفه مخالفة وخلافاً . وفي المثل إنما أنت خلاف الضَّبع الراكب ، أي تخالف خلاف الضَّبع ؛ لأن الضَّبع إذا رأت الراكب هربت منه » [2] .

المعنى الاصطلاحي : « تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين » [3] .

مصطلح المخالفة : وهذا المصطلح أيضاً مصطلح حديث وهو ترجمة للفظ الأجنبي (Dissimilation) [4] ، وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة وكانوا يعبرون عنها أحياناً « بكراهية التضعيف » أو « كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكروه » ، أو « استثقلوا اجتماع حرفين » وغير ذلك [5] ، وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرة في باب سماه « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد » [6] . وقد ذكر أمثلة لهذه الظاهرة قائلاً : « وذلك قولك تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة » [7] ، وهذه الظاهرة شائعة وردت كثيراً في

---

(١) مجلة الفكر العربي العددان ٨/٩ سنة ٧٩ م ، ٧٤ .

(٢) اللسان ٨٨٦/١ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي ٢٢٩ .

(٤) الأصوات اللغوية ٢١٠ .

(٥) التطور اللغوي ٤٠ .

(٦) الكتاب ٤٢٤/٤ .

(٧) الكتاب ٤٢٤/١ .

الاستعمال إلا أنها لم تذكر ضمن البحوث الصوتية ، ولم يصطلح على تسمية لها ، ولذلك فقد رأينا الأخذ بهذا المصطلح لشيوعه أيضاً في الدراسات العربية الحديثة .

المد :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان « المدُّ : الجذب والمطل . مدّه يمدّه مداً ، ومدّ به فامتد ، ومدّده فتمدّد ، وتمدّدناه بيننا : مددناه وفلان يماد فلاناً ، أي يماطله ويجاذبه »[1] .

المعنى الاصطلاحي : هو « حكم يجب لحروف المد واللين ، إذا كان عقيبها همزة أو حرف ساكن مدغم أو مظهر »[2] .

مصطلح المد : من مصطلحات علماء التجويد ، أما المد وصفاً لأصوات ثلاثة وهي ما يعرف اليوم بالحركات الطويلة فقد ذكره سيبويه عند ذكره لصفة اللين[3] ، فقد فرق بين المد واللين ، أما اللين فهو صفة لصوتين صامتين وهما الواو والياء حين يكونان متبوعين بحركات أما المد فهو حركة طويلة ، وهو صفة لثلاثة أصوات وهي الألف والواو والياء ، أما الألف فهي مدة خالصة[4] ، وأما الواو والياء فلا بد من أن تكونا مسبوقتين بحركة من صنفهما ، أو بمعنى أصح أن يكونا ضمة طويلة ، أو كسرة طويلة ، أي مصوّت طويل .

فمصطلح المد بمعناه التعاملي لم يعرف إلا عند علماء التجويد ، أما مصطلح المد

---

(١) اللسان ٣٩٦/٣ .

(٢) الموضح ١٢٨ .

(٣) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٤) المقتضب ٢٠٢/١ .

صفة فقد عرف عند سيبويه [١] ، وعند المبرد [٢] ، والزجاجي [٣] وابن جني [٤] ، والزمخشري [٥] ، وابن الأنباري [٦] ، وكذلك في كتب القراءات [٧] .

وقد ذكر ابن جني المد في حديثه عن الحركات قائلاً : « الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاثة ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو » [٨] ، وهو رأي الخليل كما ذكر سيبويه [٩] فالواو والياء توصفان باللين ، كما توصفان بالمد أيضاً ، إلا أن صوتي اللين يختلفان عن صوتي المد أما الألف فهي مدّة كما تقدم ، ووصف الثلاثة بالمد واللين معاً شائع عند علماء العربية إلا أن التفريق بين اللين والمد واضح عندهم ، وقد أوضح ذلك سيبويه في باب الإدغام [١٠] ، وقد بدا وكأنه مزج بين المصطلحين في قوله : « ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة ، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة ، لأن فيهما ليناً ومداً » [١١] ، وكأنه جعل هذين الصوتين المدين صوتي لين ، ولا أرى في قوله هذا ما يدل على مزجه بين المصطلحين ، إلا أن مكياً قال كالمنكر عليه : « وقد جعل سيبويه في الياء المفتوح ما قبلها مداً وليناً » [١٢] ، وقد فرق سيبويه بين الواو والياء المفتوح ما قبلها المتبوعين

---

(١) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٢) المقتضب ٢٠٣/١ .

(٣) شرح جمل الزجاجي ٤٤٩ .

(٤) سر الصناعة ١٧/١ .

(٥) المفصل ٣٦٦ .

(٦) أسرار العربية ٤٢٤ .

(٧) التبصرة ٥٩ ، والتيسير ٣٠ .

(٨) سر الصناعة ١٧/١ .

(٩) الكتاب ٢٤٢/٤ .

(١٠) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(١١) الكتاب ٤٤٦/٤ .

(١٢) التبصرة ٥٩ ، ٦٠ .

بالسكون وبين الواو والياء المتحركين فالأولان صوتا مد ، والآخران صوتا لين ، وهذا يتضح من قوله : « ولا يكون هذا في زيد وعون ونحوهما ، لأنها حرفا مد »[1] ، وهذا الفهم يؤيده المحدثون[2] من علماء العربية الذين يطلقون على هذا حركة مزدوجة ، أي هو مصوت .

إلا أن مفهوم المد واللين كما نجده واضحاً عند سيبويه ، شابه شيء من الامتزاج عند من جاء بعده كقول المبرد عن الألف : « إن الألف التي هي أمكن حروف اللين »[3] ، ولعل ذلك بسبب عدم اختصاص أصوات المد برموز تختلف عن رمزي أصوات اللين ، إلا أن التفريق بين المعنيين هو الغالب ، وهذا ما يصرح به المبرد نفسه في موضع آخر حين يقول : « إن الألف مدة »[4] .

فمصطلح المد كما هو عند سيبويه ذكره أيضاً علماء التجويد فقد ذكر مكي صفة من صفات الأصوات[5] إلا أنه عطف عليه صفة اللين ، وقد تبع في ذلك الاستعمال الشائع ، وعلى الرغم من أنه تحدث عن إطالة المد في « باب الألف » ، في قوله : « فإذا لاصقته همزة لم يكن بد من تمكين مده ، ومده إذا كانت الهمزة بعده آكد نحو جاء ، وشاء ، وكذلك يمد إذا كان بعده ساكن مشددا أو غير مشدد »[6] ، إلا أنه لم يفرد مصطلح المد بهذا المعنى ، ولربما دل هذا أن المد لم يصر مصطلحاً تعاملياً في عصر مكي ، وهذا ما نجده عند الداني في (التحديد) ، إذ لم يفرد مصطلح المد بهذا المعنى ، ولكنه ذكر إطالة المد

---

(١) الكتاب ٤/٤٤٠ .

(٢) علم اللغة ٢٠٤ ، ومجلة المجمع العلمي العراقي ج ٢ ، ٢ ، مجلد ٢٨ ، ٢٠٢ ، والمجلة العربية للدراسات اللغوية مجلد ٢ ، عدد ٢ ، ١٠٠ .

(٣) المقتضب ١/٢١٠ .

(٤) المقتضب ١/٢٠٣ .

(٥) الرعاية ١٢٥ .

(٦) الرعاية ١٦٠ .

في قوله : « وإن لقي همزة أو حرفاً ساكناً ، مظهراً أو مدغماً ، زيد في تمكينه وإشباع مده ، بياناً للهمزة لخفائها »[1] ، إلا القرطبي وهو في عصر مكي والداني جعله مصطلحاً مستقلاً ذا مفهوم مميز حين عرفه قائلاً : « أما المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين إذا كان عقبيها همزة أو حرف ساكن مدغم أو مظهر »[2] ، وهو بهذا يكون أول من أثبت في كتاب هذا المصطلح بمعناه التعاملي .

وقد أوضح أسباب المد الزائد قائلاً : « والعلة في وجوب المد تختلف ، فعلة وجوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة ، أن حروف المد في غاية الخفاء والخفة ، والهمزة في غاية الظهور والثقل ، فهما ضدان ، فجاء المد مقرباً لهذه الحروف ومظهراً لخفائها ، ليحصل هناك مناسبة تحصن الهمزة وتحرسها »[3] ، وأما علة المد قبل الصوت المتبوع بالسكون فهو « للفرق بين الساكنين لما التقيا ، لأن الممدود نظير المتحرك ، ومن حيث أن زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره كما أن زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن ، فصار المد في كونه فاصلاً للحركة »[4] .

ولم يزد من أتوا بعد القرطبي شيئاً في تعليل ظاهرة المد عدا تفصيلهم ما أجمله وإعطائهم تسميات تتفق مع هذا التفصيل ، فقد قسم ابن الجزري المد إلى مد طبيعي ومد عرضي ، والمد العرضي هو المد التعاملي ، أما المد الطبيعي فهو المد المعروف منذ سيبويه .

وقد قسم المد العرضي إلى أقسام ، إذا كان المد ناشئاً عن الهمز فهو أقسام ثلاثة .

مد متصل ويكون في كلمة واحدة .

---

(١) التحديد ١٢٢ .

(٢) الموضح ١٢٨ .

(٣) الموضح ١٢٨ .

(٤) الموضح ١٢٩ .

ومد منفصل ويكون في كلمتين بداية الكلمة الثانية الهمزة .

وقصر ، وهو أن يعود المد إلى طبيعته .

أما إذا كان المد ناشئاً عن التشديد فيكون قسمين : لازماً وعارضاً .

والأول واجب المد .

أما الثاني ففيه أحكام ثلاثة : مد وتوسط وقصر ، أما إذا كان المد ناشئاً عن السكون فيكون أيضاً لازماً وعارضاً ، والأول واجب والثاني على أحكام ثلاثة أيضاً[1] ، وهذه التقسيمات نجدها في كتب التجويد[2] اللاحقة .

المقطع :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان « مقطع كل شيء ومنقطعه : آخره حيث ينقطع كمقاطع الرمال والأودية الحرة وما أشبهها ومقاطيع الأودية : مآخيرها ، ومنقطع كل شيء : حيث ينتهي إليه طرفه .. المقطع : أي الآخر والخاتمة »[3] .

المعنى الاصطلاحي : الأصوات اللغوية كما ينطقها الإنسان تخرج مجموعات مجموعات كل مجموعة تسمى مقطعاً ، قد يكون صوتين اثنين من كلمة (كتب) المكونة من ثلاثة مقاطع وقد تكون أكثر مثل كلمة (اكتب) المكونة من مقطعين اثنين .

مصطلح المقطع : يعود هذا المصطلح في العربية على ما اطلعنا عليه إلى الفارابي فهو أول من ذكره في قوله : « كل حرف غير مصوت اتبع بصوت قصير قرن به ، فإنه يسمى (المقطع القصير) ، والعرب يسمونه الحرف المتحرك »[4] .

---

(١) التمهيد ١٧٢ ، ١٧٦ .

(٢) قواعد التجويد ٧٦ ، ٨٠ ، وحق التلاوة ٧٦ ، ٨٠ ، وأحكام تجويد القرآن ٤٨ ، ٦٠ ، وفن التجويد ٤٠ ، ٥٤ .

(٣) اللسان ٨/٢٧٨ .

(٤) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٥ .

وظاهر القول يدل على أن التسمية من وضعه هو ، وقد ذكر نوعين من المقاطع النوع الآخر هو الطويل وهو « كل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل »[1] .

والملاحظ أن الفارابي على الرغم من ربطه بين هذين المقطعين ومصطلحات العروضيين الأسباب والأوتاد : إلا أنه لم يشر إلى غير هذين المقطعين ، بل إنه لم يطلق مصطلح المقطع على السبب الخفيف إلا إذا كان صامتاً متبوعاً بصوت طويل ، أما الصامت المتبوع بصوت قصير يليه صامت فقد دعاه بالتسمية نفسها التي عرفت عن العرب وهو السبب الخفيف ، مضيفاً أن « كل مقطع طويل ، فإن قوته قوة السبب الخفيف ، فلذلك يعد في الأسباب الخفيفة ، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة »[2] ، ولما كان الفارابي يعنى في بحثه بالجانب الموسيقي أكثر من عنايته بالجانب اللغوي ، فقد جعل المدى الزمني في نطق الأصوات مقياساً ، ولذلك سوى بين السبب الخفيف المختوم بمصوت والسبب الخفيف المختوم بصامت مع تفريقه في التسمية بينهما وخصه مصطلح المقطع بالنوع الأول .

إلا أن مفهوم المقطع كما يتضح من تقسيمه هذا لا يختلف عن مفهوم المقطع كما هو معروف حديثاً ، بل يمكن القول : إن المقطع كما يعرف اليوم هو نفسه عند الفارابي ، إلا أن في حديثه إشارة واضحة إلى عدم شيوعه عند علماء العربية آنذاك ، ولعله أول من استعمله منهم ، ولم نجد له استعمالاً عند القدماء .

ولم يعن علماء العربية بعده بهذا المصطلح ، لبعده عن مجال الدرس اللغوي الذي يسود مؤلفاتهم ، والمقطع كما سيتضح من المصطلحات المتصلة اتصالاً وثيقاً بالجانب الصوتي وتحديده يتصل بالأوزان والموسيقى أكثر من اتصاله بالأداء اللغوي ، ولذا لا نجد له وجوداً في كتب علماء التجويد على الرغم من عنايتهم الكبيرة بالجانب الصوتي

---

(١) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٥ .

(٢) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٩ .

للغة ، إلا أن علم العروض هو العلم الذي يتصل بهذا المصطلح ، وهذا ما أدركه الفارابي حين ربط بين المقطع والأسباب .

فإذا كان الكلام يتألف من الأصوات اللغوية ، فإن المتكلم يصدر هذه الأصوات ،في دفعات صوتية ، تتحكم فيها وظائف الأعضاء وحركة الزفير والعادات النطقية التي درج جهازه عليها ، هذه الدفعات الصوتية التي يتشكل الكلام فيها تسمى المقاطع ، فبين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت (سواء كان النطق كاملاً أو جزئياً)[١] . يوجد ما يسمى المقطع .

فحين ينطق المتكلم جملة : (جاء زيد) ، فإنه ينطقها بشكل مقاطع على النحو التالي : (جا ـ ء ـ زي ـ دن) ، فالكلمة الأولى مقطعان والثانية أيضاً مقطعان ، ولذا فقد عد بعض العلماء[٢] المقطع الوحدة الصوتية .

والمقطع يتكون من صوامت ومصوتات ، إلا أن كل مقطع يتألف من مصوت واحد فقط ، طويلاً كان أم قصيراً ، إضافة إلى عدد من الصوامت تنقص فتكون واحداً ، وتزيد فلا تتجاوز الثلاثة في العربية ومع وضوح معنى المقطع عملياً ، فإن علماء اللغة لم ينجحوا في « إعطاء وصف شامل دقيق له »[٣] ، بل إن التعريفات التي وصفته سلبته هذا الوضوح ، وجعلته يبدو غامضاً عسير الفهم ، ومن هذه التعريفات قولهم : « تتابع من الأصوات الكلامية ، له حد أعلى أو قمة طبيعية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع »[٤] ، وقولهم أيضاً : « أصغر وحدة في تركيب الكلمة »[٥] أو

---

(١) دروس في علم أصوات العربية ١٩١ ، ودراسة الصوت اللغوي ٢٢٨ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٢٥ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي ٢٤١ ، وعلم الأصوات ١٥٤ .

(٤) دراسة الصوت اللغوي ٢٤١ .

(٥) دراسة الصوت اللغوي ٢٤١ .

« وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة قمة إسماع أو بروز »[1] ، أو « الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها »[2] أو « وحدة تحتوي على صوت علة واحد »[3] أو « قمة إسماع غالباً ما تكون صوت علة مضافاً لها أصوات أخرى عادة ـ لكن ليس حتماً ـ تسبق القمة أو تلحقها ، أو تسبقها وتلحقها »[4] .

والمقطع في العربية أيضاً اختلف في تعريفه فهو : « حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة »[5] ، وهو « كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة »[6] وهو أيضاً « عبارة عن مجموعة من الأصوات تمثل قاعدة وقمة وقاعدة ، وقد تكون القاعدة السكون السابق على الكلام ، أو السكون اللاحق له »[7] .

وهناك تعريف آخر هو : « تأليف أصوات بسيطة تتكون منه واحداً أو أكثر كلمات اللغة ، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها »[8] .

وهذا التعريف يأتي به صاحبه بصياغة أخرى فيقول : « مزيج من صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ، ويعتمد على الإيقاع التنفسي »[9] .

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٤٢ .
(٢) دراسة الصوت اللغوي ٢٤٢ .
(٣) دراسة الصوت اللغوي ٢٤٣ .
(٤) أسس علم اللغة ٩٦ .
(٥) موسيقى الشعر ١٤٧ .
(٦) التطور اللغوي ٦٢ .
(٧) محاضرات في اللغة ١٤١ .
(٨) علم الأصوات ١٦٤ .
(٩) المنهج الصوتي ٣٨ .

هذه التعريفات كلها تفسر المقطع ، إلا أن أياً منها لا يحد المقطع حداً قاطعاً مانعاً ، ويعد تعريف أستاذنا الدكتور التميمي أكثر التعريفات تقييداً لمعنى المقطع في قوله : « مجموعة صوتية تبدأ بصامت ، يتبعه صائت ، وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت ، أو عند انتهاء الكلام قبل مجيء القيد »[(1)] .

وهو تعريف جامع مانع ، ولعل العبارة الأخيرة في التعريف وهي « قبل مجيء القيد : ليست ضرورية ؛ لأن التعريف من دون ذكرها واضح .

ويمكن أيضاً القول : إن المقطع هو عدد الأصوات التي يمكن أن يخرجها الإنسان في دفعة واحدة من دفعات الزفير .

والمقاطع في العربية أنواع خمسة تنتهي بصوت صامت فتسمى مغلقة أو بصوت مصوت فتسمى مفتوحة ، وهي على النحو الآتي :

١ ـ مقطع قصير : ولا يكون إلا مفتوحاً ، ويتألف من (صامت + صائت) مثل (كَ) في (كتب) .

٢ ـ مقطع متوسط مفتوح : ويتألف من (صامت + صائت طويل) مثل (كَا) في (كاتب) .

٣ ـ مقطع متوسط مغلق : ويتألف من (صامت + صائت قصير + صامت) مثل : (تِبْ) في (كاتب) .

٤ ـ مقطع طويل مغلق بصامت : ويتألف من (صامت + صائت طويل + صامت) مثل : (عام) ، ويكون في الوقف ، أو في وسط الكلام إذا جاء المصوت الطويل قبل حرف مدغم في مثله مثل ﴿ الضَّالِّين ﴾ [الفاتحة : ٧/١] .

---

(١) محاضرة بالسنة التمهيدية لطلبة الماجستير ١٤ نيسان ١٩٨٦ م .

٥ ـ مقطع طويل مغلق بصامتين : ويتألف من (صامت + صائت قصير + صامتان) مثل (نهر)[1] ولا يكون إلا في الوقف .

وهناك مقطع سادس أضافه بعض الباحثين[2] وهو :

٦ ـ مقطع زائد الطول : ويتألف من (صامت + صائت طويل + صامتان) مثل : سار وهو أيضاً لا يكون إلا في الوقف في آخر الكلام مثل (شابّ) ، (مارّ) ، (جافّ) بالتشديد .

أما المقطع الذي زعم بعض الباحثين[3] أنه يبدأ بصوت علة ، وجعله مقطعاً مستقلاً ، قصير مغلق ، ومثل له بأداة التعريف (أل) ، فهو لا يعدو أن يكون المقطع الثالث نفسه ، وحتى لو سلم بإمكانية الابتداء بالساكن[4] ، فإن المثال الذي ذكره يبدأ بالهمزة وهو صوت صامت[5] .

المماثلة :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان : « مثل كلمة تسوية ، يقال هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى »[6] ، والمماثلة مصدر ماثل ، أي شابه و « تأتي فاعل لمعنى المشاركة أي إنها تأتي من اثنين »[7] .

المعنى الاصطلاحي : هو أن يلتقي في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين ، فيحاول أحدهما أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها[8] .

---

(١) الأصوات اللغوية ١٦٣ .

(٢) التشكيل الصوتي ١٣٢ ، علم الأصوات ٢٠١ .

(٣) مناهج البحث ١٧٢ .

(٤) دراسات في علم اللغة ١٤٧ .

(٥) مناهج البحث ١٢٥ .

(٦) اللسان ٦١٠/١١ .

(٧) أوزان الفعل ومعانيها ٨٤ .

(٨) التطور اللغوي ٢٢ .

مصطلح المماثلة : مصطلح المماثلة مصطلح حديث ، وهو ترجمة للفظة الأجنبية (Assimilation)[1] ويكاد هذا المصطلح يحوي تحت عنوانه هذا كل أنواع التأثيرات بين الأصوات ، عدا النوع الذي يسمى بالمخالفة ، فالمماثلة هي : « تحول الفونيات المتخالفة إلى متماثلة ، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً »[2] ويعرفها بعضهم بقوله : « تغير صوت ليماثل صوتاً آخر مجاوراً له »[3] .

هذه المماثلة إذن تشتمل على أنواع كثيرة من التأثيرات بين الأصوات فهي تشتمل على الإدغام الأصغر ، والإدغام الأكبر ، والإمالة ، والإبدال والإعلال والإجهار والإهماس وغيرها .

ومصطلح المماثلة وجد في العربية[4] بالمعنى نفسه فقد استعمل سيبويه تسمية لهذه الظاهرة مصطلح (المضارعة)[5] ، والمعروف أن اللفظين يؤديان معنى واحداً ، فقد ذكر باباً سماه : « باب الحرف الذي يضارع به حرفاً من موضعه ، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه »[6] .

ولما كانت المماثلة مصطلحاً يكثر في مؤلفات المحدثين ، وموضوعاته أكثرها هي موضوعات هذا الفصل ، فقد رأينا أن ندخله ضمن مصطلحات هذا الفصل لعلاقته الوطيدة به .

النّبر :

المعنى اللغوي : جاء في اللسان النبر بالكلام : الهمز ، قال : وكل شيء رفع شيئاً

---

(١) الأصوات اللغوية ١٧٨ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٣٢٤ .

(٣) معجم علم اللغة النظري ٢٤ .

(٤) مجلة اللسان العربي مجلد ٧ ، جزء ١ ، ٥٢ .

(٥) الكتاب ٤/٤٧٧ .

(٦) الكتاب ٤/٤٧٧ .

فقد نبره ، والنّبر : مصدر نبر الحرف ينبره نبراً همزه .. ابن الأنباري قوله : النبر عند العرب ارتفاع الصوت »[1] .

المعنى الاصطلاحي : وهو « نشاط ذاتي للمتكلم ينجم عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياساً لما يحيط به »[2] .

مصطلح النبر : وهو مصطلح أوروبي حديث ، يكون بالضغط على مقطع من المقاطع في الكلام[3] ، أي أن تكون دفعه الزفير في أحد المقاطع أقوى من الآخر ، ولا تخلو لغة من اللغات منه ، إلا أنه يعد ملمحاً تمييزياً في بعض اللغات فيختلف معنى الكلمة باختلاف النبر على مقاطعها[4] .

والنبر في العربية يتضح في اللهجات وضوحاً أشد منه في الفصحى ، ولعل اعتماد الفصحى في الإبانة عن المعنى على الصرف قلل من مكانة النبر فيها ، بينما زاد ذلك في اللهجات ، حيث نجد كلمات يختلف نطقها من بلد عربي لآخر بحسب تلك اللهجة وتأثيرات البلدان المجاورة فيها ولا سيما البلدان الأجنبية .

فالنبر « وضوح نسبي لصوت أو لمقطع إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة »[5] ، وعلى الرغم من أن استعماله في العربية واضح جلي[6] ، إلا أنه لم يحظ بدراسة القدماء له ، أما المحدثون فقد حظي منهم بقليل من العناية يقول بروكلمان : « في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر ، تغلب عليه الموسيقية ، ويتوقف على كية المقطع ، فإنه يسير من مؤخر الكلمة إلى مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً ،

---

(١) اللسان ٥/١٨٩ .
(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٨٨ .
(٣) دروس في علم أصوات العربية ١٩٤ .
(٤) دراسة الصوت اللغوي ٣٠٧ .
(٥) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٦٢ .
(٦) دروس في علم أصوات العربية ١٩٤ .

فيقف عنده ، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل ، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها »[1] ، ويقول كانتينو : « تقع النبرة على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها ، وإذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها »[2] ، ويرى كانتينو أن المستشرقين استلهموا هذه القاعدة من « سماعهم للمثقفين المصريين في أوائل القرن السابع عشر »[3] .

وقد كانت هذه الآراء هي النواة للدراسات العربية الحديثة للنبر ، فقد وضع الدكتور إبراهيم أنيس مقياساً له استخرجه من نطق القراء المصريين ، قائلاً : « لمعرفة موضع النبر من الكلمة العربية ، نبدأ أولاً بالنظر إلى المقطع الأخير ، فإذا وجدناه من النوع الرابع أو الخامس ، فهو إذن المقطع الهام الذي يحمل النبر ، ولا يكون هذا كما أشرت آنفاً إلا في حالة الوقف ، فالنبر في الكلمة العربية لا يكون على المقطع الأخير إلا في حالة الوقف وحين يكون المقطع الأخير من النوع الرابع أو الخامس .. أما إذا وجدنا الكلمة لا تنتهي بهذين النوعين من المقاطع ، كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير ، بشرط ألا يكون هذا المقطع من النوع الأول ، ومسبوقاً بمثله من النوع الأول أيضاً .

وموضع النبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية هو المقطع الذي قبل الأخير مثل : (استفهم أو ينادي أو قاتل أو يكتب) ، ففي المثالين الأخيرين على الرغم من أن المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول لم يسبق بمقطع نظير له من النوع الأول أيضاً .

أما في الفعل الماضي الثلاثي مثل : (كتب ، فرح ، صحب) فالنبر يكون على المقطع الثالث حين تعد المقاطع من آخر الكلمة أي على (ك، ف ، ص) وكذلك في

---

(١) التطور اللغوي ١٦٢ .

(٢) دروس في علم أصوات العربية ١٩٥ .

(٣) دروس في علم أصوات العربية ١٩٥ .

الكلمات أمثال (اجتمع انكسر) ، أو أمثال المصادر (لعب ، فرح) ، أو الأسماء (عنب ، بلح) نجد النبر على المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة[1] .

أما العربية الفصحى المعاصرة فقد درس نبرها الدكتور أحمد مختار عمر ووصل إلى النتائج السابقة نفسها ، وقد أضاف حالة أخرى هي : « ينبر المقطع الذي يسبق ماقبل الآخر (الثالث من الآخر) إذا كان المقطع الأخير من النوع المتوسط ، والذي قبل الأخير من النوع القصير »[2] ، مثل عامك ، علموا ، وقد رأى أن النبر في العربية حمل وظيفة دلالية ، مع تسليمه أن ذلك لم يقل به أحد ، وقد استدل على رأيه ذلك بأمثلة كقوله : « كريم الخلق ، كريمو الخلق ، فنحن نفترض أن التمييز بينهما كان بوضع النبر مع المفرد على المقطع الأول ، ومع الجمع على المقطع الثالث وهكذا »[3] وكذلك الفرق بين ليلى وليلاء عند من لا يهمزون ، وفرح صفة وفرح فعلاً يقول : « نحن نفترض أن التمييز بينهما كان عن طريق نبر الصفة على المقطع الأول والفعل على المقطع الثاني »[4] ، هذه الأمثلة التي ذكرها توضح الناحية الدلالية للنبر في العربية وضوحاً تاماً إذ إن المثال الأخير لا يمكن القياس عليه فالصفة تتكون من مقطعين بينما الفعل يتكون من ثلاثة مقاطع لا اثنين ، إلا إذا كان يريد اللهجة العامية ، وهو ليس المقصود هنا ، ولما كان الأمر فكرة لم يكتمل نضجها فقد صدره بقوله : إن الفكرة : « ما تزال مطروحة للمناقشة والبحث لا يدعى لها صفة القطع »[5] .

وقد اهتم بدراسة النبر كثير من الباحثين المحدثين ، إلا أن دراسة الدكتور أنيس للنبر كانت هي الأساس الذي اعتمدوا عليه ، فقد درسه الدكتور شكري عياد[6] ،

(١) الأصوات اللغوية ١٧٢ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٣٠٩ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي ٣١٠ .

(٤) دراسة الصوت اللغوي ٣١٠ .

(٥) دراسة الصوت اللغوي ٣١٠ .

(٦) موسيقى الشعر العربي ٤١ ، ٥٢ .

والدكتور كمال أبو ديب[1] الذي رأى أن الفعل الماضي الثلاثي لا يحمل نبراً ، وإنما يحمله السياق اللغوي العام ، وهو رأي يعارضه النويهي[2] حين يرى أن الفعل الثلاثي يكون النبر فيه على المقطع الأول ، وقد نادى هذا الأخير بالاعتماد على النبر في صياغة الشعر الحديث[3] .

ولما كان النبر مصطلحاً أجنبياً فقد ترجمه بعض الباحثين بالارتكاز .

(١) البنية الإيقاعية في الشعر العربي ٢٩٦ .

(٢) قضية الشعر الجديد ٢٢٨ .

(٣) قضية الشعر الجديد ٢١٠ ، ٢٢٨ .

نتائج البحث

من النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي :

١ ـ إن الدراسات الحديثة في علم الأصوات تغفل المصطلحات الصوتية عند العرب ، وتستعمل مصطلحات مترجمة من اللغات الأخرى ، ولذلك تتعدد المصطلحات بتعدد المترجمين مثل مصطلح « الشِّدَّة » وهو مصطلح قديم استعمله سيبويه ، لا يستعمله المحدثون وإنما يستعملون مصطلح انفجاري ، انسدادي ، آني .. الخ .

٢ ـ إن كثيراً من المسائل الدقيقة في دراسة الأصوات عرفت عند العرب لا يوليها المحدثون شيئاً من العناية ، وإنما يأخذون المادة الصوتية من اللغات الأخرى دون النظر إلى أصولها في العربية ، مثل الفرق الزمني بين نطق الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة ، وهو ما جعل علماء التجويد يطلقون لفظ آني على الشديد ، وزماني على الرخو حيث ينسب المحدثون ذلك إلى الأوربيين .

٣ ـ من المسائل الدقيقة أيضاً مصطلح النفخ الذي توصل إليه علماء التجويد حيث رأوا أن عدداً من الأصوات يخرج حين النطق به دفعة خفيفة من الهواء مما جعلهم يطلقون على هذه الصفة النفخ وهي نفسها الظاهرة المعروفة في اللغات الأخرى بالـ (aspiration) والفرق بين الدراسات في اللغات الأخرى هو أنهم درسوا هذه الظاهرة على أكثر من لغة استعانة بالأجهزة الدقيقة ، وكذلك المماثلة .

٤ ـ إن عدداً من المصطلحات الصوتية وضعها علماء العربية ضمن علوم أخرى مثل الإبدال والإعلال حيث أنها مصطلحات أقرب إلى علم الأصوات .

٥ ـ إن هناك خلافاً في استعمال عدد من المصطلحات ، ولو نظر إلى مصطلحات القدماء لعد هذا الخلاف لاغياً ، مثل الخلاف في الأصوات المصوتة والصائتة والصامتة والساكنة ، فقد استعمل علماء العربية قديماً مصطلحي المصوتة والصامتة ، وكان الأولى اتباع هذين المصطلحين وعدم الدخول في نقاشات ليس لها طائل .

٦ ـ الرجوع إلى المؤسسات العلمية كالمجامع العلمية التي تقر المصطلحات حين استعمال مصطلح ، والتراجع عن المصطلح الذي كان محض اجتهاد شخصي بعد معرفة المصطلح المقر ، والحال في مصطلح (فونولوجيا) الذي وضع له مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة ونطقيات أوضح ، حيث إن ترك الأمر جعل هناك ترجمات كثيرة ، وهذه الترجمة لها بعد فضيلة إقرارها في المجمع كونها لفظة واحدة يسهل استعمالها في التصريف فنقول مستوى نطقي أو عالم نطقي مقابل (فونولوجي) .

٧ ـ إن علم الأصوات وجد في صورته الواضحة الجلية عند العرب ، وليست الأبحاث الرائدة التي وجدت عند سيبويه وابن جني وعلماء التجويد إلا دليلاً على ذلك ، وإذا كان التصنيف لم يلحق هذا العلم فإن هذه الرسالة تأتي لتؤكد وجود هذا العلم وأن هذه المصطلحات التي حوتها هي شاهدها على وجود هذا العلم .

٨ ـ إن مفهوم الجهر والهمس لدى القدماء يختلف عن مفهوم المحدثين وليس اتفاق الأصوات المجهورة والمهموسة لدى القدماء والمحدثين في أكثرها إلا دليلاً على صحة تذوق القدماء للأصوات ، وصواب طرقهم في الوصول إلى الحقائق الصوتية الدقيقة .

المصادر

القرآن الكريم

١ ـ إبراهيم أنيس : (دكتور) ، الأصوات اللغوية ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

٢ ـ إبراهيم أنيس : (دكتور) ، من أسرار اللغة ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

٣ ـ إبراهيم أنيس : (دكتور) ، موسيقى الشعر ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٤ ـ إدوارد يوحنا : (دكتور) ، ظاهرة النفخ ودورها في الأنظمة الصوتية ، مجلة آفاق عربية ، ١٠٢/١ ، ١٩٧٦ م .

٥ ـ أحمد علم الدين الجندي : (دكتور) ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٩٧٨ م .

٦ ـ أحمد مختار عمر : (دكتور) ، البحث اللغوي عند العرب ط ٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

٧ ـ أحمد مختار عمر : (دكتور) ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

٨ ـ أحمد مختار عمر : (دكتور) ، المصطلحات الألسنية في اللغة العربية (بحث) ، الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، أشغال ندوة اللسانيات في اللغة العربية ، تونس ١٩٧٨ م .

٩ ـ أحمد مختار عمر : (دكتور) ، من قضايا اللغة والنحو ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٤ م .

١٠ ـ إخوان الصفاء : رسائل إخوان الصفاء ، دار بيروت ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ م .

١١ ـ الأزهري : (تهذيب اللغة) ، جزء ١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٢ ـ الأستراباذي : (رضي الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦ هـ) ، شرح شافية ابن الحاجب جزء ٣ ، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، ١٣٥٨ هـ .

١٣ ـ الأنباري : (الإمام أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري) ، أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقي بدمشق .

١٤ ـ زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، دار الأمانة ، بيروت ١٩٧١ .

١٥ ـ أنيس فريحة : نظريات في اللغة ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨١ م .

١٦ ـ الأنطاكي : (محمد الأنطاكي) ، المحيط في أصوات العربية ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ١٩٧٢ م .

١٧ ـ الأنطاكي : (محمد الأنطاكي) ، الوجيز في فقه اللغة ط ٣ ، دار الشرق ، بيروت ٦٩ م .

١٨ ـ الباقلاني : (أبو بكر بن محمد بن الطيب الباقلاني ت ٤٠٣) ، إعجاز القرآن ط ٥ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .

١٩ ـ برجشتراسر : التطور النحوي ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ١٩٨٢ م .

٢٠ ـ برتيل مالمبرج : علم الأصوات ، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥ م .

٢١ ـ ترنس هوبكز : البنيوية وعلم الإشارة ، ترجمة مجيد الماشطة ، مراجعة د . ناصر حلاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦ م .

٢٢ ـ تمام حسان : (دكتور) ، اللغة العربية معناها ومبناها ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ .

٢٣ ـ تمام حسان : (دكتور) ، اللغة والنقد الأدبي ، مجلة فصول ١٩٨٣ م ، ١٩/٢ .

٢٤ ـ تمام حسان : (دكتور) ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩ م .

٢٥ ـ جان كانتينو : دروس في علم أصوات العربية ، أوفست الشركة التونسية ، تونس ١٩٦٦ م .

٢٦ ـ ابن الجزري : (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، ت ٨٢٣ هـ) ، التمهيد في علم التجويد ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ م .

٢٧ ـ ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٢٨ ـ جعفر ميرغني : (دكتور) ، حركات الحنجرة ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، المجلد الثاني العدد الأول ١٩٨٣ م ، معهد اللغة العربية العالمي ، الخرطوم .

٢٩ ـ ابن جني : (أبو الفتح عثمان بن جني) ، الخصائص ط ٢ ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ١٩٥٩ .

٣٠ ـ ابن جني : سر الصناعة ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ١٩٨٥ م .

٣١ ـ جونستون : (ت ، م ، جونستون) ، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة ط ٢ ، ترجمة الدكتور أحمد محمد الضبيب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٩٨٣ م .

٣٢ ـ ابن الحاجب : (أبو عمرو عثمان بن عمر ت ٦٤٦ هـ) ، الإيضاح في شرح المفصل ج ٢ ، تحقيق د . موسى بنيان العليلي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٣ م ، سلسلة إحياء التراث الإسلامي رقم ٥٠ تصدرها وزارة الأوقاف بغداد .

٣٣ ـ حسام سعيد النعيمي : (دكتور) ، أصوات اللغة واقعها ومستقبلها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء (٢ ، ٣) المجلد (٣٨) ص (٢٥٤) شوال ١٤٠٧ هـ حزيران ١٩٨٧ م .

٣٤ ـ حسام سعيد النعيمي : (دكتور) ، التحول والثبات في أصول العربية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء (١) المجلد (٣٧) ، جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ ص (٢٦١) .

٣٥ ـ حسام سعيد النعيمي : (دكتور) ، الدراسات اللهجية والصوتية ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ م .

٣٦ ـ حسام سعيد النعيمي : (دكتور) ، الكتابة الصوتية ، مجلة المورد ، المجلد (١٦) العدد (١) ١٩٨٧ م .

٣٧ ـ حسن ظاظا : (دكتور) ، كلام العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦ م .

حسني شيخ عثمان : حق التلاوة ط ٢ ، دار العدوي ، الأردن ، عمان ، ١٤٠١ هـ .

٣٩ ـ الحميري : (محمد بن نشوان الحميري ٦١٠) ، الفرق بين الضاد والظاء ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

٤٠ ـ الخفاجي : (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي ت ٤٦٦ هـ) ، سر الفصاحة ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٦٩ م .

٤١ ـ ابن خلدون : تاريخ العلامة ابن خلدون ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦١ م .
٤٢ ـ خليل إبراهيم العطية : (دكتور) ، في البحث الصوتي عند العرب ، دار الجاحظ ، بغداد ١٩٨٣ م .
٤٣ ـ خليل يحي نامي : (دكتور) ، دراسات في اللغة العربية ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٤ م .
٤٤ ـ الداني : (الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي ت ٤٤٤ هـ) ، التحديد في الإتقان والتجويد ، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد ، نسخة المخطوطة بيد المحقق .
٤٥ ـ الداني : التيسير في القراءات السبع ، عني بتصحيحه أوتوبرتزل ، مطبعة الدولة ، استانبول ١٩٣٠ م .
٤٦ ـ داود عبده : (دكتور) ، دور القواعد الصوتية في استعمال المعجم ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد (٢٣) ١٩٨٦ م ، تصدر عن جامعة الكويت .
٤٧ ـ ابن دريد : (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت ٣٢١ هـ) ، جمهرة اللغة جزء (١) ، دار صادر بيروت (بدون تاريخ) ، بيروت .
٤٨ ـ الرازي (فخر الدين الرازي) ، مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة .
٤٩ ـ الرازي : (السابق) ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق الدكتور بكري الشيخ أمين ، بيروت ١٩٨٥ م .
٥٠ ـ رضا السوسي : مثلثات قطرب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس .
٥١ ـ رمضان عبد التواب : (دكتور) ، التطور اللغوي مظاهره وعلله ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٨٣ م .
٥٢ ـ رمضان عبد التواب : (دكتور) ، فصول من فقه العربية ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٣ م .
٥٣ ـ رمضان عبد التواب : (دكتور) ، المدخل إلى علم اللغة ط ٢ ، مطبعة مدني ، القاهرة ١٩٨٥ م .
٥٤ ـ ريمون طحان : (دكتور) بالاشتراك مع : دنيز بيطار طحان ، فنون التقعيد وعلوم الألسنية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣ م .

٥٥ ـ ريمون طحان : (دكتور) ، الألسنية العربية ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨١ م .

٥٦ ـ الزجاج : إعراب القرآن ، القسم الأول ، تحقيق إبراهيم الأنباري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٥٧ ـ الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق د . عبد الجليل عبده شلبي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٧٣ .

٥٨ ـ الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٢ م .

٥٩ ـ الزمخشري : المفصل ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

٦٠ ـ سعد الله الغريبي : الأصوات العربية ، مكتبة الطالب الجامعي ، السعودية ١٩٨٦ م .

٦١ ـ سعد مصلوح : (دكتور) ، نقد كتاب : المدخل إلى علم الأصوات ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، معهد الخرطوم العالي للغة العربية ، منظمة التربية والثقافة والعلوم ، للدكتور صلاح الدين حسنين ، المجلد (٣) العدد (١) ذو القعدة ١٤٠٤ هـ ، أغسطس ١٩٨٤ م .

٦٤ ـ السكاكي : (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ت ٦٢٦ هـ) ، مفتاح العلوم ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٦٥ ـ ابن السكيت : (أبو يوسف يعقوب بن السكيت) ، كتاب الإبدال ، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٦٦ ـ سلمان العاني : (دكتور) ، التشكيل الصوتي ، ترجمة الدكتور ياسر الملاح ، النادي الأدبي الثقافي ، السعودية ١٩٨٣ م .

٦٧ ـ سوسير : علم اللغة العام ، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد ١٩٨٥ م .

٦٨ ـ سوسير : دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي ، محمد الشاوش ، محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٩٨٥ م .

٦٩ ـ سوسير : فصول في علم اللغة العام ، ترجمة أحمد نعيم الكراعين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٥ م .

٧٠ ـ سوسير : محاضرات في الألسنية ، ترجمة يوسف غازي ، مجيد النصر ، المطبعة البوليسية ، بيروت ١٩٨٤ م .
٧١ ـ سيبويه : الكتاب ط ٣ تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٣ م .
٧٢ ـ سيبويه : الكتاب : المطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق مصر المحمدية سنة ١٣١٧ هـ .
٧٣ ـ السيرافي : ماذكره الكوفيون من الإدغام ، تحقيق الدكتور صبيح التميمي ، دار البيان العربي ، جدة ١٩٨٥ .
٧٤ ـ ابن سينا : (أبو علي الحسين بن سينا) ، أسباب حدوث الحروف ، صححه : محب الدين الخطيب ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
٧٥ ـ السيوطي : (أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي المتوفي ٩١١ هـ) ، الأشباه والنظائر ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٩٧٥ م .
٧٦ ـ السيوطي : (السابق) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جزءان ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم منشورات المكتبة المصرية ، بيروت ١٩٨٦ م .
٧٧ ـ السيوطي : (السابق) ، همع الهوامع ، جزآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٧٨ ـ شكري محمد عياد : (دكتور) ، موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ١٩٦٨ م .
٧٩ ـ الصاحب بن عباد : (الصاحب بن عباد بن العباس الطالقاني ت : ٣٨٥ هـ) ، الفرق بين الضاد والظاء ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٨ م .
٨٠ ـ صبحي الصالح : (دكتور) ، دراسات في فقه اللغة ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .
٨١ ـ صلاح الدين صالح حسنين : (دكتور) ، المدخل إلى علم الأصوات ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ١٩٨١ م .
٨٢ ـ طاش كبرى زاده : (أحمد بن مصطفى ت ٩٦٨ هـ) ، شرح المقدمة الجزرية ، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب لجامعة بغداد (الرقم ٣/٦٢١) .
٨٣ ـ ابن الطحان : (الإمام أبو الأصبغ السماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان ت بعد ٥٦٠ هـ) ،

مخارج الحروف وصفاتها ، تحقيق دكتور محمد يعقوب تركستاني ، مركز الصحف الإلكتروني ، بيروت ١٩٨٤ م .
٨٤ ـ عبد الحسين المبارك : (دكتور) ، فقه اللغة ، مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٦ م .
٨٥ ـ عبد الرحمن أيوب : (دكتور) ، أصوات اللغة ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٨٦ ـ عبد الرحمن أيوب : (دكتور) ، الأصوات عند سيبويه (بحث) ، أبحاث ألقيت في ندوة هيئة التدريس ، قسم اللغة العربية ، كلية عبد الله بايسيرو ـ كانو ، الجزء الأول آيار ١٩٧٥ م .
٨٧ ـ عبد الرحمن أيوب : (دكتور) ، الحقائق التاريخية وأثرها في النظم اللغوية الوصفية (بحث) ، أشغال ندوة اللسانيات ، في خدمة اللغة العربية ، سلسلة اللسانيات عدد ٥ ، تونس ٢٣ ـ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨١ م .
٨٨ ـ عبد الرحمن أيوب : (دكتور) ، العربية ولهجاتها ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٨ م .
٨٩ ـ عبد الرحمن أيوب : (دكتور) ، محاضرات في اللغة ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦ م .
٩٠ ـ عبد الرحمن أيوب : (دكتور) ، المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب ، مجلة اللسان العربي ، المجلد السادس عشر ، الجزء الأول ، ١٩٧٨ م .
٩١ ـ عبد الصبور شاهين : (دكتور) ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء ، مطبعة مدني ، القاهرة ١٩٨٧ م .
٩٢ ـ عبد الصبور شاهين : (دكتور) ، في التطور اللغوي ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ م .
٩٣ ـ عبد الصبور شاهين : (دكتور) ، المنهج الصوتي للبنية العربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٠ م .
٩٤ ـ عبد العزيز عبد الفتاح القاري : قواعد التجويد ط ٥ ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٤٠٤ هـ .
٩٥ ـ عبد العزيز مطر : (دكتور) ، علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين ، مجلة اللسان العربي ، المجلد السابع ، الجزء الأول .
٩٦ ـ عبد العزيز مطر : (دكتور) ، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٦ ـ ١٩٦٧ م .
٩٧ ـ عبد الفتاح شلبي : (دكتور) ، الإمالة في القراءات واللهجات ط ٣ ، دار الشرق ، ١٩٨٣ م .

٩٨ ـ عبد المجيد سيد منصور : (دكتور) ، علم اللغة النفسي ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٨٢ م .
٩٩ ـ عبده الراجحي : (دكتور) ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .
١٠٠ ـ عبده عبد العزيز قلقيلة : (دكتور) ، لغويات ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
١٠١ ـ عبد الوهاب حموده : القراءات واللهجات ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٤٨ م .
١٠٢ ـ عزة عبد دعاس : فن التجويد ط ٩ د ، مكتبة الحرمين ، الرياض ١٩٨٢ م .
١٠٣ ـ ابن عصفور : (ت ٦٦٩ هـ) ، الممتع في التصريف ط ٥ ، تحقيق الدكتور : فخر الدين قباوة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٩٨٣ م .
١٠٤ ـ ابن عقيل : (ت ٧٦٩ هـ) ، المساعد على تسهيل الفوائد ج ٤ ، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات ، دار المدني ، جدة ١٩٨٤ م .
١٠٥ ـ علي زوين : (دكتور) ، منهج البحث اللغوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦ م .
١٠٦ ـ عوض القوزي : المصطلح النحوي ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ، الرياض ١٩٨١ م .
١٠٧ ـ غالب المطلبي : (دكتور) ، لهجة تميم ، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٨ م .
١٠٨ ـ غانم قدوري الحمد : (دكتور) ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
١٠٩ ـ غانم قدوري الحمد : (دكتور) ، علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى ، مستلة من مجلة كلية الشريعة العدد (٦) لسنة ١٩٨٠ م .
١١٠ ـ الفارابي : (أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان الفارابي ت ٣٣٩) ، كتاب الحروف ، تحقيق محسن مهدي ، دار الشرق ، بيروت ١٩٧٠ م .
١١١ ـ الفارابي : (السابق) ، كتاب الموسيقى الكبير ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، د . محمود محمد الحفني ، دار الكاتب العربي ، القاهرة (من غير تاريخ) .

١١٢ ـ ابن فارس : (ت ٣٩٥ هـ) ، الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤ م .
١١٣ ـ فاطمة محجوب : (دكتور) ، دراسات في علم اللغة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ م .
١١٤ ـ الفراهيدي : (الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ) ، معجم العين ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٧ م .
١١٥ ـ فندريس : اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٠ م .
١١٦ ـ القاسم بن محمد بن سيد المؤدب : (ت بعد ٣٣٨ هـ) ، دقائق التصريف ، تحقيق : الدكتور أحمد ناجي القيسي ، الدكتور حاتم صالح الضامن ، الدكتور حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٦٧ م .
١١٧ ـ قاصد ياسر الزيدي : (دكتور) ، فقه اللغة العربية ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ١٩٨٧ م .
١١٨ ـ القرطبي : عبد الوهاب القرطبي ، الموضح في التجويد ، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد ، مخطوط بيد المحقق .
١١٩ ـ كمال أبو ديب : (دكتور) ، البنية الإيقاعية في الشعر العربي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧ م .
١٢٠ ـ كمال محمد بشر : (دكتور) ، دراسات في علم اللغة ط ٩ ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٦ م .
١٢١ ـ كمال محمد بشر : (دكتور) ، علم اللغة العام ـ الأصوات ط ٧ ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٠ م .
١٢٢ ـ لطف الله بن محمد بن الغياث : المناهل الصافية ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٩٨٥ م .
١٢٣ ـ ماريو باي : أسس علم اللغة ، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ، منشورات جامعة طرابلس ، ليبيا ، ١٩٧٣ م .
١٢٤ ـ ابن مالك : (جمال الدين محمد بن مالك المتوفي ٦٧٢ هـ) ، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ط ٣ ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ م .
١٢٥ ـ ماييه ولانسون : منهج البحث في الأدب واللغة ط ٢ ، ترجمة الدكتور محمد مندور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

١٢٦ ـ المبرد : (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ) ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (بدون تاريخ) .
١٢٧ ـ ابن مجاهد : (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي ت ٣٢٤ هـ) ، السبعة في القراءات ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
١٢٨ ـ مجمع اللغة العربية : الجزء الثامن عشر ، السنة ١٩٦٥ م القاهرة .
١٢٩ ـ محمد أحمد أبو الفرج : (دكتور) ، مقدمة لدراسة فقه اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٦ م .
١٣٠ ـ محمد الحناش : (دكتور) ، البنيوية ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٠ م .
١٣١ ـ محمد الصاوي قمحاوي : البرهان في تجويد القرآن ط ١٠ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
١٣٢ ـ محمد النويهي : (دكتور) ، قضية الشعر الجديد ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ م .
١٣٣ ـ محمد حسين آل ياسين : (دكتور) ، الدراسات اللغوية عند العرب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٠ م ، مجلة اللسان العربي .
١٣٤ ـ محمد حلمي خليل : (دكتور) ، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب العدد (٢١) السنة ٨٢ ـ ١٩٨٣ م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مكتب تنسيق التعريب ، مجلة اللسان العربي .
١٣٥ ـ المخزومي : (الدكتور مهدي المخزومي) ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ط ٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
١٣٦ ـ المخزومي : (السابق) ، عبقري من البصرة ط ٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
١٣٧ ـ محمد رشاد الحمزاوي : (دكتور) ، مشاكل وضع المصطلحات ، الجامعة التونسية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، أشكال ندوة اللسانيات في اللغة العربية ، تونس ١٣ ـ ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ م ، سلسلة لسانيات (٤) .
١٣٩ ـ محمد سعيد محمد علي ملحس : أحكام تجويد القرآن ط ١٠ ، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن .
١٤٠ ـ محمد علي الخولي : معجم علم اللغة النظري ط ٤ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

١٤١ ـ محمد المبارك : (دكتور) ، فقه اللغة وخصائص العربية ط ٧ ، دار الفكر ١٩٨١ م .
١٤٢ ـ محمد مكي نصر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، تحقيق علي محمد الضباع ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، بيروت .
١٤٣ ـ محمود السعران : (دكتور) ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٢ م .
١٤٤ ـ محمود إسماعيل صيني : (دكتور) بالاشتراك مع إسحاق محمد الأمين ، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٨٢ م .
١٤٥ ـ محمود فهمي حجازي : (دكتور) ، اللغة العربية عبر القرون ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
١٤٦ ـ محمود فهمي حجازي : (دكتور) ، مدخل إلى علم اللغة ط ٢ ، مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
١٤٧ ـ محي الدين رمضان : (دكتور) ، في صوتيات العربية ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٧٩ م .
١٤٨ ـ المرادي : (بدر الدين الحسن بن قاسم المشهور بابن أم قاسم ت ٧٤٩ هـ) ، شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، تحقيق الدكتور عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ .
١٤٩ ـ المرعشي : (محمد بن أبي بكر المعروف بساجقلي زادة ت ١١٥٠ هـ) ، جهد المقل ، مخطوط بمكتبة المتحف العراقي رقم (٤/١١٠٦٨) .
١٥٠ ـ مكي بن أبي طالب : التبصرة في القراءات ، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ١٩٨٥ م .
١٥١ ـ مكي بن أبي طالب : (ت ٤٣٧ هـ) ، الرعاية ط ٢ ، تحقيق د . أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، الأردن ، ١٩٨٤ م .
١٥٢ ـ ابن منظور : (الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت ٧١١ هـ) ، اللسان ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٦ م ، ١٣٧٥ هـ .
١٥٣ ـ منير البعلبكي : المورد ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
١٥٤ ـ المهدوي : (أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي ت ٤٤٠ هـ) ، الموضح في تعليل وجوه القراءات ، صورة عن مخطوطة الخزانة العامة في الرباط (رقم ١٣٩) .
١٥٥ ـ ميشال زكريا : (دكتور) ، الألسنية مبادئها وأعلامها ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

١٥٦ ـ نايف خرما : (دكتور) ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ط ٢ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٩ م .

١٥٧ ـ النحوي : (أبو حيان النحوي ت ٧٤٥ هـ) ، المبدع في التصريف ، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد طلب ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

١٥٨ ـ ابن النديم : (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ت ٣٨٠ هـ) ، الفهرست ، تحقيق رضا ـ تجدد ، مطبعة وانشكاه ، طهران .

١٥٩ ـ هاشم طه شلاش : (دكتور) ، أوزان الفعل ومعانيها ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧١ م .

١٦٠ ـ ابن هشام : (الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ت ٧٦١) ، شرح جمل الزجاجي ، تحقيق الدكتور علي محسن عيسى مال الله ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

١٦١ ـ ابن هشام : (السابق) ، مغني اللبيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة .

١٦٢ ـ هنري فليش : التفكير الصوتي عند العرب ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، الجزء الثالث والعشرون .

١٦٣ ـ هنري فليش : العربية الفصحى ط ٢ ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

١٦٤ ـ هيام كريسريه : مكانة البحث اللغوي العربي القديم ، مجلة الفكر العربي ٨/٧ ، آذار سنة ١٩٧٩ م .

١٦٥ ـ ابن يعيش : (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت ٦٤٣ هـ) ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

١٦٦ـ **Oxford Medical publications**
Cumningham's Manual of practical Anatomy
Head and Neck and Brain
Volume * Fifteenth Edition 1986
G. J. Romanes